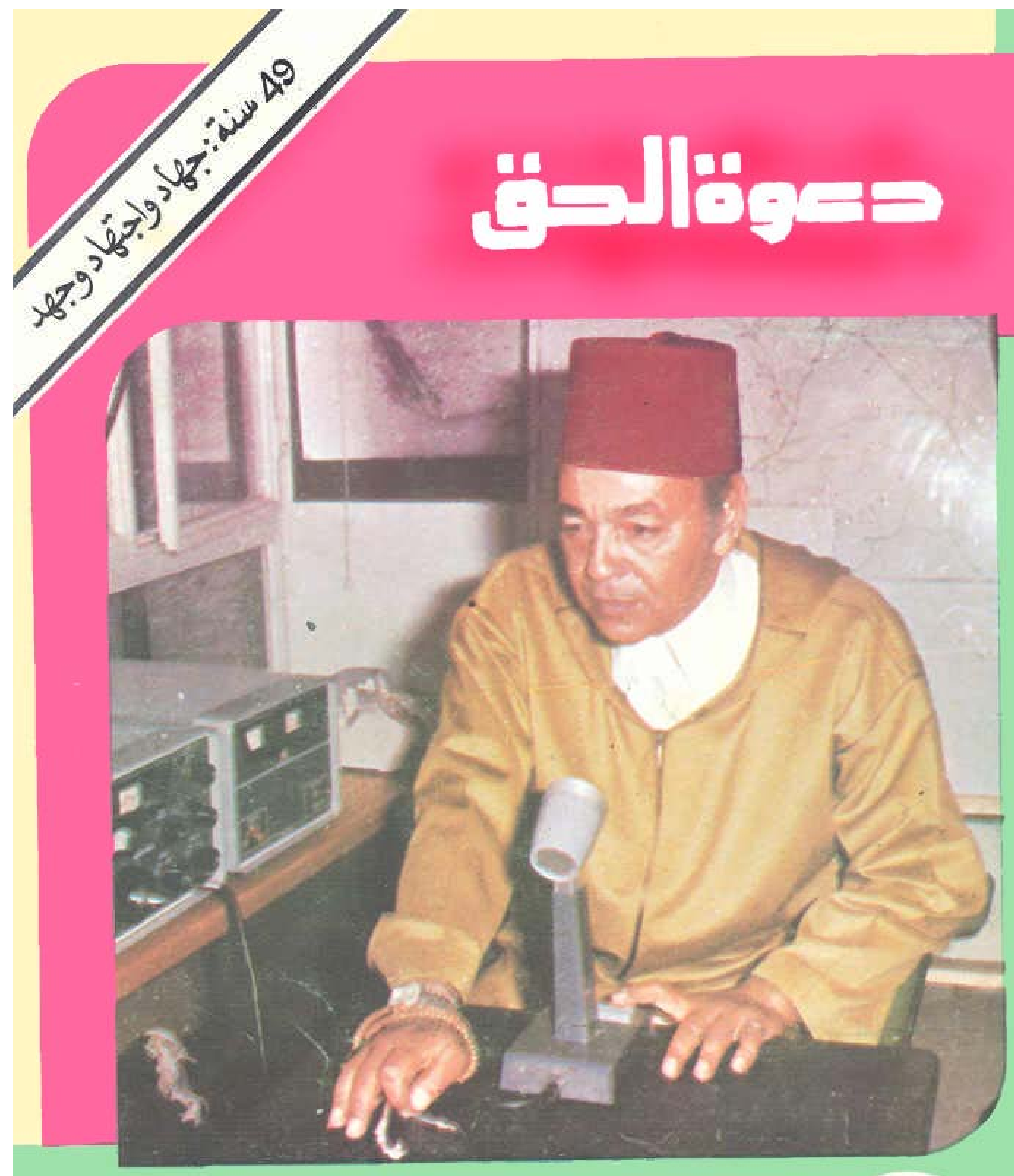
49 سنة: جهاد واجتهاد وجهد

دعوة الحق



• تاريخ المغرب مطبوع بالدفاع عن حوزة البلاد
والقيام بالتزاماته نحو أصدقائه وأشقائه في حالة الاستغاثة به.

السنة 19
العددان:
6 - 7

شهرية
تعنى بالدراسات الإسلامية وبشؤون الثقافة والفكر

دعوة الحق

السنة التاسعة عشرة . العددان 6 و 7
رجب - شعبان 1398 - يونيو - يوليوز 1978
ثمن النسخة : ثلاثة دراهم

تصدرها
وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
(مديرية الشؤون الإسلامية)
بالمملكة المغربية
الرباط

بيانات إدارية

- تبعث المقالات الى العنوان التالي :

مجلة « **دعوة الحق** » - مديرية الشؤون الإسلامية
ص ب : 375 - الرباط - المغرب
الهاتف : 10 - 632

- الإشتراك العادي عن سنة : 30 درهما ، والشرفي 100 درهم فأكثر .
- السنة عشرة أعداد . لا يقبل الإشتراك الا عن سنة كاملة .
- تدفع قيمة الإشتراك في حساب :

مجلة « **دعوة الحق** » رقم الحساب البريدي 485.55 الرباط .

Daouat El Hak compte chèque postal 485 - 55 à Rabat

أو تبعث رأسا في حوالة بالعنوان أعلاه .

- ترسل المجلة مجانا للمكتبات العامة ، والنوادي والهيئات الوطنية والثقافية والاجتماعية بناء على طلب خاص
- **لاتلتزم المجلة برد المقالات التي لم تنشر**

فهرس

تهنئة

يسعد وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية وأسرة مجلة "دعوة الحق" وهي فرع من فروعها - أن تتقدم إلى حضرة مولانا أمير المومنين جلالة الملك الإمام الحسن الثاني نصره الله بأجمل التهاني وأطيب الأماني مشفوعة بالدعاء الخالص بالصحة والعافية وطول العمر وهناءة البال وانشراح الصدر بمناسبة الذكرى التاسعة والأربعين لميلاد جلالته الميمون سائلة الله تعالى أن يرعاه ويطيل عمره ويحفظ في ولي عهده الأمير المحبوب سيدي محمد ويكلأه وصنوه السعيد الأمير الجليل مولاي رشيد بعينه التي لا تنام ويديم نعمته على الأسرة المالكة الشريفة ويقي شعب المغرب من كل سوء ويعز الإسلام والمسلمين. إنه سميع مجيب الدعاء.

« لقد قيض الله لي أن اخلف والدي على عرش الدولة العلوية وان احقق املا كبيرا من آماله كان لا يفارقه بالليل والنهار ، وهذا الامل آن هو الا تنظيم الملكية الدستورية ببلادنا والسير بالوطن نحو مصيره الوضاح وها انا وقد اقررت هذا النظام اخطو معك الخطى التي ترفعنا كل يوم درجات » .

جلالة الملك
الحسن الثاني

بسم الله الرحمن الرحيم

الافتتاحية :

49 سنة

جهاد واجتهاد وجُهد

●● الحديث عن جهاد جلالة الملك الحسن الثاني نصره الله ودوره الطلائعي الكبير الى جانب والده بطل التحرير جلالة المغفور له محمد الخامس فى سبيل الاستقلال وبناء أسس المغرب الحديث لن يكون ابدا حديثا سياسيا منغلقا محصورا فى نطاق ضيق ومقصورا على جانب او جوانب معينة ، وانما هو شامل ، ممتد ، غزير المادة ، متعدد الجوانب ، ذو ابعاد وآفاق ودلالات ومعان ، يكتسبها من ارتباط حياة العاهل الكريم بأحداث المغرب وتطوراته وظروفه وصراعاته ومراحل كفاحه التحريري على مدى نصف قرن .

نشأ سيدنا المنصور بالله في بيئة كفاح وصراع ومواجهة مع القوى الاستعمارية . وترعرع فى جو الوطنية المتدفقة الصاعدة ، والحماس الشعبي الفوار ، ولم يكد يشب عن الطوق ، ويبلغ طور الوعي والرشد ، حتى وجد نفسه وأسرته الكريمة وعلى رأسها الرائد الكبير محمد الخامس رحمه الله وجها لوجه امام تطورات خطيرة دفعت بالمغرب الى الدخول فى مواجهات مباشرة ، وتحديات صارمة مع الوجود الاستعماري . وكان القدر اختاره ــ أعزه الله ــ منذ نعومة اظفاره ليخوض المعارك المتواصلة، معركة تلو معركة ، على جبهات متعددة ، بدات بواحدة ، ثم لم تلبث أن تعددت وتنوعت ، وازدادت تعددا وتنوعا بعد الاستقلال ، ولا تزال آخذة فى الازدياد الى يومنا هذا .

هذه النشأة الوطنية الفريدة جعلت من جلالة الحسن الثاني رجل دولة محنكا بصيرا عارفا بطبيعة المعارك السياسية مدركا ومحيطا بما يدبر ضد الوطن : نظاما وكيانا وعقيدة ولغة وتراثا . فكان التحدي قدره ، وكان الصراع الشاق اختياره .

ومن هذه الزاوية فان الحديث عن جهاد الحسن الثاني الرائد الملهم جزء لا يتجزأ من قصة الكفاح المغربي الطويل ...

هذه الخصوصية ، وهذا التميز ، وهذه الاعتبارات جميعها تجعل من غير الممكن استيعاب سيرة الحسن الثاني المناضل دون الاخذ بعين الاعتبار مختلف الجوانب والزوايا المتصلة بجهاد الشعب منذ أن هب لينتقض ما أبرمه الاستعمار في غفلة من الزمن .

لم تكن حياة العاهل الكريم منعزلة عن ما جريات الاحداث ، كما لم تكن الاسرة المالكة الشريفة مفصولة عن قضايا الشعب الثائر . وكيف به ينعزل وينعم بما ينعم به اقرانه في دول أخرى والنار مشتعلة تكاد تلتهم الجميع ، والقصر مطوق بدبابات الاحتلال المتستر تحت ما دعي بالحماية ، ووالده ـ قدس الله روحه ـ منهمك في اتصالاته مع زعماء الوطنية ، والبلاد كلها متحفزة مترقبة متطلعة الى التضحية متى آنت ساعة التضحية.

وانه لاول مرة في تاريخ العالم المعاصر تصدر سلطات الاحتلال في بلد عربي واسلامي حكمها بالاعدام على أمير بتهمة التحريض على الاعمال الفدائية وتنظيم المظاهرات وتوزيع المناشير المناهضة للوجود الاجنبي.

لم يحدث هذا قط الا في المغرب كما لم يحدث في أي بلد عربي واسلامي ، بل في أي بلد من بلدان العالم أن ثار الشعب ثورة دموية عارمة احتجاجا على نفي ملك البلاد وأسرته .

كانت السلطات الاستعمارية تنظر بعين القلق والارتياب والشك الى الامير مولاي الحسن ، الامر الذي جعلها تضرب حوله نطاقا من المراقبة والتحفظ ، وتتعقب خطواته ونشاطه واتصالاته ، بما كانت تملك ، يومئذ من أدوات ووسائل التعقب . فما ذا يمكن أن يقال عن أمير ينشأ في هذا الجو ؟ أليست هذه نشأة نضالية وطنية بالمعنى الواسع للنضال والوطنية؟

اننا نستطيع أن نقول ، دون أن نخشى من الاتهام بالمبالغة والغلو في القول ، ان المغرب البلد الوحيد في العالم ـ ونؤكد على انه البلد الوحيد حقيقة لا مجازا ـ يحكمه قائد مناضل اشربت روحه النضال منذ وعيه المبكر ، وقاسى وعانى أضعاف ما يقاسي ويعاني ـ عادة ـ الزعماء والرواد والقادة المخلصون . لقد تعرض لاعنف مجابهة مع الاستعمار دون أن يكون يملك اي سلاح ، اللهم الا سلاح الايمان والثقة بالنفس . ورأى عرش أجداده يهدد ، وكرامة وطنه تمتهن ، وخيرة ابناء الشعب تعتقل وتسجن وتنفى وتعذب ، والوطن العربي الاسلامي الكبير يرسف في اغلال الاحتلال ، والعالم كله ـ شرقيه وغربيه ـ يجمع على اخماد شعلة الجهاد والمقاومة في بلده ، فما وهن وما ضعف وما استكان الى الواقع المفروض بالحديد والنار والارهاب والقمع .

ولم يخلد الى راحة بعد الاستقلال ، فما يعرف ملوك هذه الدولة الشريفة راحة ، وانما مضى في عزم حديدي يشق الطريق نحو بناء الوطن ، واقامة المؤسسات ، وتكوين النواة الاولى من بناة الاستقلال ، دون أن يغفل لحظة واحدة عن ضرورة استكمال الوحدة الترابية في الشمال والجنوب والشرق .

● كان نصيبه من المعاناة والمكابدة فى عهد الاستقلال لا يقل فى ميزان التضحية عما ناله قبل الاستقلال . وكان الله ـ سبحانه وتعالى ـ اراد أن يضاعف له الاجر ، فضاعف له صنوف الجهاد ، فصدق عليه حديث جده الاكرم المصطفى ـ صلى الله عليه وسلم ـ حين دخوله مكة المكرمـــة فاتحـــا مظفـــرا .

هو جهاد اكبر ما فى ذلك شـــك ...

وللجهاد ثمنه . وبقدر ما يكبر ويعنف ويشتد ، بقدر ما يغلو الثمن وتعسر المعاناة وترتفع التكاليف ...

وهكذا فنحن لسنا فى نزهة فى عرض البحر ، ولكننا نركب سفينة فى خضم امواج هوجاء تعصف بنا من اليمين واليسار يقودها ربان بصير واسع الافق حصيف العقل ..

وما من دولة من دول عالمنا المعاصر الا وتركـــب سفينتهـــا فى بحـرهـــا ..

الرحلة واحدة . ولكن السفن والبحور تختلف ..

تلك ـ اذن ـ هي الصورة المجسمة لواقعنا الراهن على الصعيـــد الوطني والدولـــي ..

● وهذا هو رباننا وقائد مسيرتنا : علم وخبرة ، ثقافة ومعاناة ، عقل ونظر ، ذكاء وفطنة ، اعتدال واستقرار ، حلم وتواضـــع ؛ اذا جلس الى العلماء والفقهاء والمحدثين أجاد واتقن ، وسحر بفصاحة لسانه ، وبلاغة لغته ، ورجاحة عقله ، وعمق ثقافته ، وسعة محصوله العلمي ، واذا حضر مؤتمرا للملوك والرؤساء والقادة استولى على الالباب بحكمته ورزانتـــه وكياسته وبعد نظره ، ودقة حكمه ، وصواب رايه ..

قائد موسوعي هو .. فخر للعرب والمسلمين .. وحقيق بأن يكون مجدد العصر بلا منازع ، وأميرا للمؤمنين واماما للمسلمين ..

وهكذا فاذا تحدثنا اليوم عن الحسن الثاني الرائد الذي لا يكـــذب اهله فلأجل ان نحيي فى جلالته الروح الاسلامية الحق ، والفهم الاسلامي المحض لمشاكل المغرب وقضايا العالم العربي ومعضلات الفكر الاسلامي المعاصـــــر ..

(دعوة الحـــق)

عدد خاص عن
معركة وادي المخازن

● يحتفل المغرب هذه السنة بمرور اربعمائة سنة على معركة وادي المخازن العظيمة التي وقعت بشمال المملكة فى غشت من سنة 1578 فى عهد الدولة السعدية وشاركت فيها الكنيسة الاوربية متمثلة فى حشود عسكرية هائلة مجهزة عبرت البحر بروح الحقد والانتقام من المغرب المسلم وطمعا فى التسرب الى قلب القارة الافريقية ..

وقد تقرر ان تقام احتفالات عديدة بهذه المناسبة تخليدا واحياء لملحمة من ملاحم عرشنا المغربي المجيد وشعبنا المؤمن المجاهد .

وايمانا منا بالدور الذي تضطلع به مجلتنا فى اثراء الفكر الوطني وتقديرا لاهمية ورسالة الكلمة الملتزمة الواعية فى احياء الهمم وبعث الحماس العقلي الخلاق ، قررنا ان نصدر عددا خاصا نامل ان يكون سجلا حافلا ووثيقة تاريخية تنفع وتغني وتضع وقائع التاريخ المغربي بين أيدي الباحثين وجمهور القراء .

وهكذا ، فان عددنا الثامن لشهر رمضان (غشت) المقبل سيضم مقالات وابحاث ودراسات وقصائد ووثائق هامة وافانا بها عدد من الكتاب وأساتذة الجامعة والشعراء والادباء ●

جلالة الملك الحسن الثاني نصره الله يقول في خطاب هام عن اختياراتنا الاقتصادية :

• لم يترك الإسلام باباً من أبواب التعايش الفردي والجماعي إلا وطرقه .

● وجه جلالة الملك الحسن الثاني نصره الله خطابا توجيهيا قيما الى شعبه الوفي مساء يوم الاحد 27 جمادى الثانية 1398 موافق 4 يونيو 1978 من القصر الملكي بفاس تناول فيه الحالة المالية بالبلاد وتعرض حفظه الله للاوضاع الاقتصادية في تحليل متزن مدعم بالارقام ومطبوع بطابع الصراحة والموضوعية وصفاء الرؤية ووضوح القصد .

وقد تميز الخطاب الملكي بالاعلان عن وضع تخطيط ثلاثي انتقالي يتم خلاله اعادة النظر في وضعنا المالي والتجاري والاقتصادي بروح التضامن والمواطنة الحق وفي اطار المصلحة العليا للوطن والمواطنين .

وكما هي عادة صاحب الجلالة حفظه الله في كل خطاب أو كلمة أو حديث توجيهي استوعب الموضوع المطروح من جميع جوانبه مركزا بالخصوص على وجوب البناء الذاتي ودعم الثروة الوطنية وفتح مجالات جديدة امام الاجيال الصاعدة لبناء المغرب الجديد بالاعتماد على النفس وانطلاقا من امكانيات ارضنا .

وقد اتسم الخطاب الملكي السامي بالنظرة الشمولية المستقطبة لجميع الاهتمامات التي تشغل الرأي العام الوطني والدولي .

وفيما يلي النص الكامل للخطاب الملكي السامي :

الحمد لله والصلاة والسلام على مولانا رسول الله وآله وصحبه

شعبي العزيز :

جرينا على سنة ابينا رحمة الله عليه ان نخاطبك مباشرة كلما دعت الظروف الى ذلك . وان واجب الامانة وما نتحمله واياك من مسؤولية ؛ مسؤوليتنا أنت وانا كشعب وكملك ، ان نجسد ونجسم الاستمرار . فاي المغاربة كان هو الاول ومن سيكون هو الاخير ومن من ملوك هذه الامة وهذه

الدولة هو وارث ادريس الاول او اسماعيل .

وفي الحقيقة مشاكلنا ومشاكلك والمستوى الذي يجب ان تطرح عليه والكيفية التي يجب ان توضع فيها تلزمنا وتحتم علينا ان ننظر اليها بعين متواضعة وبعين الاستمرار .

فبعد الله سبحانه وتعالى وبكيفية نسبية لا أول لها ولا آخر الا ما أراده الله من أول وقدره من آخر .
أياك شعبي العزيز أن تتخوف من هذا المدخل، لا . هذا المدخل : لا يقتضي منك التخوف ولا يتطلبه بل يتطلب منك شيئين : الوعي - وكعادتك - الاقدام ..

شعبي العزيز :

قررنا جميعا حينما كنا رعايا لاب الجميع محمد ابن يوسف بن الحسن طيب الله ثراه ، قررنا جميعا امتثالا لاوامره رحمة الله عليه ، وتطبيقا لنصائحه ان نردد معه حديث جده صلى الله عليه وسلم « واليوم خرجنا من الجهاد الاصغر لندخل الى الجهاد الاكبر »

وحينما ذكرنا بذلك والدنا رحمة الله عليه ، وقلنا كلنا رجالا ونساء ، : نعم لبيك ، ذكرنا بذلك .. وهو يعرف ما يقول واظن اننا حينما قلنا لبيك كنا نقولها ونحن نعلم ما نقول .

فما هو اذن ذلك الجهاد الاكبر ؟ الجهاد الاكبر هو ما خططناه ورسمناه منذ ذلك اليوم بمشقة وتعب ونصب ، مشقة الاطر ، لايجاد الاطر للتفكير فيه ولابتكاره ولابداعه ولتطبيقه بنصب وتعب لان وسائلنا كانت اذ ذاك جد قليلة وضعيفة ولا سيما ان ازمة علاقتنا مع فرنسا يوم اختطاف الطائرة الجزائرية جعلتنا في حاجة ماسة الى العملة الصعبة حيث أن فرنسا بقطعنا العلاقات معها قطعت علينا لمدة سنوات اعانة كنا في أشد الحاجة اليها .

وسرنا على بركة الله . خطواتنا وخططنا تطوي المسافة خطة بعد خطة وخطوة بعد خطوة والذي ينظر الى النتائج التي حصلنا عليها والاهداف التي بلغناها بنظرة نزيهة وموضوعية عليه أن يقول : نعم ارتكبنا الغلطات واعترتنا في طريقنا نكبات ولكن في المعدل وفي الحصيلة من 20 سنة أو أزيد يمكننا أن نقول أن خططنا وتخطيطاتنا كانت دائما ملائمة لطامحنا وتنم عن روح الطموح المعقول وتظهر في مفعولها وانجازها الجدية وروح التضحية وتنبيء بالمستقبل، المستقبل الرفيع لا المستقبل الغني كل الغنى ولا المستقبل المنحدر الراضي بالحالة كما هي ، بل مستقبلا وسطا لامة وسط نريد ان تظهر خير الله عليها وتستعمله فيما وجب عليها داخل وخارج حدودها .

وفي هذه السنة - شعبي العزيز - انتهى المخطط الخماسي الماضي ، وكنا امام اختيارين : هل سنضع خطة خماسية أم سنجلس جلسة المتأمل ، جلسة الذي يشاهد الحقل الذي عمل فيه ، المنخفض منه والمرتفع ، الاخضر منه واليابس ، السريع الانجاز والبطيء التحقيق .

هذه وقفة التأمل للنظر والبحث وحتى للنقد الذاتي : هل انجزنا ما انجزنا باحسن الوسائل لا من الناحية المسطرية ولا من الناحية الفلسفية ام كان في الامكان اذخار وقت او اذخار مال كما كان لزاما علينا أن نقابل ما سنحققه في المخطط الخماسي وما يوجد لدينا من وسائل لتحقيقه وانجازه .

وبعد التأمل والتفكير الشخصي والمداولة مع الحكومة والاخذ براي الوزراء والاختصاصيين ، اتفق رأينا كجماعة ، وتقرر قرارنا كمسؤولين لتسطير وتخطيط السياسة العامة للدولة ، اتفقنا جميعا كل على مستواه تجمعنا روح واحدة ، روح المواطنة الحقة والوطنية الحقيقية ، وقررنا أن نعرض على انظار البرلمان المخطط المقبل الذي سيتسم بسمتين .

الاولى : ان مدته ستكون ثلاث سنوات .

الثانية : سيكون مخططا في روحه ومفهومه ومنطوقه مخططا انتقاليا مثل المدة التي تفصل بين رسول ورسول لا انقطاع بين الديانات - الفترة - هذه تكمل الاخرى واعتبر ان ما بنيت عليه الديانات الثلاث اليهودية والمسيحية والاسلامية بمثابة المدرسة الابتدائية ثم المدرسة الثانوية بالنسبة للمسيحية وهي الاخلاق والفضيلة وغيرها واخيرا المدرسة العليا اي الكلية والجامعة وهي الديانة الاسلامية التي ما تركت بابا من أبواب التعايش أو ديانات التعايش الفردي أو الجماعي الا وطرقته .

فاذا كنا نريد ان نخرج من مرحلة الى مرحلة وبالاخص اذا كنا نريد ان تكون المرحلة القادمة اعلى

واحسن لا بد لنا من بعض التامل ولا بد لنا من وقت للتعــرف :

اولا : على الاسلحة القانونية والتنظيمية التي يجب ان تكون من هنا الى سنة 1981 جاهزة بيــن ايدينا ، لان اسلحة اليوم ليست اسلحة 20 سنــة مضــت .

ثانيا : لان العالم لا ينتظر مخططاتنــا ليضــع مخططاته . بل العالم يتطور . فكيف سيكون تطور العالم من ناحية المبادلات والطاقة والحوار بين الدول النامية والغنية . وهذا كله يحتم علينا الدخــول فى اطار ما هو سائر فى العالم لا ان يدخل العالــم فى اطار ما نقرره نحن كبلد ضيق صغير . بحيث قررنا ان نطلق على هذا التخطيط ((التخطيط الانتقالي)) . والانتقال بالطبع لا يعني التوقف بل يعني الحركة .

فهو تخطيط سوف لا يقف بنا فيما نحن فيه ، واذا سار لا يمكن ان يسير الى الوراء ، لان الماء لا يرجع الى المنهل فحتى لفظ ((الانتقالي)) ينم عــن ارادة قوية لجعل هذا المخطط الثلاثــي المنطلــق للوثبة الكبرى التي ستقربنا من اهدافنا لسنة 2000.

المخطط الانتقالي الذي لا اريد ان ادخل معك فى تفاصيله ولكن لا يمكنني ايضا ـ شعبي العزيز ـ ان انتظر اعانة ثلاث سنوات ونفس ثلاث سنوات من الفلاحين والشغالين ورؤوس الامــوال والتجــار والابناك واصحاب الاعمال دون ان يعلموا انني بدون ان اكون واضع القوانين ـ سواء التي وضعت او التي ستوضع ـ انني على خبرة منها ، ملم بمقاصدها ، عارف بمحاسنها ومساوئها مقدر لضرورة تطبيقهــا وتنفيذها فى القريب العاجل ..

ان هذا المخطط الثلاثي يرمــي الى هدفيــن :

الهدف الاول : تدعيــم استقلالنــا بالنسبة للمتعاملين معنا فى الخارج ، بمعنى: لا ينفعنا ان نقول هذه رايتنا ، هذا وطننا ، هذه كرامتنا ، هذه حدودنا . ففي الحقيقة نكون فى ان واحد مستعمرين لا الاستعمار الجديد ، ولا القديم ، ولا السياسي ، بــل نكون غير مستقلين فى تصرفاتنــا نظــرا لحاجتنا لما يتعامل به الناس الا وهي العملة الصعبة لتدعيم استقلالنا وايجاد الوسائل وابتكار الطرق حتى لا نكون فى المستقبل فى حاجة الى العملة الصعبة .

الهدف الثاني : تكوين ثروة مغربيــة وطنية من جهة ، والقيام بعمليات لا تقــل اهمية عن العمليات الاخرى .

وهدفنا فى هذا كله الا يتولد عن هذا البطالة وقلة الشغل ، وبالتالــي تدهــور الاقتصاد ، لان خطابي هذا كله سيكون مبنيا على الفرق والغرز بين الاقتصاد والحالــة المالية . وحتى فى الحالة المالية سترون ان هناك فرقا بين العملة الخارجية وبيــن الدرهم وصحته ورواجه ، اذن لنسر على بركة الله ولنبدا الحوار فيما يخص الخطة الانتقاليــة :

ان اسباب الازمة التي نعيشها من ناحية العملة الصعبة تنقسم الى قسمين : قسم لــم نختــره . وقسم اخترناه .. وبالنسبة للذي اخترناه فيه مــا كان اختيارنا محصورا فقط فى المبادرة وواجــب العمل ولكن لا وسيلة لنا تماما لتطبيقــه . وهــذه الامثلة ساعطيها لك الواحدة تلو الاخرى .

ابتدا المخطط الخماسي الاخير سنة 1973 وفى نفس السنة وجهنا فى اولها تجريــدة مغربيــة الى سوريا تتكون من 6000 رجل بمعداتهــا ودباباتهــا ومدافعها وجميع وسائل الاتصال اللاسلكي والسلكي والادوية والطب والصحة وكل شيء ...

وفى اكتوبر من سنة 1973 اندلعت الحرب . فارسلنا فى الحين تجريدة اخرى الى الديار المصرية بنفس الرجال ونفس المعدات وبالتالي بنفس الثمن .

وفى اثناء ذلك حينما كانت المدافع تدوي فى الشرق الاوسط كانت مدافع الضوضاء والفوضى تدوي فى عالم التجارة والمعاملة والاثمان والاسعار ، فكان الانسان او الشركة او الدولة تشتري ما يلزمها من القمح او النفط فيطوف على ذلك القمح او النفط من يطوف فى البحر او البر فيعرج عن الدولة التي طلبته ويتوجه الى الدولة التي دفعت ثمنا اغلى. وهذه معاملة شاذة خارجة عن نطاق المعاملات التجارية .

ان حــرب اكتوبــر كلفتنــا تجريــدة وخسارة الاموال وقد كلفتنا ما لم نكن ننتظره : ان نعيش ونتعايش مع من هو افقر منا ومع من هو اغنى

منا في اطار واحد ، وفي قانون واحد ، وأمام ارقام ومقاييس واحدة ، لقد كان من نتائج حرب اكتوبر ان ارتفعت اسعار البترول وان استيراد النفط ، الذي لم نكن نهائيا نوليه اهمية من ناحية الاداء ، أصبح اليوم بمفرده ــ وهذه من بين الاسباب الداخلية ــ يستهلك تقريبا كل ما يدره ثمن الفوسفـاط فماذا وقـع بالفوسفاط انّنا لا زلنا نستخرج يوما بعد يوم كميات من هذه المـادة .

ومنذ مدة لم نكن نستغل مداخيل الفوسفاط بل ان جميع مداخيله كانت تصرف من التجهيـز ولا تستعمل نهائيا في سد حاجة من الحاجيات ، والآن اصبحت مداخيل الفوسفاط تكفي فقط لاداء أثمان البترول الذي يستهلك في المغرب نظرا لارتفـاع اثمان هذه المادة وانخفاض أثمان الفوسفاط .

ان البترول يستهلك كثيرا في المغرب نظـرا لتكاثر السكان لان مستوى المعيشة ارتفع ، فالذي لا يتوفر على دراجة نارية يتوفر على سيارة وعندما نتحدث عن النفط لا يعني هذا البترول المكرر بـل « الفيول » الذي نستعمله في معدآتنا الحربية وفي اسطول الشركة الوطنية التجارية كمـا يستعملـه أصحاب مراكب الصيد البحري .

فتزايد السكان وارتفاع مستـوى المعيشـة ووضع وسائل الرفاهية بين يدي الشعب المغربي الذي يستحق كل خير ، كل هذا جعل ثمن النفـط المرتفع تزداد كميات استهلاكه .

أما السبب الثالث فهو قبول الامـر الواقـع بسلبياته وايجابياته .

أما السبب الرابع فهو الصحراء واسترجاعها ، لقد تطلب منا ذلك الكثيـر ، تطلـب منـا اولا أن نستدعي أبناء جددا من المغاربـة للانخـراط في الجيش والشرطة والقوات الاحتياطية والـدرك . وتطلب منا نفس المجهود مع المدنيين حيث اننا لما وصلنا الى الصحراء وجدنا لا شيء . وتشجيعا منا لهؤلاء الموظفين الذين يخدمون بلدهم مدنيين كانوا أو عسكريين للتسهيل عليهم والاعتـراف بتطوعهـم وقبولهم العمل في ذلك المناخ الذي كان مجهـولا بالنسبة لهم ، والذي اضطروا ان يبدؤوا فيه من لا شيء ضاعفنا لهم رواتبهم الشيء الذي انعكس على امكانياتنا من ناحية العملة الصعبة ، لان السيارات والبنادق التي اقتنيناها لهم والمعدات التي شيدنا بها المدارس في العيون والسمارة وكذا الحديد الذي بنينا به المسجد في العيون والآلات التي أقمناهـا لتحلية الماء وشبكة الهاتف ، فهذه أشياء كلهـا لا نصنعها بل نستوردها من الخارج وهذا سبب آخـر لصرف العملة الصعبـة .

وفي آن واحد اضطررنا الى اصدار كميـات اخرى من الدرهم لسد الضروريات التي نحتاج لها في المغرب وهذا يمكن اعتباره من الاشياء التي لم تكن منتظرة . ففي 1973 لم تكن الحرب منتظرة وما تولد عنها لم يكن منتظرا ولا يمكن القول اننا لم نكن ننتظر استرجاع الصحراء سنة 1975 بل كانت منتظرة على غير الطريقة التي تم استرجاعها بها حيث كان مـن المتوقع أن يعاملنا الاسبان ونعاملهم معاملة الشريك للشريك ، وان يتركوا لنا الموظفين الاسبان لفتـرة معينة وبذلك كانت الدولة ستتحمل تكاليف الموظفين المغاربة فقط .

وكان من المتوقع كذلك أن يتركوا لنا من يحمي بعض الموانيء ويسير بعض المصالـح وبالتالـي يساعدوننا على تحمل الثقل . كما كان من المنتظر كذلك الا نضطر لمواجهة ذوي القربى :

وظلم ذوي القربى اشد مضاضة
على النفس من وقع الحسام المهند

وهكذا كانت تكاليف الصحراء سواء المدنيـة منها او العسكرية مخالفة تماما لما كان يمكن ان يفكر فيه أي مغربـي .

فلا الاسبان ساعدونا على اجتياز المرحلـة الانتقالية ولا الجيران صانوا الذمة والعهد الذي بيننا.

وهكذا فان مصاريف الصحراء ليسـت هـي المصاريف التي كانت منتظرة . وأثقـل المصاريف والتي لا يمكن أن تقدر والتي لا يمكنني أن اضعها لا في لائحة الملايين ولا في لائحة الملايير ، هـي الارواح التي ماتت ، هي قيمة الرجل كيفما كـان نوعـه ومستواه ، قيمته البشرية وقيمة اخوته لنا ، قيمة بنوته بالنسبة لنا ، هذه الخسائـر لا يمكننـي ان اضعها لا في الميزان التجاري ولا في ميزان الاداءات ولا في أي ميزان ، الا أن أضعها موضـع التقديـر والاحترام والدعاء لاولئك برحمة الله ، مؤمنا بأن الله سبحانه وتعالى سيعطيهم مكانهم ومكانتهـم بيـن الشهداء والصالحين .

الحدث الرابع : التجريدة الاولى الى زايير استجابة الى طلب الرئيس الزاييري موبوتو الذي هوجم في عقر داره .

وحينما زارني الرئيس موبوتو اخيرا سالته نظرا للصداقة التي تربطنا به ما هو السبب الذي ادى الى وقوع اثنين من الهجمات عليه في سنتين متتاليتين . فاجابني بجواب لم اكن انتظره فقال لي : الدليل على انه من سنة 1965 الى سنة 1975 ما تحركت نملة في زايير لمدة عشر سنوات ، وبمجرد استقلال انغولا واتخاذها منهجا آخر وايديولوجية اخرى التي كانت توجد بجوار زايير في ظرف سنتين وقع ما وقع . وهذا - شعبي العزيز - درس عليك ان تستخلصه من هذا كله ان الجوار يعدي حسب ما يقولون فاللهم اجعلنا نعدي ولا نعدى اذن يجب ان نعتبر الجوار مستقبلا من مقومات الاقتصاد فاذا كان الجوار حسنا فسيكون بمثابة مغناطيس لجلب المال واذا كان الجوار غير الجوار فهذا يجب ان يدخل في النفقات . اما العدد الذي سنخصصه لهذه النفقات فالله اعلم به .

السبب الخامس : ومع هذا كله ورغم الحمل الذي نحمله على كاهلنا لم نوقف اي تجهيز من التجهيزات الاساسية بل سرنا نوفي بعهودنا كان في الامكان سنة 1974 او 1975 ان نجتمع ولو كان البرلمان لفعلنا ولكن لانعدام وجود حكم بين سلطتنا التنفيذية وبين ادارتنا التي دقت ناقوس الاهتمام كان يصعب علينا ان نوقف التجهيزات ونوقف ما وعدنا به ولو كان البرلمان موجودا لكنت شخصيا اكثر حرية ولأوقفت تلك التجهيزات لاننا شعرنا بالاخطار ، فهمنا على ان السيارة خرجت عن الطريق ولكن بين هذا وذاك فضلنا ان ندفع المدرسة في آجالها وان ندفع للمستهلكين المستشفى في آجاله وان نتمم في التاريخ الذي قلناه جهاز السقي وان نفتح في الوقت الذي قررناه ورش ذلك الميناء سواء في الشمال الشرقي أو في الجنوب الغربي ، وبكيفية مجملة شعرنا بالخطر ولكن نوعا من الروح الرياضية جعلتنا نتمم حتى لا يقال لم تستشيرونا في وضع الخطة ورغم ما احاط بهذه الخطة من مشاكل خارجية جعلتنا نتحمل وزرنا ووزر الآخرين كان من الواجب عليكم الا توقفوها وتؤدوا لنا الامانة كما وافقتم عليها كلما اجتمع مجلس التخطيط والانعاش الوطني .

اظن اننا قمنا بالامانة وادينا الواجب فربما كان اداؤنا للواجب فيه شيء من الافراط ولكن كان افراطا محمودا ذلك الافراط الذي خلف الملموس والمحسوس الذي يعطي الخير ويشيع الرفاهية .

طيب اليوم نحن نراجع حسابنا ، وحتى لا اطيل عليك اقول ان السبب السادس هو تولي اربع سنوات من الجفاف نتجت عنها خسارة 100 مليار على الاقل .

واذا اضفنا الى ذلك ان صندوق الموازنة الذي جعل ثمن الزيت والسكر والخبز قارا لا يرتفع يتحمل مئات الملايير سنويا فهذا الصندوق يضيف 50 الف مستهلك كل سنة بالاضافة الى المستهلكين الآخرين ويخدم المواطن منذ ولادته الى ان يموت وكيفما كان الحال في يوم ما يجب علينا ان ننظر في هذا الموضوع لانه يخل بسمعتنا وقدرتنا على ايجاد الوسائل وهذا ليس معناه اننا سنرفع من اثمان السكر او الخبز او الزيت بدون اعطاء - شعبي - الوسائل لانتاج كميات كبيرة من السكر والزيت والقمح ولكن لدينا وسائل يمكن بواسطتها الضغط على انفسنا بالتخفيض من استهلاك السكر لاننا بالنسبة للعالم بأسره الدولة الوحيدة التي ضربت الرقم القياسي الاول في استهلاك السكر بالنسبة لكل فرد من افراد الشعب .

وهناك جانب آخر واظن هو الذي سوف اتطرق اليه بالتفصيل في هذا الخطاب وهذا الجانب اعطيته الرتبة الثامنة : هو انعدام المال في المغرب . كيف ذلك والسيارات وحوادثها - لا حول ولا قوة الا بالله - تتكاثر يوميا ، اينما حللت وارتحلت تجد الاوراش ، هذه دور تبنى وهذه عمارات ترفع ، هذه شركات تبني معامل . اقول هناك نوعان من الادخار - الادخار العقاري . مثلا عندي مال لم اضعه في البنك او في صندوق الايداع بل اشتريت به مواشي او اشتريت منزلا او اصبحت شريكا مع انسان آخر لشراء دار بحيث المال موجود في المغرب ولكن عندما تفتش عنه تجده قد تجسد في عقار او كسب او فلاحة :

فلما بحثت عن الاسباب وجدت حقيقة ان هؤلاء الناس اذكياء وليسوا باغبياء حتى يضعوا اموالهم في صندوق الايداع او غيره لكي يحصلوا في آخر السنة على فائدة بنسبة 4ر5 في المائة . والحالة هذه ان للمدخرين شجعناهم على بقاء اموالهم في الابناك وهذه الذوبان المالي سنويا هو 7 في المائة . ايديهم ولو كان هناك توازن في الربح بالنسبة مما يجعل هؤلاء الناس يفضلون ترك اموالهم بين

الاموال هي التي ستنوب عن مال الدولة للمشاركة وانجاز المشاريع . فالادخار القومي يجعلنا معوزين من ناحية المال المغربي ، وذلك العوز يجعل الدولة محكوم عليها بالقيام بكل شيء ، وهذا طلب وحكم او رغبة او امل ولنسمه كما نريد لا يمكن ولا يعقل ولا يرى في اية دولة .

فلنا قررنا وأعطينا اوامرنا لحكومتنا حتى تنظر في هذا الموضوع وحتى تكلف الابناك ما يجب عليها من دفع للمصالح من ربح للذين يودعون اموالهم عندها .

كيف الخروج من هذه الحالة ،، الوسائل ستنقسم الى قسمين في نوعيتها ولا في طبيعتها ، القسم الاول : قسم العملة يجب علينا ان نبحث عن جميع الطرق التي تؤدي بنا الى دفع اقل ما يمكن من العملة وامتلاك اكثر ما يمكن من العملة ذات الروجان وذات القيمة فلهذا يجب اجماليا ان ينكب وزير المالية ووزير التجارة ومدير الجمارك على لائحة الواردات . ويقولوا لا لكل ما نستورده . لا للانواع التي تاخذ من التجهيز بنصيب كبير ويضعوا لها حدودا ومسطرة فاذا نحن توصلنا في آخر هذا المخطط الثلاثي الانتقالي الى توفير 20 في المائة فقط مما نستورده يمكننا ان نعتبر ان معركتنا على هذا الصعيد قد ربحت ربحا تاما .

فاذن علينا استيراد ما هو مهم في حجمه ووزنه وفي ثمنه ولا يمكن ان نعوضه باي شيء ، علينا دون ان نمس برجال الاعمال او الشركات التي تبني لنا وتشيد لنا وتفتح لنا الطرق وتبني لنا السدود علينا ان ننظر في امرها . وان نعمل ما في وسعنا للتقليل من حجمها بقدر لا يتجاوز 20 في المائة ، واذا وصلنا الى هذه النسبة فنكون قد حققنا شيئا كبيرا .

ولكن وزير المالية ووزير التجارة ومدير الجمارك ليسوا كافين لتطبيق هذه الخطة تطبيقا نزيها ، فعلى اصحاب وارباب ومديري الابناك ان ينظروا الى هذا المشكل بعين المواطن الوطني ، واننا سوف نطلب منهم حينما يشرعوا في البحث مع وزرائنا ان يبذلوا اسلوبهم ويغيروا طريقهم ، عليهم قبل كل شيء ان ينسوا لمدة سنوات ــ الربح الربح ــ الربح ــ ان من مصلحتهم انجاح هذا المخطط حتى في التشجيع على التوفير وكلما نجح المخطط الانتقالي نجح المخطط الذي بعده ونجاح المخطط الخماسي المقبل بعد الثلاثي اذا كان الثلاثي متقنا سوف لا تكون بينه وبين الخماسي الاخير اية نسبة بل سيكون المخطط الخماسي المقبل بمثابة مخطط التحليق ستكون الطائرة قد خرجت من طور الاقلاع وتكون اخذت مستواها وحلقت وحينما يحلق الانسان يمكنه ان يرى بسهولة اكثر الارض ليعرف ما هو اخضر منها وما هو يابس .

الطريقة الثانية مراجعة ما نستورده لايجاد روح الابتكار ومحاولة الانتاج ــ محليا ــ ما نستورده من الخارج .

طريقة اخرى مثلا ، ان نجعل ولو ان قيمة الدرهم وقيمة الفرنك الفرنسي فقيمة الدرهم اكثر ، فيما يخص عمالنا الموجودين في الخارج ان نجعل الدرهم والفرنك الفرنسي على قيمة واحدة ، وهذه وحدها من شانها ان تدخل المال الكثير ، وقد اعطينا امرنا الى وزيرنا في المالية ليصبح هذا القرار نافذ المفعول ابتداء من غد الاثنين (1) .

لنا ثروة اخرى اخيرا وهي السياحة ، سياحتنا تدخل علينا من العملة الصعبة تقريبا ما تدخله السياحة التونسية على تونس .

والحالة هذه انك تعلم ــ شعبي العزيز ان تونس بالنسبة للمغرب الجديد مع صحرائه تمثل الثالث أو الرابع مساحة وسكانا وامكانيات ، فلا سياحتنا مشت كما كنا نرجو ، ولا هي حتى في بعض الاماكن اظهرت المغرب بالمظهر اللائق به ، بمعنى المغرب الطاهر ، لان المغاربة « نقيين » المغرب المضياف لان المغاربة « مضيافين » هذا يرجع الى عدة اسباب ، منها كما قلت لك ان في المخطط كانت آلاف الاسرة ستكون جاهزة وفي تخميننا وتخطيطنا كنا ندخل في تلك الاسرة العدد الذي ستاتي به المبادرات الخاصة للخواص ، ولكن ، مع الاسف كان حظ الخواص قليلا واقل بكثير من الشيء الذي كنا ننتظره .

وهنا نضع يدنا على مشكلة اخرى ستدخل في جملة التدابير التي ستتخذ ، لماذا لم يقم الخواص بواجبهم ؟ اهم في حاجة الى مال ؟ ام هم في حاجة الى قاموس واحد يستعملونه مع الادارة ؟ ام هم في حاجة الى التنقيص من السلالم والابواب والمواعيد والتلفونات ؟ وللاخذ باذن في ان واحد ، في يوم واحد ، وا ذاك تكون لهم جميع التسهيلات الموجودة؟ ربما كل هذا موجود ، ولكن عدم استعمال قانون واحد

(1) 5 يونيو 1978 .

للتعامل مع الادارة ، وعدم استعمال قاموس واحد ، فتعقد الامور بين الادارة والمستهلكين هو مشكل لا يعرفه المغرب فقط ، بل جميع الدول التي ارادت ان تراجع حياتها بكيفية تعالج المشاكل حقيقة في كنهها وعمقها . جميع الدول العاقلة نراها اليوم تنكب بالاسبقية على القوانين والعوائد - أقول حتى العوائد التي يتعايش في اطارها المواطنون والادارة.

وفي هذه المدة سنسلط الانظار بكيفية خاصة كذلك على مجالات أخرى تضيع فيها أموالنا ذلك - شعبي العزيز - انك تعلم انه منذ الحماية الى يومنا هذا - بمعنى ستين سنة - والمكاتب والمصالح شبه الرسمية تخلق وتنشا ، وحينما تخلق وتنشا لا يمكن أن يشك أبدا وحقيقة في الضرورة الى ايجادها وخلقها ، لا يمكن ان اضع الشك ولو لحظة واحدة على النزاهة في خلق مكتب من هذه المكاتب منذ سنة 1912 الى يومنا هذا ، ولكن منذ 1912 مرت حربان عالميتان ، جيلان مرا ، لباس الموظفين تغير والحاجات ونوعية الحاجات تغيرت ، والحجم تغير ، فلم ننظر قط هل من الممكن او من الواجب أن نحذف واحدا أو اثنين او عشرة من المكاتب .

الذي اقوله لك هو انها اكثر من ثمانين - وفي يوم قادم ستاتي المناسبة على سبيل البسط كما يحدث لي أنا وأياك - واقول لك كم عندنا من المكاتب فهي الآن أكثر من الثمانين بحيث يستحيل على دولة لا تراجع بعد جيلين لا العدد ، ولا نوع المكاتب فعلينا في هذه المدة أن نكرس جهودنا للبحث في لائحة هذه المكاتب والمصالح شبه العمومية أولا ، لا للبحث في سيرها وكيف تسير وكيف تسير ، هذه مسالة ثانية بالنسبة لي ، بل لنبحث هل لا زالت تستجيب الى الهدف المنتظر منها أم لا وربما انشئت في سنتين او عشرين سنة بعدها مكاتب أخرى تعاكسها او تجعل نفسها اطنابا لوجود ذلك المكتب او تلك المصلحة .

فعلي اذن ان أجد رجلين في القريب العاجل ، رجل ينظر في مسطرة التعامل بين الادارة والخواص والناس الذين يريدون ان يستثمروا اموالهم ويقربوا المدار بالمدير ، والموظف بالمستهلك .

الرجل الثاني علي ان أجد أحسن رجل ملم بالمشاكل متمشي في الاطار ليبحث أولا عدد المصالح واسباب نزولها ، هل تلك الاسباب لا زالت قائمة الذات أم لا ؟ .

وفيما اذا كانت لا تزال قائمة السدات لماذا لا يتحملها هذا المكتب ، لانه خلال الستين سنة تطور العالم وتطورت المصالح وتطورت الاغراض وتطورت الاذواق فلهذا انا في حاجة الى هذين الرجلين ويجب علي ان اعثر عليهما وسوف يوفرهما لنا الله سبحانه هذان اللذان سيكون عملهما عملا جد مهم نفس الاهمية التي نعطيها للتدابير التي قلت أننا سنتخذها .

شعبي العزيز :

الآن سوف ندخل في بعض الارقام ولكن بكيفية فلسفية بكيفية تجعلك لا تمل .

اذا كان مدخول الشخص 10 وينفق ثمانية عشرة لا أقول انني ساقول له احسنت ، ولكن هذا لا يبرر موقف التشكك وموقف الاتهام ، حيث انني يمكن أن أقول ربما سيتوفر له شيء من الخير او هو ينتظر شيئا من الدخل ، هذا اذا فعلها مرة واحدة ، اما اذا فعلها مرة ثانية فسوف يجري عليه ما يقوله الفقهاء : ((سفيه سلا)) بحيث يلزمه الحجر .

وهذا ما وقع للمغرب ادخلنا عشرة وصرفنا ثمانية عشرة ولكن والحمد لله ان المصاريف لم تصرف في التسيير ، ولم تصرف من اجل خلق الوظائف التي ليست ضرورية ، لم تصرف في الوظائف الا فيما يخص الصحراء ولكن اين ذهبت الاموال ؟ ذهبت مئات الملايير التي تجاوزت 350 و 400 - والتي كانت من نصيب صندوق التوازن ، حتى امكننا تناول السكر والقمح والزيت بهذا السعر ودخلت في ارتفاع الاجور التي رفعنا منها منذ سنة ونصف السنة ، ودخلت في جميع الاصلاحات الاجتماعية التي الحقناها بالمغاربة ويستحقون كل خير ، كانوا في الاطار الرسمي أو في الاطار شبه الرسمي .

وهذا استهلاك بدون تعويض لا يرد علينا شيئا ، ولكن الثمانية ملايير التي هي الفرق دخلت في المدارس التي سلمنا مفاتيحها في الوقت المقرر وفي المستشفيات دخلت في منحة العشرين الف طالب الموجودين في التعليم العالي ، ولا توجد دولة أخرى في العالم من امريكا الى روسيا تؤدي للتعليم العالي عشرين الف منحة في الخارج ، بحيث ان الفرق لم يصرف الا في التجهيزات الاساسية ، واما في

التجهيزات الاجتماعية ، ولم يصرف اي مبلغ فى غير محلـــه .

معلوم أن الاموال التي تركناها فى سوريـــا ، والتي تركناها فى مصر وفى زأييــر لم تكــن فى الحسبان . وعند تقويمنا لذلك نجــد ان العملــة الصعبة وبقيمة ما ترك من معدات والمؤونة ــ لاننا كنا نرسل اموالنا بالعملة الصعبة لا بالدرهم ــ ومجموع هذه المبالغ يتراوح بين 350 و 400 مليار ،، هـــي كذلك لها وزنها .

ثانيا : اشترينا تجهيزات اخرى وهي تجهيزات الجيش سنة 73 ولم تكن اذ ذاك قضية الصحــــراء مطروحة والله سبحانه وتعالى يعلم ان مخططنا فيما يخص تجديد الجيش الملكي لم يدخـــل فى أولـــه اعتبار للصحراء ولا للجيران ولا لروح عدائيـــة لاي احـــد .

مقومات ذلك التخطيط : تعويض ما تركناه فى الجولان وفى سيناء ــ فى تلك الفترة لم تكن احداث بالزايير ــ وتعويضه بما هو احسن ، ولما جاءت حرب اكتوبر ، الدبابة التي كانت تساوي 150 مليون ارتفع سعرها الى 350 مليون ، الطائرة التي كان يبلغ ثمنها مليارين اصبح خمسة ملايير ، ولذا أعطيت أمري الى مفتش الطيران الكولونيل القباج بأن تطيــر تلــك الاسراب من الميراج التي طارت بالامس فوق فاس ليراها المواطنون وليراها الشعب وليعرف كل احد قيمة ما دفعناه وقيمة ما اقتنينــاه له ، وعندمــا تتصورون انكم لم تشاهدوا سوى ست طائرات فى انتظار 75 اخرى وهذا ضروري ، لان المغرب لــه تاريخ مطبوع بالدفاع عن حوزة البلاد ومطبوع بالقيام بالتزاماته نحو اصدقائه واشقائه اذا هم استغاثوا به.

عليك ــ شعبي العزيز ــ أن اردت أن تكـون شعب المسيرة ، وشعب المغرب الجديد الذي زاد اكثر من الثلث على مساحته برا وبحرا ، واذا اردت ــ شعبي العزيز ــ ان تكون فى مستوى مسؤوليـــة حماية وحراسة مضيق جبل طارق للملاحة الحرة فى البحر الابيض المتوســـط ، واذا اردت ــ شعبـــي العزيز ــ ان تقول : لبيك ، كلما طلب منك النجـــدة والمعونة جار فى افريقيا من الجيران او شقيق من الشرق والاسرة العربية فى آسيا او فى افريقيـــا نفسها ، عليك أن تعلم وتعرف هل ستنزوي ام ستكون ذلك الشعب الذي عرف طيلة التاريخ بالنجدة .

فكيف يعقل أن يوسف ابن تاشفين قطع البوغاز لان ملوك الطوائف استنجدوا به وان لا نقطع الفيافي وا لقفار كما يقولون للدفاع اليوم عن الزايير او عـــن سوريا او عن مصر أو عن اى بلد يطالبنا بالنجدة ، فهذا اذن يقتضي منا تضحية .

الاسلحة تشترى بثمن مرتفع ، وتشترى بعملة صعبة . فلذا علينا ، ــ شعبي العزيز ــ أن نعلم ماذا نريد واذا اردناه فلا بد من الصبر لان اعمال العقلاء منزهة عن العبث فحينما يختار شعـــب كالشعـــب المغربي اختيارا ، عليه ان يعرفه ويستمر فيه لانه شعب عاقل ولم تتسم قط أعمال المغرب لا فى قديم الزمان ولا اليوم بأعمال الجنون والاستخفاف بالامور او بالطيش .

عليك ــ شعبي العزيز ــ ان تعلم أن مشكلتك فى الحقيقة ليست مشكلة اقتصادية ، وانني حينمـــا قررت ان اخاطبك اليوم قررت ان اخاطبــك بتلــك الصراحة التي تعرفها في .

انني لم أكذب ولن أكذب عليك ، وحينما أقول لك ــ شعبي العزيز ــ لا تخف ، لا ، كن يقظا كـــن أكثر عملا كن اكثر بصيرة بمشاكلك فقط ، اياك ثـم اياك أن تتخوف وأن يدخلك الرعب فحينما اقول لك ان الظروف المالية التي نجتازها هي ظروف ظرفية فقــط :

أولا : لان درهمنا لا يزال قويا بحيث يمكن لاي احد تحويله فى أي مكان يشاء .

ثانيا : المحصول الفلاحي هذا العام والحمد لله جيد ورفع عنا عبء استيراد القمح .

ثالثا : لست انا الذي اقولها ولسنـــا نحـــن المغاربة الذين نقولها ، وانما الاختصاصيــــون فى التجارة العالمية هم الذين يقولون ويؤكدون على أن احوال المعاملات التجارية سوف تتحسن وترجع فى القريب العاجل الى نفس المعاملــة على الاقـــل فى الشكل ، وفى عدم التوازن بين الحد الادنى والاقصى. ونفس الاخصائيين يؤكدون لنا بكل نزاهة على أنــه ابتداء من سنة 1980 ستتحسن حالة الفوسفاط فى العالم بأسره ، بحيث حالتنا الاقتصادية ، هل رأى واحد منكم كان مغربيا أم اجنبيا أو سائحا ، حركـــة البناء تقل ؟ هل رأى عدد السيارات يقل ؟ هل رأى الناس الذين يذهبون الى السينمـــا أو ستراهـــم يذهبون فى الصيف الى شاطىء مدينتهم ؟ لا ، بـــل

ياخذون سياراتهم فالذي في الشمال يذهــب الى الجنوب والذي في الجنوب يذهب الى الشمال .

اذن حينما اقول لك : لا فثــق ان حالتنــا الاقتصادية في تحصين ، حالتنا من حيث الدرهــم هائلة ، الحالة بالنسبة الى العملة الصعبة لا يمكننا ان نطبع الدولار ، بل يجب أن نكتسب الدولار وحتــى هذه الحالة الظرفية تطلب منك ثلاث سنوات مــن الصبر ، وهي سنوات مهمة جدا لان هذا العام هــو اقبح السنوات ، لان الانسان عندما يريد تسديــد ديون او قروض فان الدين يتصاعد الى القمة والقمة اليوم هي سنة 1978 ويمكن لي ان اقول لك بالرقم ان ما يقرب من 950 مليون دولار يجب علينا تسديدها هذه السنة ، اي مليار دولار ، ما هــي وسائلنــا ؟ يجب ان نشد الاحزمة عما لا تدعو الضــرورة الى استيراده من الخارج ، ونحاول جلب اكثر ما يمكن من العملة الصعبة في اليد العاملة ومن السياحة ونشجع اكثر ما يمكن بيع المنتوجات المغربية والتشجيع على البيــع .

وبقيت وسيلة اخرى ، على كل حال الفقــر لا يقتل ، ولكن الفقر الفكري والذل هو الذي يقتل ، اما الفقر لا يقتل فكل دولة من الدول عرفت هــذا في حياتها كما ان هناك وسيلة اخرى وهــذه مسالــة سياسية من مشاكل الحكومة وهي ان تطلب من الدول التي اقرضتنا ان تمدد او ان تجد حلا لاداء الديون وتضع يومية اخرى لذلك واياك ان تتخوف - شعبي العزيز - لاننا لسنا في عام 1912 بحيث اذا لم نؤد ديوننا سوف تعود الينا الحماية ففي هذا البــاب تغيرت الامور وتبدلت الاوضاع فاليوم لو طلبت دولة حماية دولة اخرى لرفضت وقالت لهــا تكفينــي مشاكلــي .

ولذلك فان تطلب دولة من دولة اخرى - خصوصا اذا كانت هذه الدولة صديقة - اعطاءها اجــلا فان طلبها سيلبى بحيث لم يعد هناك خــوف ولا خطــر فالخطر الوحيد الموجود هو ان نطلب هذا الطلــب ويلبى ويرى اننا لم نفعل اى شيء بالنسبة لنا الذين بقينا نعيش على الهامش ، ولا اظن - شعبي العزيز - انا سنكون تلك الدولة التي تامر بالمعروف وتنسى نفسهــا .

واريد ان اختم بجملة قراتها البارحة في كتاب للمؤرخ الشهير « توينبي » الانجليزي فقد زارنا في الرباط والقى محاضرة امامنا ، وتوينبي معروف في العالم وعلى المستوى العالمي وكنت اقرا له البارحة انه يمثل الدول التي لعبت دورا مهما في التاريــخ بالشوارع والازقة فيقول : ان هناك دولا كالشارع ذي الطريقين وهنا دول كزنقة طويلة ولكن لا منفذ لهــا فالدول التي بمثابة ذلك الشارع الكبير تلك الدول تطبع (بضم التاء) ولا تطبع لانها ممر فقط تلــك الدول التي مثلها بالشارع ذي الطريقين تطبع (بضم التاء) من مر على طريقها وبالشارع ، الفني طبعهــا بغناه : مر عليه الفقير طبعها بالفقر مر عليها من يرى الى خيراتها للاستيلاء عليها طبعها فهي تطبع (بضم التاء) ولا تطبع لانها في روجان مستمر ، وهنــاك بعض الدول التي هي بمثابة زنقة بدون منفذ وهــي تطبع (بفتح التاء) ولا تطبع فحينما رايت الخريطة وجدت احببت ام كرهت ان المغرب نظرا للبوغــاز ونظرا للصحراء وغيرها هو زنقة من الازقــة غيــر المفتوحة التي ليس لها منفذ ، فقلت اذن لا، ولمــا رايت اصبحت اشعر بالخيلاء والاعتزاز .

« واذا رايت ثم رايت نعيما وملكا كبيرا عاليهم ثياب سندس خضر واستبرق » .

المغرب والحمد لله تلك الزنقة الي لا منفذ لها كنزت البحوث العلمية وانجبت العلماء الفطاحــل وخلقت الاصالة وروح المعاملة وقامت بما قامت به في تخوم افريقيا وفي بلاد اوروبا ، المغرب تلك الزنقــة التي تطبع (بفتح التاء) ولا تطبع وهنا يجب علينا ان نختار بين ما يحوي الشيء وبين ما هو في الشــيء فاذا اردنا ان نكون الماء الزلال ولو في زجاجة متوسطة كنا ذلك الماء الزلال حتى نشتري بانفسنا الزجاجة او القارورة التي تستحقنا ونستحقها ، فاذا اردنا ان نكون تلك الدول ذات البريق ذلك الشارع ذي الممرين ذلك الكاس البراق المغربي ولا نعطــي اهمية لمــا سنشربه ونسقي به الرائحين والغادين وللزائريــن والمستقرين اصبحنا دولة لا تفكر الا في القشــور تاركة اللبــاب .

ولكن المغرب ولله الحمد في سير مضطرد له مشاكل كجميع الدول ، ودائما حل مشاكله بلباقــة وحلها بشرف لذا اعتقد شخصيا ان ذهابنــا الى الزايير ولو في المرة الثانية هي من خصال المغرب واذا اقتضى الحال ذهاب المغرب الى الزايير مرات عديدة سنعود وسنرجع ما دام الامر لا يتعلق بالسكان انفسهم وما دام الامر هو من اعمال نظام مخالف لنــا

روحا وشرعا وسلالة سنرجع . واذا لم اكن انا سيذهب الآخرون .

ثانيا : اعتبر شخصيا لانصاف المغرب اعتبر نفسي واعتبر المغرب دولة من دول المواجهة فاذا كانت المواجهة هي اراقة الدماء فقد ارقناها ، ولانصاف المغرب ـ لا لانصاف الحسن الثاني ـ فى الآن وفى المستقبل ربما ساضع ترشيح عضويتي فى جنيف اذا كانت جنيف لان من حقي ومن حق المغرب الذي مات والذي هو مستعد ان يموت مرة ثانية اذا كان هناك صلح لا ان يتدخل فى شكل الصلح لا ، ولكن دوره سيكون للاتيان باكثر ما يمكن من الضمانات لاستمرار ذلك الصلح ودوامها نحن لا نريد أن نتدخل فى شبر هنا من الحدود او شبر هناك . نحن اذا دعتنا الضرورة لكي نستشهد لسبب معقول فلن نتاخر اما ان نذهب فقط لمجرد التضامن لان أحمق تشابك مع أحمق مدة عشرين او ثلاثين سنة ونستحي لان نظل واقفين دون ان نذهب لان نموت لان السلم لم تضمن سنذهب ولكن سنضيع اموالا ووقتا وارواحا وجهودا ولا سيما ـ شخصيا ـ اعتقد ان الحالة الدبلوماسية الموجودة عليها المغرب بين الدولتين الكبيرتين أمريكا وروسيا من شانها ان يجعلها تقبلان هذا الترشيح وان لا تريا فيه الفضول او التطفل ـ الاموات ليست تطفلا الاموات من دواعي الملكية ومن أسباب الملكية ـ فجنيف هي ملك لكل من مات ، والمغاربة ماتوا فى الشرق الاوسط ، وربما وجود المغرب الذي له علاقة مع الجميع ان يسهل المامورية ، ولكن اقول مرة ثانية ، هذه المامورية ستبرر عملي وعملي فى المستقبل كما برر ما وجد فى زايير عملي فى افريقيا وعملي فى المستقبل .

لهذا ـ شعبي العزيز ـ كما قلت لك فى الاول ـ هذه الراحة فى السرعة التي قررنا ان ناخذها لثلاث سنوات هي ـ نستغفر الله من المثل ـ ولكن ربي لما خلق السموات والارض آستوى ،، الراحة وكل ثورة لا تعرف مدة الاستراحة الا وهي ثورة فاشلة . وهذه الثلاث سنوات ستجعلنا نفكر فى تقييم أهدافنا وتجديدها .

هدفنا هو القرن الفين وليس هو التصميم الخماسي او التخطيط الثلاثي هدفنا الوصول الى سنة الفين بما كنا نريد أن نصل به : من معدات بشرية ومالية وصناعية واقتصادية واجتماعية .

وانني حتى لا افاجيء البرلمان وحتى لا يعتقد ان فى مثل هذه المسائل انني وثبت على المرحلة النيابية وخاطبت مباشرة شعبي ساقوم فى الغالب بحق خوله لي الدستور الا وهو ارسال رسالة ملكية الى البرلمان يقرأها من يقرأها ولا تناقش فنوعية الرسالة هي التي لم أحددها الآن . هل ستكون رسالة توجيهية لخطابي هذا ام ستكون رسالة اقرب الى الارقام والاختيارات الدقيقة ؟ المهم هو انني سارسل هذه الرسالة وارى نفسي ملزما روحيا وادبيا لماذا ؟ لاننا حينما عرضنا ميزانية 78 على مجلس النواب أشرنا اليهم وقلنا اعطوا لنا القانون المالي بسرعة لان الوقت حل .

وحقيقة عدة نظريات وافكار وحتى عدة شخصيات لم نكن نعرفها كانت ترغب فى الكلام والدراسة واشفاء الغليل وحتى نحن كنا نرغب فيما سيقدمه لنا الآخرون ولكن حسن المواطنة ـ وانا أعرف أن المغاربة حينما تتعلق المسالة لديهم بالوطن يراعون الظروف ـ حسن المواطنة جعلت جهازي التشريع والتنفيذ يتفقان على صدور القانون المالي بعلاته حتى لا يتوقف السير الاداري .

فمن باب هذه بتلك اعطيهم الفرصة فى أقرب وقت ممكن للمذاكرة فى شيء يهمهم لمدة ثلاث سنوات ، وحقيقة اقول لهم تعالوا لنتذاكر فى القانون المالي ولا اطلعهم على نظريتهم . لا . بحيث حتى لو لم ارسل الرسالة سيناقشونه فى المخطط ولكن اريد أن أكون منطقيا مع نفسي بالنسبة لهم ، وانني انتظر منهم ان ياتونا بافكارهم بكيفية نزيهة ولا شك انهم سياتونا بها ولا شك أنهم سيعملون صباح مساء لانهم يريدون ان يجدوا مطية فاحسن مطية لرجل سياسي يريد ان يمثل جهة او قرية احسن مطية واشرفها هو المخطط ثلاثيا كان أم خماسيا فلي اليقين أن أفراد شعبي من مجلس النواب سوف ينظرون الى هذا المشكل بعين التقدير وعين الاعتبار وسيتفهمون ما دعانا الى آتخاذ هذه التدابير وما دعانا الى اختيار المدة الوجيزة لانه كما قلت لكم فى عام 1981 اظن ان مشاكلنا الكبرى ستكون قد انتهت نهائيا فلهذا لماذا التدابير الزجرية التي تجعل الناس يخضعون لجزر او تضييق اذا كفتني فيها ثلاث سنوات اضع لها خمس سنوات ؟ او لما ذا اضع ثلاث سنوات فى شكل وسنتين فى شكل آخر ؟ . لا . لنكن منطقيين مع انفسنا ونفكر فى تطبيق ما يمكننا

من الحصول على العملة الصعبة لا ارى لا جهـازي التنفيذي ولا جهازي التشريعي ، لا ارى واحدا مهما يمكنه الا يكون متفقا على خطة كهذه .

والله سبحانه وتعالى الذي لم يرنا الا الخير ولن يرينا ان شاء الله الا الخير هو الذي سيهدينا فى طور التخمين والتفكير والتخطيط سيهدينا الى احسـن السبل لانه سبحانه وتعالى ما آشار علينا بدعـاء الا وكان ذلك الدعاء مستجابا من اوله . سننفذ مخططا وسنختار ولحد الساعة لم نختر سوى شيئين :

الاول : كل ما بدانّاه يجب ان يتم تنفيذه .

الثاني : اريد ان يعم المخطط الثلاثي المغرب كله ، اليد العاملـة فى كـل ورش ولا أريـد ان ارى البطالة واذا كنا سنضمن للشعب المغربي العمل فى أوسع نطاق ، توسيع الاجور على النـاس واذا ستتمم ما بدانّاه وفى آن واحد سنوفـر المصاريف لآخـره .

واني أريد ـ شعبي العزيز ـ بعد هذا الحديث ان اختم أنت وأنا بهذا الدعاء : « ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيىء لنا من أمرنا رشدا » .

صدق الله العظيم .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

> « مـا اكثـر ما تقتضيـه مصلحـة بلادنـا مـن جهـود ومـا اجـل مـا هـو موكـول الينـا من استبسـال ترجيحـا لكفة الايثـار وتغليبـا لنوازع التضحيـة والعطـاء والاسترخـاص » .
>
> جلالـة الملـك
>
> الحسن الثاني

في الرسالة الملكية السامية إلى مجلس النواب :

إن درجة ما حققناه من رقي ونمو وتوسع تثير إعجاب من يعنون بالمغرب

● وجه جلالة الملك نصره الله رسالة سامية الى مجلس النواب بمناسبة الاعلان عن وضع تصميم ثلاثي انتقالي سبق لجلالته ان استعرض خطوطه العريضة فى خطاب 4 يونيو المنشور فى هذا العدد .

وفيما يلي النص الكامل لهذه الرسالة الملكية التاريخية التي تسجل منطلق فترة حاسمة فى اقتصادنا الجديد .

وكان السيد امحمد أبا حنيني وزير الدولة المكلف بالشؤون الثقافية قد تلا رسالة جلالة الملك أمام السادة أعضاء مجلس النواب :

الحمد لله

والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه

ايها السادة النواب أمنكم الله ورعاكم ووفقكم وسدد خطاكم والسلام عليكم ورحمة الله .

وبعد فتنفيذا لما أشرنا اليه منذ ايام قليلة نتجه اليكم بخطابنا هذا مؤملين أن تعيروا ما سنعرضه عليكم من شامل العناية وحصيف النظر ما يكلف الاثار المرجوة الحميدة والنتائج التي تبتهج لها الافئدة وتسعد بها النفوس .

غير خاف عليكم ، ايها السادة ، ان المغرب خاض فى اثناء السنوات الخمس الاخيرة معارك متعددة كانت كل واحدة منها حاسمة وكان جميعها لا يختلف بعضه عن بعض بالقياس الى الاساس والاهمية، وهذه المعارك وان اختصت كل واحدة منها بمستواها ، وامتازت بفلكها الذي تدور فيه ، اقتضت منا ان نعبىء جميع امكاناتنا ، ولولا وطيد العزم الذي اظهره المواطنون زرافات ووحدانا ، ولولا اسهامهم ومشاركتهم وما تمسكوا به من التزام قوي عميق لما افضينا بكل معركة من هذه المعارك ، ذات البعد الشاسع ، الى نهايتها المنشودة .

وبدانا اول ما بدانا بعمل واسع النطاق لتحقيق النمو والازدهار ، ولم نكن نجهل ما سيعترضنا لا محالة من صعاب ولا ما سيقوم على طريقنا من عراقيل ، ولكننا كنا مصممين يومذاك كما بقينا مصممين باتصال ، على تذليلها والانتصار عليها . تعلمون ، ايها السادة ، ان رغد عيش المواطنين ، افرادا كانوا ام جماعات ، ظل على وجه الاستمرار ، احد فروع اهتمامنا الاكبر ، وعنايتنا البالغة ولم يكن فى وسعنا ان نؤمن لرعايانا الاوفياء هذا الرغد الضروري الا بأن يخوض المغرب غمار معركة اقتصادية واجتماعية متسعة اتساعا يعز مثيله .

فلم يعهد فى تاريخ المغرب ، قبل حقبة السنوات الخمس الاخيرة ، ان انصرفت بلادنا الى ما انصرفت اليه من بناء وتشييد وانشاء واستثمار ، ذلك ان هذه الحقبة شهدت ميلاد السدود والمعامل الكهربائية والمركبات الصناعية والمستشفيات والجامعات فى عرض البلاد وطولها ، وجاء ميلاد كل هذه الانجازات استكمالا او تمديدا للتجهيز الاساسي ، ولم يهمل اقليم من اقاليمنا بل حرصنا حرصا دائبا على ان ينال كل فرد حظه من الخير المهيا للجميع .

ولكن رغد العيش وان بلغ ما بلغ كان خليقا بان يظل ضربا من الاوهام ، وجهودنا كانت حرية بأن تبقى عديمة الجدوى لولا ان باشرنا الى جانب ذلك عملا لا يقل اهمية ووزنا ، الا وهو تخويل المواطنين منفردين ومجتمعين التمتع بالممارسة الفعلية للحريات والحقوق الاساسية .

ووفاء بالتزاماتنا وتلبية لرغبة اثيرة من رغائب شعبنا ، فقد تصدينا لتأسيس الديمقراطية وتشييد بنيانها لتتسنى اسباب المشاركة لجميع افراد شعبنا فى تدبير وتسيير الشؤون العامة .

وهكذا سيكون مصيرنا عملا مشتركا وسيظل فى مستوى طموح الجميع وارادته ومجهوده ؛ ولعل الرهان كان يبدو متسما بسمة المغالاة ، الا اننا لم نتردد لحظة واحدة فى ابتغاء كسبه مستمدين قوتنا وعزيمتنا من رصيد الوطنية التي داب المواطنون المغاربة على التحلي بمزيتها طوال تاريخنا المجيد .

وفى ذلك الوقت بالذات نازعتنا اعمال مختلفة، وسيظل الدور الذي اضطلع به جيشنا الباسل المقدام فى مرتفعات الجولان وفى حومة سيناء ، والتضحيات التي بذلناها بسخاء مفخرة من مفاخر شهامتنا الوطنية .

ثم استجبنا بعد ذلك لنداء الزايير ، وقمنا بشد ازره عندما انتهكت حرمة سيادته ووحدة تراب ارضه .

ولكن شيئا من هذا كله لم ينسنا ما كنا نراه امرا جوهريا ، فقد كان جزء من ترابنا الوطني خاضعا للسيطرة الاجنبية ، وكان لزاما علينا ان نستعيده فاسترجعناه بالفعل فى دائرة القانون والمشروعية واحترام احكام القانون الدولي ، غير ان استرجاعنا للصحراء يكلفنا تضحيات ويجسمنا نفقات لا سبيل الى تقويمها وتقديرها فهناك مجهود عسكري متواصل يفرض علينا القيام به واجبنا الاوجب ، وبالاضافة الى هذا المجهود العظيم فان الحال التي وجدنا عليها اقاليمنا الصحراوية تتطلب منا هي كذلك تضحيات مختلفة تطرأ فى كل آونة وحين ، وما دامت صحراؤنا مفتقرة الى كل شيء فاننا نجتهد سعيا لسد الحاجات وارضاء المتطلبات لا نبخل بعطاء اية ما كانت ضروبه وانواعه واننا لنريد بكل ما لارادتنا من قوة ، ان يتمتع ابناؤنا فى الصحراء بذلك المستوى للعيش وبذلك الحظ من الرقي والرغد اللذين يتمتع بهما اخوانهم فى الاقاليم الاخرى لمملكتنا . واذا كنا ندرك ما تستلزمه ارادتنا من ثمن فاننا ندرك كامل الادراك فى الوقت نفسه ان كل واحد من المواطنين ، على امتداد ارض مملكتنا مستعد لاداء هذا الثمن او للاسهام فى ادائه .

هذا هو السياق العام الذي نجول فى ثناياه وهذه هي الاعمال الجليلة التي قمنا بها وما زلنا نقوم.

ان الدور الذي اضطلع به المغرب ليحظى بالتقدير فى حظيرة الدول وان الاعتبار الذي تتمتع به بلادنا ، لم يبلغ فى اي وقت مضى ما بلغه الآن من سعة وامتداد .

وفى المجال الداخلي ، فان درجة ما حققناه من رقي ونمو وتوسع ، لتثير اعجاب من يعنون بالمغرب بصورة او باخرى ، الا اننا لم نتغلب بعد على جميع مشاكلنا وقد يقتضي التغلب عليها زمنا غير قصير .

ان وضع العالم الاقتصادي لوضع عسير يمتاز خاصة بارتفاع كبير لاسعار الطاقة والمنتجات الصناعية ، وهي طاقة ومنتجات يستوردها المغرب ،

ويقابل هذا الارتفاع اضطراب شديـــد فى السعـــر الدولي للفوسفاط .

ومن اجل هذا اضطررنا باستمرار الى أن نعيد النظر فى تقديراتنا ونضاعف جهودنا لنصل بمخططنا الخماسي الى نهايته .

واتفق ان صادف انتهاء هذا المخطط افتتاح اعمال مجلسنا للنواب ، وبعد الدورة التي قصرهـــا المجلس على دراسة ميزانية السنة الحالية والتصويت عليها كانت حكومتنا تنوي ان تقدم لمجلسكم الموقر مشروع المخطط الخماسي الجديد .

ايها السادة : ان روابط التكافـل الواضحـــة القائمة بين مختلف المخططات ووحـــدة الرؤيـــة الضرورية الواجب اشرافها على اقتصادنا العام كل هذا كان من شأنه لا محالة ان يوجه المخطط الجديد وجهة المخطط السالف ويطبعه بايقاع هذا الاخير .

بيد ان الظروف ابانت لنـــا ان التمـــادي على سلوك طريق النمو والتوسع التي سلكناها يعرضنا بصورة قطعية لخطر التبعية للخارج .

ولهذه الاسباب قررنا ان نتيـــح لعقولنـــا ان تنصرف الى التفكير مدة من الزمن .

وقد دعانا الى اتخـــاذ هذا القـــرار داعيـــان اساسيان ، اولهما داع اقتصادي واجتماعي ذلك ان الصعاب التي تعرضت سبيلنا والتي تتصل اتصـــالا مباشرا ووثيقا بالاضطرابات الاقتصادية الدولية كان لا بد لها من أن تضعنا بين أمرين خطيرين :

اما ان نواصل نمونا دون مراعاة لتكاليفه المالية وفى هذه الحالة تصبح تبعيتنا للخارج تبعية لا تطاق .

واما ان نضع مخططنا بدقة وضبط ملتزميـــن بمالنا من امكانات وجاعلين فى الحسبـــان كل مـــا يستتبعه ويستوجبه هذا الاختيار من تدابير تقييدية وتحديدية وقسرية . والمخطط الموضوع على هذه الشاكلة من شأنه ان يفرض طيلة مدته حتمـــا على مواطنينا صنوفا من الضغوط والحرمان فضلا عمـــا يترتب عنه من ضرب لنطاق ضيق لفترة طويلة على نمونا وتوسعنا ، ولما كانت الصعاب التي نلاقيهـــا تنتمي نوعا وطبيعة الى صعاب ظرفية مرحلية فاننا نعتقد ان التغلب عليها فى متناولنا عند نهاية سنـــة 1980 ، ثم ان التدابير التي لا يتصور بيسر ان تدخل فى اطار مخطط خماسي لانها خليقة بأن تحول اتجاهنا تحويلا كاملا ، تستطيع ولا ريب ان تكون نافعة طوال المدة التي قررنا اتخاذها للتأمل والتفكير .

يضاف الى هذا ان الضغط او الحرمـــان فى الصعيد السيكولوجي وفى صعيد اقتصادي اقيم على أساس صحيح ، يسهل احتماله والصبر عليه اذا كان هذا الضغط او هذا الحرمان موقتا ومستهدفا بحكم طبيعته تطهير الوضع واعداد المستقبل اعدادا أفضل وامثـــــل .

وانطلاقا من هذه الاعتبارات قررنا ان تضـــع حكومتنا مخططا انتقاليا لا تتجاوز مدته ثلاث سنين ابتداء من عامنا هذا كما قررنا ان يكون مصحوبـــا بالتدابير اللازمة وحصرنا أهدافـــه الجوهريـــة فى التحسين التدريجي لميزاننا التجـــاري وميزاننـــا للاداءات وفى التقليل من عجز الميزانية .

ولكي يوتي هذا المخطط الانتقالي جميع ثماره ويسفر عن النتائج المتوقعة منه ، فلا غنى له عـــن تفهم الجميع له والتزام الجميع بمضمونـــه ، وعلى هذا فان ظرف التفكير الذي خولناه لانفسنا قصد اعداد مخططنا الخماسي المقبل ، يجب ان يكون عاما ومتضمنا لسلم اجتماعية شاملـــة والا اصبحـــت التدابير التي سنتخذها ، أيا ما كان نصيبها مـــن الاكراه او الحكمة خالية من الفائدة متجردة من كـــل تأثيـــر .

اما الداعي الثاني الذي أهاب بنا الى اقرار مدة امعان النظر والتفكير فهو داع سياسي او فلسفي على وجـــه التقريـــب .

ان الديمقراطية التي اسسناها لا مندوحة لها ، اذا أرادت أن تكون حقيقية واصيلة من أن تتيح لكل واحد ان ينهض بحظه من المصير الوطني وللجميع ان يشاركوا فى تسيير الشؤون العامة .

وان مجلسكم الموقر هذا ما زال أيها السادة فى الاطوار الاولى من أعماله فقد قدمنا له بحكم الحاجة الملحة ميزانية الدولة لسنة 1978 ولم يمـــض على افتتاح أعماله الا ظرف وجيز طالبين منه ان يناقشها ويوافق عليها اعتبارا لضرورة هذه الموافقة عند نهاية السنة المالية واجتنابا للاخذ بمسطرة الاعتمادات الموقتـــــة .

ونريد الآن ان نمد السادة النـــواب بالوقـــت الكافي لتعميق معرفتهم بشؤون الدولة والتفكير على

مهل اغتنامنا لفرصة التامل المتاحة ، فى الاتجاهات والاختيارات التي يرون جدوى قيام المخطط الخماسي على دعائمها ، وسيكون نهوضهم بالمسؤولية على هذا النحو احسن وافضل واضطلاعهم بمهامهم اتم واكمل .

وهكذا ستصبح ديمقراطيتنا حقيقة وطنية ، وسيشعر شعبنا الذي عهد الى النائبين عنه بأن يسهموا فى صيانة مصالحة بالاطمئنان الى أن اختياره لم يكن اختيارا عابثا ولا مخطئا للصواب .

وحتى يستطيع شعبنا أن يقوم تقويما ادق ويقدر تقديرا اصح ، جميع الجهود التي صرفناها وجميع العراقيل التي تخطيناها تيسيرا لاسباب التوسع الذي يتمتع به المغرب ونقلا للمخطط الخماسي الاخير على الوجه المرغوب فيه الى مرحلته النهائية فاننا سنورد بعض الامثلة التي تستغني بلاغتها فيما يبدو عن كل بلاغة سواها .

لقد عرضنا ايها السادة فيما سلف الى وجودنا بين اشقائنا العرب يوم خاضوا معركة التحرير كما عرضنا لوجودنا على ارض الزايير ، وهاتان المشاركتان كلفتا وحدهما بلادنا بالعملة الصعبة وفى الوقت الذي تمتا فيه ، أموالا طائلة ، ثم أننا بالاضافة الى هذا ، انفقنا ثلاثة اضعاف هذه الاموال عندما اضطررنا الى تعويض العتاد الحربي الذي خلفناه هنالك ، ومنشأ اتساع حجم هذه الاموال التآكل النقدي وما استشرى فى العالم منذ سنة 1973 من ارتفاع للاسعار .

وتعلمون من جهة اخرى ان مداخيلنا من الفوسفاط تفيدنا عادة فى تمويل جزء كبير من مخططنا الانمائي الا ان هذه المداخيل بعد الاضطرابات الاقتصادية العالمية وخصوصا بعد ارتفاع أسعار الطاقة ، لم تعد تكفي الا لتزويد المغرب بالمواد النفطية .

ولعل خطابنا هذا سيبدو ناقصا اذا نحن اغفلنا الحديث عن قرارنا الاخير القاضي بايفاد تجريدة مغربية الى الزايير .

وليس بعازب عن علم كل واحد ان هذا البلد الشقيق عاين مرة اخرى انقضاض قوات جاءت من الخارج ، على وحدته الترابية وسيادته الوطنية منتهكة لحرمة هذه الوحدة ومعتدية على هذه السيادة .

وتلبية للنداء الذي وجهه الرئيس السيد الحاج عمر بونغو الرئيس الحالي لمنظمة الوحدة الافريقية ، مهيبا بالتضامن الافريقي ، فقد قبلنا ان نؤازر الرئيس موبوتو قصد صد العدوان والمحافظة على وحدة ترابه وسيادة بلاده .

تتعرض قارتنا اليوم ايها السادة الى اقتحام اجنبي لا يتستر بستار ، فهناك عمل ممتد لتقويض اركان الاستقرار تقوم به فئة غير مسؤولة وتعتدي به على سلامة القارة وامنها وهذا العمل يوذن بتعريض سيادة عدد كبير من دولها واستقلالها للخطر اذا لم نعره الانتباه الضروري ولم نسلك حياله سبيل الحيطة والاحتراس ، ان الاعتداء على الزايير لا تختلف طبيعته عن طبيعة الاعتداءات التي تصاب بها اقطار اخرى شقيقة كالجمهورية الموريتانية الاسلامية جارتنا المصاقبة كما لا تختلف عن المطالبات الضالة الخرقاء التي تتخذ ترابنا الوطني قبلة لها .

ولذلك فان جميع الدول المحبة للسلام والعدل قد قررت مناهضة الخطر ومواجهته شعورا منها بانه منيخ على قارتنا بكلكله .

ولم يبرز فى أي وقت من الاوقات واجب التضامن بين الشعوب المؤمنة بمثل عليا واحدة ، السائرة على هدي واحد من الاداب والاخلاق كما يبرز الان ملحا شديد الالحاح . وهذا التضامن الذي نعتبره غير قابل للتقسيم يمكنه ويجب عليه أن تسري فاعليته الى جميع الجهات اذ يتعلق الامر بصد الهجوم الخارجي وصيانة ما للدول الافريقية من استقلال وسيادة ووحدة ترابية سواء كانت هذه الدول فى شرق القارة أم فى غربها وبأدائنا لواجب التضامن نسهم فى ابعاد الخطر العام المسلط الان على الزايير والخليق بأن يحدق بنا غدا اذا نحن لم نضرب حوله بسياج من الاحتراس واليقظة الشديدة المتربصة به فى كل حين ، وأن الكفاح الذي نخوضه ان هو الا كفاح واحد حيثما وقع واندلع ، ولا غاية من ورائه الا أن يستتب امن قارتنا وسلامتها واستقرارها .

وقد نفذ عدد كبير من الدول الى فحوى مقاصدنا فاعربوا لنا عن عطفهم وقبلوا فوق ذلك ان يبذلوا الدعم اللوجيستي الذي تفتقر اليه تجريدتنا المرابطة بالزايير الى جانب القوات الافريقية الاخرى .

وان المغرب الوفي لتقاليده وتاريخه والواعي وعيه القوي لحقوقه ومدى التزاماته كان حتما عليه

ان لا يعد من الغائبين المتخلفيـــن ، ويوم يعـــود السـلام والامـــن ويصـــان استقـلال ووحـــدة قارتنا فحينئـــذ يستطيـــع كـــل فرد من أفـــراد شعبنـــا ان يستشعـــر الشـــرف والفخـــر والاعتزاز ويقدم ما للمغرب من يد بيضـــاء اسهامـا فى هـــذه العـــودة وهـــذه الصيانـــة .

أيهـــا الســـادة :

ان هذه الالمامة المجملة المفصلة ، بوضعنـا وبالاهداف التي نتوق اليها ، وان المهمة التي نـــود اسنادها لاعضاء مجلس النواب وذلك بالسماح لهـم بالمشاركة فى مجالي الاعداد وتسيير شؤون الدولة ، مشاركة أشد وأقوى وان ما لنا من تصور للخيـــر المشتركة الذي نقدمه ونوثره على كل مصلحة ، كل هذه العوامل ستكون ان شاء الله المحرك الاقوى الحامل لشعبنا على مضاعفة ثقته بالعمل الذي نزاوله وبهدفي الرقي والعدل اللذين نتوخى بلوغهما .

وانا اذ نعرب عن يقيننا وايماننا بهذه المغبـة الصالحة الحسناء نسأل الله أن يكتب لكم الهدايـة والتوفيق ويحملكم على المحبة المثلى ويؤيد جهودكم المخلصة لفائدة الوطن والمواطنيـن ، انـــه نعـــم المولـــى ونعـــم النصيـــر .

« اما انا شخصيا فمطمئن جدا على حسن اختياراتك ذلك انني كلما دعوتك لركوب طريق او للقيام بعملية أو لبناء صرح جديد مـــن بناءات امجادك لم تسارع فقط للتشييد والبناء ، ولكن تسارع وانت فاهم كـــل الفهم وآع كل الوعي مقاصدنا ومرامينا الشيء الذي يدل أن دل على شيء على ان المغرب ولله الحمد شعب وآع شعب يعرف اختياراته ، وحينمـا يقرر اختياراته يعرف كيف يختار السبل للوصول اليها » .

جلالـــة الملـــك
الحسن الثاني

بسم الله الرحمن الرحيم

تحية وولاء

في عيد الميلاد التاسع والاربعين

بقلم السيد وزير الاوقاف والشؤون الاسلامية
الدكتور أحمد رمزي

اذا كانت الشعوب تحتفل بأعياد ملوكها وقادتها وزعمائها اكراما لهم وتبجيلا ، فاننا معشر المغاربة نضيف الى ذلك معنى شريفا يتخطى نطاق المشاعر والعواطف الوطنية الى مفهوم شرعي عميق الدلالة يتصل بتجديد البيعة وتأكيد الولاء والاعراب عن المحبة والتعلق والارتباط بصاحب الذكرى وعرش أجداده وقيم الوطن ومقدساته ، فلا نقيم الاعياد للتباهي والتفاخر ، ولا نقيمها للزينة واللهو ، ولكننا نقيم أعيادنا الوطنية ونحتفل بها ونعيشها لحظة لحظة من اجل تعميق الشعور الوطني بالتضامن والتعاضد وتجسيد مظاهر انضباطنا وراء قائد المسيرة المظفرة ومحرر الثغور جلالة الملك الحسن الثاني نصره الله .

واذا كان شعبنا يحيى اليوم باغتباط وانشراح الذكرى التاسعة والاربعين لميلاد سيد البلاد ورمز الوحدة وضامن استمرارها فما ذلك الا استجابة لطموح كبير يحدونا دائما الى المزيد من التقدم وراء العرش القائد وصاحبه الرائد .

ولعل فى مقدمة النعم التي ما فتىء الله سبحانه وتعالى يخص بها هذا الشعب ويغدقها عليه اغداقا ، أن الاعياد الوطنية لا تقام بقرار اداري من سلطة عليا ، ولا تفرض على الجماهير فرضا ، وانما هي تنبع دائما وابدا بتلقائية وعفوية من وجدان الامة وتفيض بها مشاعرها وتلح عليها الحاحا شديدا فلا تملك لها ردا ، ولا تملك معها الا الانصياع لامر الفطرة ، والاستجابة لنداء الوطنية الحق .

لقد كان اختيار يوم 18 فبراير للاحتفال بعيد العرش فى عهد جلالة الملك الامام المغفور له محمد الخامس ــ قدس الله روحه ــ ثم يوم 3 مارس فى عهد وراث سره جلالة الحسن الثاني أيده الله اختيارا شعبيا ما

فى ذلك شك . فالشعب هو الذي قرر بدافع الحب والولاء والحرص على الطاعة وتحدي الاستعمار أن يختار من أيام السنة أياما معدودة يخرج فيها عن النسق الاعتيادي للحياة اليومية ليحيي الذكريات ويفجر فى أشكال احتفالية زاهية شحنة الحب لعرشه المجيد وللاسرة المالكة الشريفة . ويعلم الله كم كبده ذلك من مشاق على عهد المحتل المغتصب فكانت فى بعض الاعوام تنقلب الاعياد الى معارك واشتباكات واعتقـال وسجـن ، وحرمان . فكم من المواطنين امتحنوا فى الله لا لجرم ارتكبوه الا لانهـم حرصوا أشد ما يكون الحرص على الاحتفال بالاعياد الوطنية وفى مقدمتها عيد العرش فى تلك السنوات العجاف الكئيبة من تاريخنا الحديث .

وكما اندفع الشعب تلقائيا واختار اعياده بنفسه دون توجيه الا من عقيدته الاسلامية ومبادئه الوطنية كذلك حرص هذا الشعب العظيم على تخليد يومي بيعة وميلاد ملكه الهمام . فكان ثالث مارس عيدا للعـرش ، وكان تاسع يوليوز عيدا للشباب ، يحملان معا معنى الاستمرار والخلق والخصب والابتكار والتفتح والانفتاح والتعلق بالاصالة والمقومات والحضارة والتراث والفكر الاسلامي المغربي العربي .

وهذا هو المعنى العميق الذي حرص جلالة العاهل الكريـم على ان يصبغ به اعيادنا الوطنية دون استثناء وكان حرصـه ــ حفظـه الله ــ شديدا على ان يكون عيد الشباب مناسبة لانطلاقات اقتصادية واجتماعية، يتم خلالها تنشيط الدورة الاقتصادية ، واختيار اساليب فعالة للعمـل والانتاج ، وابتكار طرق جديدة للخلق والابداع ، وتقييم المسيرة الوطنية فى الميدانين الاقتصادي والاجتماعي ومراجعة الحساب مع النفس فى عملية هي الى النقد الذاتي الموضوعي أقرب منها الى تجسيم الاخطـاء وترصد الهفـوات .

وهكذا تجاوز المغرب المعنى الاحتفالي البسيط الذي لا يخلف أثرا ينفع البلاد والعباد ، الى مفهوم عملي ديناميكي يجعل من المناسبة الوطنية عيدا للعمل والانطلاق والتصميم على طي المراحل دون ابطاء او تعثر . ففى هذا اليوم انطلق مخطط الانعاش الوطني ، فأحيى الارض بعد مواتهـا ، وأوجد العمل النافع المثمر للآلاف من ابناء الشعب فى الجبال والصحراء والسهول . وفى مثل هذا اليوم ــ ايضا ــ زف العاهل الكريـم بشرى البعث الاسلامي المبارك الذي جدد الايمان واحيى النفوس بعد ركـود ، وبث الوعي الايماني الحق ، وقوى من أواصر الاخاء الاسلامي ، وانعش الامل فى نهضة قرآنية مباركة يسترد المسلمون بها سلطانهم ونفوذهـم وتألقهم الحضاري واشعاعهم الفكري .

وفى مثل هذا اليوم اعلن العاهل القائد الرائد عن التعبئة الجماعية لاسترجاع الصحراء المغربية التي كانت مقدمة لذلك الانجاز المغربـي الضخم الهائل الذي لم يشهد العصر له مثيلا بعد سنة ونصف السنة . فلقد كان الاعلان الملكي السامي حول التعبئة الجماعية فى ثامن يوليوز

1974 ولم تكد تنتهي السنة الموالية (1975) حتى كانت المسيرة الخضراء قد حققت هدفها وصحراؤنا قد ردت الينا .

بمثل هذه المنجزات العظيمة ، والاعمال الكبيرة اقترن عيد ميلاد جلالة الملك ، وبالانطلاقات الوطنية المجيدة . فما ان يقرب موعده ، حتى يتطلع الشعب الى المفاجآت السارة ، والتخطيطات الهادفة ، والتصميمات المحكمة . ولا يخيب له ظن أبدا .

هي طفرة في الفكر الوطني لها قيمتها القصوى ، أن يخرج مفهوم العيد من نطاق ضيق محدود ومرتبط باعتبارات معينة الى الشمولية المطلقة والانفتاح الواسع والامتداد ، مما يحقق الآمال الكبيرة ويجسم الاهداف الوطنية في انجازات ناطقة بمضاء العزيمة وقوة الارادة وعمق الايمان .

واليوم ونحن نحيي الذكرى التاسعة والاربعين لميلاد سيدنا المنصور بالله نعيش أحداثا وطنية من الاهمية القصوى بمكان ، لعل في مقدمتها هذا الانتقال الذكي من المخطط الخماسي للتنمية الى تصميم ثلاثي نسترد خلاله أنفاسنا ، ونجدد هياكلنا الاقتصادية ، ونعيد النظر في كل شان من شؤون ماليتنا واقتصادنا سعيا وراء الدعم والاستقرار لهذه المالية ، والرسوخ والقوة لهذا الاقتصاد . وهي معركة وطنية كبرى لا تقل شانا عن معركة التحرير والوحدة عهدنا الله تعالى على ان نخوضها جنبا الى جنب مع عاهلنا المفدى مستمسكين بالوحدة الوطنية ، وملتزمين بالسلام الاجتماعي ، وعاملين من اجل الخير والرخاء والازدهار والرفاهية لجماهير شعبنا ..

اننا اذ نحتفل اليوم بعيد ميلاد بطل التحرير والوحدة ورائد النهضة نعاهد الله تعالى على ان نبقى أوفياء لهذا العرش اشد ما يكون الوفاء .

ان تعلقنا باهداب عرشنا الشريف اقوى رصيد لنا في معاركنا الجديدة من اجل البناء والمحافظة على مكاسبنا الوطنية .

أدام الله اعياد المسرة والبهجة على سيدنا المنصور بالله واعاد علينا أمثال هذا العيد السعيد باليمن والبركات والفتوحات وحفظ الله ملكنا الهمام الحسن الثاني بما حفظ بهالذكر الحكيم واقر عينه بولي عهده السعيد الامير المحبوب سيدي محمد وصنوه الامير الجليل مولاي رشيد واخواتهما زهرات الاسرة المالكة الكريمة وكافة أفراد البيت العلوي الشريف .

وكل سنة وسيدنا المنصور بالله بخير ..

وكل سنة والمغرب بخير ..

وكل سنة والاسلام والمسلمون بخير ..

د. أحمد رمزي

وزير الاوقاف والشؤون الاسلامية

سلبيات الطفرة الصناعية الحديثة
ودور المسلمين في المجال التكنولوجي

للأستاذ محمد العربي الزكاري

من البديهيات ان النهضة الصناعية فى عالمنا المعاصر غيرت المفاهيم وقلبت الاوضاع بشكل ملحوظ فى كثير من مجالات الحياة الفردية والاجتماعية والدولية ، والمفروض فى هذه الطفرة الحضارية العملاقة ان توفر السعادة للبشر وتجعل الحياة هادئة بما تطالعنا به التكنولوجيا المتطورة من اختراعات مدهشة ينعم معها الفرد والاسرة والمجتمع بالاطمئنان ، وتجد فيها الانسانية مبتغاها .

والحقيقة ان النهضة الحديثة لو اتجهت اتجاها سليما لعم الرخاء الدنيا واستظلت المجتمعات البشرية بظلال الراحة والامن ، الا انها سلكت – مع الاسف – نهجا معكوسا ارتكز على الاستغلال والابتزاز والاحتكار واعداد أدوات الفتك والدمار ، وبقدر ما تزداد التكنولوجيا تطورا وتقدما تتسع الهوة بين الاستقرار المنشود والحياة المعقدة التي ملتها الشعوب ، وعصفت بها – أو كادت – فى متاهات موحشة .

فأينما توجهنا ببصرنا نشاهد تصاعدا مريعا فى الاضطرابات الجماهيرية ، وحيثما اصخنا بآذاننا نسمع الاصوات ساخطة متذمرة ، وكلما أدرنا مؤشر المذياع تصدمنا صيحات بأن الضائقة الاقتصادية مستفحلة فى مكان ما ، والميزان التجاري بهذه الدولة أو تلك فى تدهور مستمر ، والتضخم المالي فى كثير من البلدان بلغ منتهاه ، والمضاربات النقدية تهدد العديد من العملات بالانهيار ، والنزاعات المسلحة تتكاثر باستمرار ، وأطماع الاقوياء وشره الاحتكاريين تتصاعد الى حد الهوس ، والتنافس على اقتسام خيرات الدنيا والتصارع على مناطق النفوذ يهدد العالم بمواجهة نووية لا تبقى ولا تذر ، والحرب الباردة تصدر اجهزة الاعلام لبث الحقد والكراهية بين الامم ، والكثير من الدول الصناعية نفسها تكتنف مجتمعاتها الحيرة والارتباك ، ويستحوذ على شبابها الانحراف والتمرد والعنف « ظهر الفساد فى البر والبحر بما كسبت ايدي الناس ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون » .

هذا التناقض الفظيع والشره المريع يحفزنا لمعالجة الموضوع بمنظارنا الخاص كمسلمين ، ولا مناص لولا من النظرة الفاحصة الى المجتمعات المعاصرة التي تتخبط – بما فيها من قادة ومسئولين – فى مشاكل لا عد لها ولا حصر ، وأمامنا المجتمع الصناعي الذي دفعته طفرته التكنولوجية وجنونه المادي الى الابتعاد كليا أو جزئيا عن تعاليم السماء وقطع الصلة التي كانت تشده اليها فتحول بينه وبين ان ينقلب خاسرا .

عوامل الانحراف

وبغض النظر عن دوافع كثيرة لهذه القطيعة والعوامل التي اثمرت هذا الانحراف فى تلك المجتمعات التي نراها فى طليعة الركب الحضاري المادي ،

ودون ان نحشر انفسنا فى تحليل الاسباب القريبة والبعيدة لهذا التمرد ، يظهر لنا ان الطفرة المادية الحديثة وما نتج عنها من ترف جنوني ، وما استهدفته من رغبة جامحة فى السيطرة على خيرات العالم ، ومحاولة استغلال الضعفاء الى اقصى حدود الاستغلال ، كانت من العوامل التي دفعت بها الى الغرور والتنكر للمبادىء السامية والاخلاق الرفيعة ، وحفزت بمجتمعاتها الى الانغماس فى المتع المريبة المؤدية حتما الى الانحراف سلوكيا وعقائديا ، وكنتيجة منطقية لهذا التمرد على الله سلط عليها الكثير من القوارع والعديد من النكبات « افأمن اهل القرى ان ياتيهم باسنا بياتا وهم نائمون ، او امن اهل القرى أن ياتيهم باسنا ضحى وهم يلعبون ، افأمنوا مكر الله ، فلا يامن مكر الله الا القوم الخاسرون » .

قد يعترض البعض بان هؤلاء يملكون من المال والنفوذ والقوة والعلم ما جعلهم يتحكمون فى مصير العالم اقتصاديا وسياسيا وعسكريا ، وهذا صحيح الى حد ما عند النظرة السطحية للاوضاع ، وعند التحليل العميق نجد تلك الشعوب والدول رغم ما لديها من الوسائل المتعددة والامكانيات الضخمة ، وما وصلت اليه من تقدم تقني مدهش تحيا فى حيرة وارتباك ، وتعيش فى خوف وفزع ، وتتخبط فى مشاكل معقدة لم تستطع حل أبسطها فضلا عن اخطرها ، ولا تكاد التغلب على كارثة حتى تلاحقها قارعة مماثلة أو اشد فظاعة ، فحياتها فى دوامة من اتعاب واهوال لا تقوى على الافلات منها مصداقا لقول الله تعالى « سنستدرجهم من حيث لا يعلمون واملي لهم ، ان كيدي متين » .

ولا احد يستطيع انكار ما يكتنف تلك الدول من خبال ، وما تعانيه مجتمعاتها من تفسخ وانحلال ، وما تتخبط فيه من مشاكل داخلية وخارجية تعقدت وتشابكت وتداخلت حتى استعصى حلها على اكبر الادمغة علما ودراية وعبقرية فى ميادين السياسة والاقتصاد والاجتماع ، ولعل ما تختزنه من اختراعات جهنمية مرعبة ، وما تخفيه من أدوات الفتك والدمار ، لا يعدو أن يكون من قبيل القوارع النفسية لتعيش فى قلق وهلع من الخراب وهي تحتضن تلك الاسلحة فى قواعد محصنة ، فضلا عن استخدامها فى حالة جنون دولي ، او نوبة عصبية ممن بيدهم الحل والعقد ، وحتى اذا لم يكن للانسان دخل فى كارثة من هذا النوع ، ألا نضع فى الحساب اي خلل الكتروني فى جهاز معقد يفجر القوة المدمرة تفجيرا يجعل حدا للنوع البشري ؟ « قل هو القادر على ان يبعث عليكم عذابا من فوقكم او من تحت ارجلكم او يلبسكم شيعا ويذيق بعضكم باس بعض » .

فقدان العنصر الضابط

من هنا نستنتج ان الطفرة التكنولوجية « المنحرفة » لم تات بخير حقيقي للانسانية ، لارتكازها اساسا على الاستغلال الفظيع ، والرغبة الجامحة في التسلط ، وافتقادها للعنصر الضابط الذي يكبح جماح النفس الامارة بالسوء ، ولا اختلاف فى أن كل تقدم لا يرتكز على الاخلاق ، ولا يخضع لمقاييس الفضيلة ، يقود حتما للهلاك عاجلا أو آجلا ، وقد حذر القرآن الكريم من عواقب السلوك المنحرف بقوله تعالى : « واذا أردنا ان نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها ، فحق عليها القول ، فدمرناها تدميرا »

والتدمير يمكن أن يكون ردما وخسفا ، ويحتمل ان ياتي فى صور مختلفة كالبلبلة والقلق والفتن والزوابع والفيضان والجفاف والضائقة الاقتصادية وخطف الطائرات واحتجاز الرهائن واغتيال القادة وانتشار المخدرات وارتفاع حوادث العنف والاوبئة، وغيرها من الكوارث والمشاكل التي يتخبط فيها عالمنا المعاصر « وكأي من قرية امليت لها وهي ظالمة ، ثم أخذتها ، والى المصير » .

تناقض غريب

ولا ننكر ان الحضارة الحديثة طلعت علينا بكثير من الاكتشافات النافعة ، وحلت العديد من المشاكل المستعصية ، وسهلت انماطا من مظاهر الحياة ، ووفرت وسائل لم تكن تخطر بالبال ، الا أنها فى المقابل خلقت أوضاعا اخرى معقدة وخطيرة لم تكن متوقعة ايضا ، وكمثال على هذا التناقض أنها ساهمت فى القضاء على كثير من الامراض والاوبئة ، بما وفره الطب الحديث من امكانيات مدهشة ، ولكنها اعدت ما يكفي لابادة ملايين البشر فى رمشة عين وتخريب حضارة تطلبت آلاف السنين واستنزفت ما لا يحصى من الاموال ، وحصيلة مهمة من عبقرية العلماء

والفنانين والمهندسين والمعماريين ، بالاضافة الى بحور من عرق ملايين العمال الذين ساهموا في اقامتها بسواعدهم .

واقع المسلمين اليوم

الى هنا تحدثنا عن المجتمعات الصناعية الكبرى وابرزنا ما تعانيه من اتعاب ، وما تتخبط فيه من خراب نفسي ، واضطراب اجتماعي ، وتدهور اقتصادي ، ونزاع سياسي ، كنتيجة حتمية للخروج عن الجادة والتطاول على الارادة الالهية التي لا يزيغ عنها الا هالك ، ولا مناص من معالجة أوضاع المجتمعات المسلمة ليكون تحليلنا متكامل الحلقات ، وحتى نتبين مواقع الزلل في سلوكنا كموحدين نتطلع بلهف الى تطهير مجتمعاتنا مما علق بها من ادران نتيجة سلوك غير واع .

فواقع المسلمين اليوم يشهد بأن الاختيار – في مجمله – كان غير موفق الى حد ما ، فبدلا من ان يسلكوا طريق العلم ويتسلقوا سلم المعرفة لينتجوا ما ينتج الغير ، ويصدروا ما يصدر ، عمدوا الى فتح اسواقهم وجيوبهم لما تمطرهم به الصناعة الاجنبية من كمالياتلا تخرج عن نطاق البذخ والترف، وكان عليهم ان يحتاطوا كل الاحتياط في هذا الباب حتى لا تتبدد ثرواتهم وتنساب في جيوب من لا يريد بالمسلمين الا السوء ، وجولة عابرة في الاسواق ونظرة خاطفة على البيوت توقفنا على ما انفق المسلمون من اموال بالعملات الصعبة في التوافه وفيما يعد من الكماليات ، ان لم يكن من المهلكات .

وليتهم اقتصروا على استيراد مظاهر البذخ ولم يتورطوا في استيعاب ما لدى الغرب من ميوعة وتهتك واستخفاف بالقيم مما ادى الى الوقوع في شرك الغزو الفكري والاديولوجي الذي تطاول الى حد مرعب ومخيف ، مع العلم بان ديننا يطالبنا ويلح في مطالبتنا باقتحام آفاق المعرفة والتزود منها بما ينفع المسلمين ويخلصهم من التبعية ، ولا يرضى لنا أبدا ان نكون في مؤخرة ركب الحضارة في « اطارها الصحيح » ويرشدنا الى الاخطاء التي وقع فيها غيرنا لنتجنب عواقبها ونحمي مجتمعاتنا من ويلاتها « فبشر عبادى الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه ، أولئك الذين هداهم الله ، وأولئك هم أولوا الالباب » .

الاسلام والعلم

والعلم في نظر الاسلام من اوجب الواجبات على اتباعه ، وكتاب الله وسنة رسوله يطفحان بتمجيد العلم وينوهان بالعلماء ، الا ان العلم الذي يعظمه الاسلام ويدعو اليه ويبشر به ويحث عليه لا مجال فيه للتنكر للفضيلة ولا مكان فيه للاستغلال وصبغ الحياة البشرية بصبغة مادية صرفة وعلى اساس المردود الخاص ، وانما العلم الذي يستخدم لخير الانسان واسعاده ، والذي له ضوابطه الهادفة الى الحق والتي تدفع بالمسلم ليكون هاديا ورائدا .

والمسلمون اليوم في حاجة ماسة واكيدة الى الصناعة الحديثة والتكنولوجيا المتطورة ، وفي لهف للاخذ باسباب الارتقاء في جميع المجالات لمواجهة التحديات المعاصرة ، وتحقيق الاكتفاء الذاتي في أهم الميادين ، حتى لا يظلوا تحت رحمة اعدائهم كمستوردين ومستهلكين وخاضعين لتيارات السياسة الدولية المتلونة تلون الحرباء . . .

ومن هنا تبرز اهمية مراحل اعداد الشباب المسلم على النطاق التعليمي باعتباره العنصر الذي ستوكل اليه مهمة التطبيق العملي في المستقبل ، ومعنى هذا بالحروف المريضة وضع مناهج تعليمية متناسقة ومتكاملة من الناحيتين التربوية والعلمية .

فانطلاقا من المدرسة الى الثانوية فالكلية تتكون العقلية التي ستتحكم في مستقبل العالم الاسلامي ، وتطلعنا الى نهضة اسلامية وعلمية حقيقية تفرض علينا ان يكون عنصر الاسلام حاضرا في مناهجنا لصياغة عقول طلابنا وطالباتنا صياغة علمية ممزوجة بالايمان العميق الذي من شأنه ان يقود الى الخير ويجعل من صاحبه عنصرا مبدعا في جميع المجالات، ونحن كمسلمين في عنقنا رسالة انسانية كبرى وخطيرة لا بد من أدائها على الوجه الاكمل ، وهي امتداد للرسالة التي جاء بها سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام « وما ارسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا » .

فالتعليم الهادف هو حجر الزاوية في بناء نهضة المسلمين ، وهو الكفيل باعداد الجيل المرتقب الذي سيتولى حمل مشعل النهضة الحديثة التي نريدها اسلامية تعيد للمسلمين أمجادهم وتحقق الهناء والسعادة لهذه البشرية الحائرة ، والسبيل الى هذه المعطيات هو أن نسير في خط متواز مع تعاليم

الاسلام ، بحيث لا يطغى جانب المادة على الروح ، ولا تمتص الروح ما فى الانسان من بشريـــة ، ولئـــن استطاع المسلمون الحفاظ على هـــذا التوازن فى نهضتهم الحديثة فمن المؤكد أن شمس مدنيتهـــم ستسطع من جديد ، وسيجدون مـــن توفيـــق الله ومدده ما يدفعهم لبعث مجدهم التليد « فذكر بالقرآن من يخاف وعيد » .

لابد من حضور ضمير المسلـــم

ان قافلة الانسانية تسير بسرعـــة ، وتاريـــخ البشر فى تطور مستمر ، ولا بد فى هذا الزحام من اقتحام الميدان بشجاعة المسلم الذي اعيته التبعية وادمته قيود الاستغلال والابتزاز الاجنبي ، والشرط الوحيد الذي يجب ان لا نفرط فيه ولا بد ان يتوفر لدينا هو أن نسير وايدينا على « الفراميل » حتى لا ننزلق وحتى نتقي الاخطار ونتجنـــب الاخطـــاء ، فالاندفاع الجنوني لا يقود الا للكوارث ولا ينتـــج الا المصائب ، والامة الاسلامية لا مناص لها من ان تظل امة وسطا فى تحركاتها كما ارادها الخالق سبحانـــه « وكذلك جعلناكم امة وسطا ، لتكونوا شهداء على الناس ، ويكون الرسول عليكم شهيدا » .

ومن هنا ندرك أن نهضة المسلمين لا بد وان تخضع للضمير الذي يحس ويشعر دائما وأبدا بأنه تحت الرقابة الالهية ، لان الاسلام دين متكامـــل ولا مندوحة من تطبيقه ككل وفى جميع الحالات ، فان كان ضمير المؤمن حاضرا فى خطواتـــه ، ويقظـــا فى تصرفاته ، ومنتبها فى تطلعاته ، فسوف تشق طريق نهضتنا على بصيرة وفى امن وامان ، وستقيم دعائم حضارتنا على اساس من هداية الله القائل فى كتابه الحكيم « وان هذا صراطي مستقيما فاتبعـــوه ، ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ، ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون » .

لدينـــا كـــل الامكانيـــات

والمسلمون وهم يمتلكون الكثير والعديد مـــن وسائل التطور الصناعي ، ويتوفـــرون على طاقـــات مدهشة لتطوير اوضاعهم وفرض وجودهم ، لا يتصور عاقل أن يتخلفوا فى ميدان الحضارة ، فباستغـــلال مواردهم المالية وطاقاتهم البشرية وعبقريتهم الفكرية فى الميادين الجوهرية والحيوية يستطيعون التغلب على الصعاب والمعوقات التي تعتـــرض المشاريـــع الضخمة فى مرحلتها الاولى ، وبالعزم والتصميـــم والسير فى الخط المستقيم يبارك الله الخطـــوات ويطوي المسافات ، وما عليهم فى هذا الظـــرف الا وقفة تدبر وتأمل وامعان فى قوله تعالى « ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم .

البشائـــــر

ونحمد الله ونشكره على ان الوعي الديني فى المجتمعات الاسلامية آخذ فى النمو ، وان جل القادة والمسئولين فى عالمنا الاسلامي يعملـــون جاهديـــن لاقامة هياكل صناعية ضخمة ومتطورة من شأنها ان تجعل حدا فاصلا للتبعية التي يفرضها عليهم الشرق او الغرب ، ويتخذها ورقة سياسية للتلاعب بمستقبل الامة الاسلامية والتحكم فى سياستها حسب اهوائه ومصالحه ومطامعـــه .

فلنســر على بركة الله وباســـم الله مجراهـــا ومرساها بخطوات عملاقة ومتزنة لتأكيد حضورنا فى طليعة الركب الحضاري النظيف ، والله ولي الهداية والتوفيـــق .

الرباط : محمد العربي الزكاري

الاستثمار الاسلامي للأموال

وسائله التطبيقية

للدكتور غريب الجمال
المستشار بالامانة العامة
لمنظمة المؤتمر الاسلامي بجدة

قدم لنا الدكتور غريب الجمال هذا البحث أثناء زيارته الاخيرة للمغرب ضمن وفد الامانة العامة لمؤتمر القمة الاسلامي وذلك بمناسبة انعقاد الاجتماع الثالث للجنة الخاصة بالاعداد للاحتفالات بمطلع القرن الخامس عشر الهجري .

ويهم « دعوة الحق » أن تنشر مثل هذه الابحاث فى القانون المالي الاسلامي واجتهادات العلماء المسلمين فى هذا الموضوع الذي يطرح نفسه الآن فى الساحة الاسلامية بالحاح شديد . ونأمل أن يتفضل الدكتور غريب الجمال بموافاتنا بمزيد من هذه الابحاث القيمة .

لاستثمار الاموال وسائل متعددة في التطبيق . وبدهي أن المستثمرين الذين ينشدون تحقيق استثمار شرعي اسلامي لاموالهم يعنون عند الاخذ باحدى الوسائل التطبيقية التيقن ليس فقط من كون هذه الوسيلة سليمة اقتصاديا وماليا ولكنهم يعنون ـ قبل أي امر آخر ـ بالتاكد من كونها لا تتعارض بأى حال من الاحوال مع أحكام الشريعة الاسلامية .

بل ان تاكد الراغبين فى تحقيق الاستثمار الشرعي لا يقتصر فقط على وسيلة الاستثمار وانما يمتد ليشمل وعاء الوسيلة ذاته أيضا ـ او بمعنى آخر موضوع وماهية نشاط المشروع الاقتصادي او المالي الذي تنصب عليه الوسيلة ـ اذ يقتضي ان يقوم المشروع محل استثمار المال على انتاج سلع أو تادية خدمات غير محظورة شرعا . فالاستثمار فى

نظر الاسلام يجب أن يستهدف تحقيق نفع المجتمع ومصالحه القومية لا مجرد تحقيق اكبر قدر من الربح حسبما تعمل له الانظمة الوضعية .

وسنتناول بعضا من الوسائل التطبيقية لاستثمار الاموال ومدى تطابقها مع أحكام الشريعة الاسلامية .

اولا : الاستثمار المباشر :

يقصد بالاستثمار المباشر للاموال استخدامها فى اقامة مشروعات جديدة سواء أكانت مشروعات صناعية او زراعية او عقارية او تجارية او مالية او مشروعات خدمات كالنقل والتامين وغيرها .

ويتطلب هذا النوع من الاستثمار قيام المستثمر – بمفرده او بمعاونة مجموعة من الشركاء – بادارة المشروع ادارة مباشرة مستعينا فى ذلك بمجموعة من الفنيين المتخصصين خاصة اذا كان المشروع على قدر من الضخامة . وهذا الواقع من السمات البارزة للمنشآت الاقتصادية المعاصرة سعيا وراء تحقيق تكاليف مثالية للانتاج عن طريق الانتاج الكبير الحجم . ومجموعة الفنيين هذه لا يشترط فيها تملك جزء من راس مال المشروع اذ هي فئة من المديرين الاخصائيين ما يلبث حجمها ان يتزايد تبعا لتطور التقنية والاختراعات والمبتكرات الحديثة بحيث لم يعد فى مكنة اى مشروع ان يستغنى عن خدماتها . ويطلقون على هذه الفئة « التكنو قراط » أي اصحاب السلطة او القوى الفنية .

ولما كانت المشروعات المتطورة الهادفة الى تحقيق الانتاج الكبير وبالتالي المنخفض التكاليف (1) تقوم عادة فى شكل شركات مساهمة (2) فأن الافراد الذين يملكون وفرة مذخرة من المال يمكنهم الاشتراك فى هذه الشركات .

وتتمثل هذه الوسيلة من وسائل الاستثمار فى الاكتتاب فى رؤوس أموال المشروعات الجديدة فى مجال نشاط او أكثر من مجالات الانشطة السابق الاشارة اليها . ويتطلب هذا الاكتتاب ان تتم بادىء ذي بدء دراسات مستفيضة للجدوى (3) الاقتصادية والمالية للمشروع الذي سيتم الاكتتاب فى أسهم راس ماله . وعند التثبت من هذه الجدوى يتم الاكتتاب فى راس مال المشروع بمبالغ تتناسب مع ظروف كل حالة .

وزيادة فى الاطمئنان والحيطة يمكن ان يباشر المستثمر الاكتتاب بحيث يكون « متوازيا » مع الاكتتابات التي تجريها هيئات مالية أخرى (4) فى نفس المشروع خاصة اذا ما كانت هذه الهيئات معروفة بجدية وعمق دراساتها لجدوى المشروعات اقتصاديا وماليا وفنيا .

ومن المهم ايضا الا يركز المستثمر على ان يستحوذ على جانب له وزنه من راس مال اي شركة بحيث يفقد مزايا التنوع فى استثمار متوفرات ماله .

---

(1) المقصود هنا تخفيض تكاليف الانتاج ولا يستتبع ذلك حتما – بالنسبة للمشروعات القائمة وفقا لاسلوب اقتصادي غير اسلامي – تخفيض سعر بيع المنتجات ، اذ ان هذا الاخير يتحدد تبعا لظروف السوق . وبذلك فان المنشآت الكبيرة ذات الانتاج المنخفض التكاليف تحتفظ لنفسها – فى ظل الاقتصاد المعاصر – بهامش من الربح اكبر من سواه فى المنشآت الاخرى .
وطبيعي انه فى ظل اقتصاد اسلامي يقتضي انتوجه غالبية الفرق فى هامش الربح هذا فى صالح المجتمع اما فى صورة تخفيض لسعر بيع المنتجات واما – اذا خشى اكتساح المنشآت الصغيرة وبالتالي قيام احتكار – يوجه غالبية الفرق فيهامش الربح لصندوق الزكاة وصناديق الخدمات الاجتماعية .

(2) من راينا بالنسبة لهذه الشركات – عندما تقوم فى ظل اقتصادي اسلامي – ان يكون للمساهم دور اكثر بروزا وفقا عليه عن الدور الذي يحدده له القانون الوضعي للشركات المساهمة ليتحقق بذلك اسهاما أوسع مدى وتعاونا اوثق فيما بينراس المال والعمل وهذه سمة من السمات الاساسية فى الاقتصاد الاسلامي .

(3) FEEBILITY

(4) مثل صناديق او بنوك التنمية فى البلاد الاسلامية (على انه يشترط ان تكون هذه الصناديق والبنوك تعمل بما يطابق أحكام الشريعة الاسلامية) .

ثانيا : الاستثمار العقاري (5) :

وللاستثمار العقاري اسواق منظمة من نواحي تحليلات اتجاه السوق وتقييم العقار والتعامل فيه بيعا أو شراء ، وادراته .

ولهذه السوق – وخاصة في بلاد اوربا وامريكا – وسطاء متخصصون بل ومصاريف متخصصة .

ويتطلب الاستثمار العقاري التعرف على اتجاهات النمو الاقتصادي ، وأحوال الاستثمار في ذات نوع العقار ، ومستوى الايجارات والتشريعات التي تخضع لها وما يتاح من زيارات سنوية على هذه الايجارات ، وما تخضع له من ضرائب .

ومع وجود فرص للاستثمار العقاري في الدول الاسلامية لا تقل في سلامتها وعائدها عن مثيلتها في الدول الصناعية ان لم تزد عنها بكثير وبخاصة في البلاد العربية المنتجة للبترول التي شهدت تطورا كبيرا في مستوى الاركان بها ونزوح عدد كبير من الفنيين والعاملين للعمل فيها ، رغم وجود هذه الفرص غير أن البحث عن انسب العقارات استثمارا ما زال في حاجة الى مكاتب وسيطة على مستوى عال من الخبرة والحيدة .

وطبيعي أن يشمل الاستثمار العقاري أيضا مشروعات تعميرية تستهدف اقامة مدن اسكانية جديدة بما يشمله هذا النشاط من تخطيط عمراني واقامة شبكة من الطرق والمواصلات والمجاري وتوصيلات المياه والنور والتليفون .

كما يستدعي توسعة اطار هذا النشاط الاستثماري استحداث وسائل تشجيعية للافراد والهيئات الراغبة في الحصول على الوحدات السكنية، وتستهدف هذه الوسائل توفير التملك والانتفاع بالعقارات بشروط ميسرة .

ثالثا الاستثمار في التداول السلعي :

يستهدف هذا الاستثمار مباشرة المعاملات السلعية في البضاعة الحاضرة (6) وذلك في اطار العمليات التجارية المألوفة ، بيعا وشراء ، تصديرا واستيرادا وكل ذلك بهدف تحقيق الارباح .

على ان الاستثمار قد ينحو الى ان يتم في اطار مباشرة المعاملات السلعية المقترنة بالاجل (7) – ويتطلب هذا الاسلوب الاستثماري دراية واسعة بسوق السلعة موضوع التعامل وبخاصة الالمام بقوى العرض والطلب التي تتحكم في السوق التي تخضع عادة لتقلبات واسعة في الاسعار وتعتمد قرارات الاستثمار فيها على تصور المستثمر لاتجاه الاسعار العام وتصوره كذلك لكميات الانتاج المتوقعة من السلعة او السلع البديلة وما يتوقع فرضه او رفعه من قيود تؤثر على الحركة التجارية الدولية وغيرها . كل هذه الاوضاع تستدعي حنكة وخبرة خاصة ولذلك يتصف الاستثمار في هذا النوع من المعاملات بالمخاطر العالية ولكنه يحقق عائدا عاليا .

ويمكن تقليل المخاطر في مجال هذا الاستثمار عن طريق التعامل في مجموعة من السلع يحسن انتقاؤها مع ايجاد التوازن فيما بينها تبعا لدراسات محكمة ودقيقة بحيث تعوض الزيادة في أسعار البعض ما قد يتحقق من انخفاض في الاخرى .

كما يمكن ايضا الاشتراك مع شركات الاستثمار التي قامت في نطاق هذا النوع من الاستثمار على غرار شركات أو امناء الاستثمار في الاوراق المالية والتي تتولى التعامل في مجموعة كبيرة من السلع الدولية نيابة عن المشتركين في هذا التجمع (8) الذين يشاركون في أرباحه بالنسبة المتفق عليها وذلك بعد خصم عمولة الجهة التي تدير التجمع .

والاستثمار في المعاملات السلعية المقترنة بالآجال قد تباشر لصالح مؤسسات المشروعات

---

(5) REALESTATE

(6) Commoditiesinthespot وهي المعاملات التي يتم فيها التعامل بين المنتج والمشتري النهائي مباشرة .

(7) السوق الآجلة Futures وهي التي يتم فيها الاتفاق على تسليم البضاعة وتسلم المقابل في تاريخ محدد في المستقبل وهذه السوق نشطة عادة وتجتذب كثيرا من المستثمرين الذين يصلون السوق عن طريق وسطاء يعملون وفقا لانظمة وقواعد محددة .

(8) Pool

الصناعية او مؤسسات المقاولات المختلفة ومؤسسات التعهدات بالتوريد .

والمعاملات فى هذه الصورة تستهدف توفير المواد الخام او النصف مصنعة او المصنعة التي تحتاجها هذه المؤسسات فى تواريخ لاحقة وذلك بقصد تامين وتوفير احتياجات التشغيل لهذه المؤسسات على طول العام او بقصد بها .

والحكمة فى جواز هذا التأخير ثلاثة ايام ولو بشرط لان ما قارب الشيء يعطي حكمه ، كما امتنع تأخيره بشرط عند العقد اكثر من ثلاثة ايام لانه يؤدي الى بيع الدين — وهو المسلم فيه — بالدين — وهو راس المال — وبيع الدين بالدين ممنوع شرعا لما فيه من الغــرر .

وجاز تأخيره اكثر من ثلاثة ايام بدون شرط . سواء كان نقدا او غيره لان غاية ما فى هذا التأخير غير المشروط انه ابتداء دين بدين وهو مغتفر فى باب السلم لخفته .

ويشترط الحنفية ان يكون راس المال « اى الثمن » معلوما ومقبوضا قبل تفرق العاقدين بالبدن. كما يشرطون ان يكون المسلم فيه موجودا من وقت العقد الى وقت حلول الاجل فما لا يبقى فى الاسواق والبيوت من حين العقد الى حين الاجل ، لا يجوز فيه السلم ، لو كان منقطعا عند العقد موجودا عند المحل او بالعكس ، او منقطعا فيما بين ذلك . لقوله عليه السلام : « لا تسلفوا فى الاثمار حتى يبدو صلاحها» .

وعند الحنفية ايضا لو اسلم فى موجود حال العقد والمحل ، ثم انقطع بعد حلول الاجل قبل التسليم ، فالسلم صحيح على حاله ورب السلم بالخيار ان شاء نسخ العقد وان شاء انتظر وجوده لان السلم قد صح . والعجز عن التسليم طارىء على شرف الزوال ، وهذا لان المعقود عليه هنا دين ، ومحل الدين الذمة ، وهي باقية فيبقى الدين ببقاء محله ، وانما تأخر التسليم ، اذا كان وجوده مرجوا بخلاف المبيع المعين ، فان بهلاكه يفوت محل العقد (9) .

وعند الحنابلة يشترط ايضا قبض المسلم اليه راس مال السلم فى مجلس العقد ، واذا قبض راس المال صح السلم فيما قبض بقسطه . كما يشترطون ان يكون المسلم فيه عام الوجود فى محله غالبا سواء كان موجودا حال العقد او معدوما . فان كان لا يوجد فى وقت حلوله او لا يوجد فيه الا نادرا لم يصح السلم لانه لا يمكن تسليمه غالبا عند وجوده . واذا اسلم الى وقت يوجد فيه عاما وتعذر حصول المسلم فيه او بعضه ، اما لغيبة المسلم اليه وقت وجوده او لعجزه عن التسليم حتى عدم المسلم فيه او لم تحمل الثمار تلك السنة ونحو ذلك ، خير المسلم بين صبر الى ان يوجد المسلم فيه وبين فسخ فى الكل المتعذر او البعض (10) .

تنفيذا لتعهدات التي ترتبط بها هذه المؤسسات مع جهات اخرى (كارتباطات توريد الاغذية والادوية والمعدات للمستشفيات والمدارس والجيوش مثلا خلال مدة معينة غالبا مدة سنة) .

غير ان هذه المعاملات قد يبتغي من ورائها فى صورة اخرى مجرد المضاربات (11) فى اسواق البضائع (البورصات) وخاصة السوق التي يطلق عليها « سوق العقود » او « سوق الكونترات » (12). ولا ينبغي المتعامل فى هذه الصفات الآجلة فى الغالب استلام البضائع بالفعل فى الاجل المحدود . وبالتالي دفع الثمن وانما كل همه هو الافادة من فروق الاسعار عند حلول الاجل اذا تحققت وصدقت توقعاته (13).

والامر فى هذا النوع من المعاملات بوجه عام يستاهل وقفة لتوضح مدى شرعيتها اذا ان دفع الثمن وكذلك تسليم البضائع كلاهما هنا يكون مؤجل الى اجل محدد .

---

(9) المرجع السابق ص 283 وما بعدها .

(10) راجع مشروع تقنين الشريعة الاسلامية على مذهب الامام أحمد بن حنبل رضي الله عنه ص 218 وما بعدها (اعداد مجمع البحوث الاسلامية بالقاهرة) .

(11) المضاربة هنا بمعنى Speculation وهي ليست عقد المضاربة او القراض المشروع والمعروف فى الفقه الاسلامي (اشتراك رب المال مع العامل على المال) .

(12)

(13) وهو ما يطلق عليه فى البورصات عمليات التصفية . والمضارب اما ان يكون مضاربا على الصعود او النزول وفى هذا تفصيل يضيق المقام عن تفصيله .

والمعلوم فى السلم ـ الذي تقره الشريعة ـ (14) ان الاصل فى راس مال السلم ان يكون معجلا . وتجيز الشافعية تأخيره فى حالتين (15) :

1 ـ ان يكون التأخير ثلاثة ايام فقط ولو كان بشرط .

2 ـ ان يكون التاخير بغير شرط ولو كان اكثر من ثلاثة أيام .

وعند المالكية ـ السلم بيع شيء موصوف فى الذمة (16) مؤجل لاجل معلوم ، تختلف به الاسواق ، ويوجد فيه جنس المبيع عند حلوله غالبا تقليلا للعرز الناشيء عن بيع الانسان ما ليس عنده ، لان الغالب تحصيل البائع للمسلم فيه فى ذلك الاجل ، وتقليلا ايضا للعزر الناشيء عن احتمال عجز البائع عن الوفاء عند حلول الاجل ، لان غلبة الوجود بمنزلة تحققه . والسلم عكس بيع الاجل وهو بيع عجل فيه البيع واجل الثمن (17) .

مما تقدم نستخلص بالنسبة للمعاملات السلعية المقترنة بالاجل فى صورتها الاولى انه يشترط لشرعيتها ان يسدد المتعاقد على الشراء الثمن او على الاقل جزء منه عند التعاقد . اما الصورة الثانية المقصود بها مجرد المضاربة فاننا نميل الى عدم اجازتها لانها بمثابة بيع دين بدين كما لا يمكن اعتبارها بيع بأجل بأجل لانعدام وجود المبيع وقت البيع .

بقيت كلمة عما اذا كان الذهب يدخل فى التعامل السلعي موضوع اسلوب الاستثمار الذي نحن بصدده . اذ يجري فى الاسواق العالمية التعامل فى سبائك الذهب بأسعار تعلن يوميا وييسر الوسطاء المتخصصون شراء وبيع الذهب او عن طريق البنوك التجارية خاصة في سويسرا . وتهيء هذه البنوك للمشتري خدمة الايداع وفتح الحسابات اللازمة .. ... الخ .

والاستثمار فى الذهب له تياراته الخاصة المتعلقة بالتقلبات فى اسعار العملات الاجنبية ، وقوى العرض والطلب ، ومعدلات التضخم العالمي ، الخ.. ويباشر هذا الاستثمار بحرص هيئات وافراد فى اوقات مناسبة مستهدفين ان يكون استثمارا يحمي اموالهم من تدهور القيمة .

غير ان ادراج الذهب ضمن قائمة السلع الجائز التعامل فيها وفق الاسلوب الاستثماري الشرعي يتطلب الرجوع الى القاعدة التي سبق ان ذكرناها والتي يقتضي بان يراعى فى الاستثمار ان يحقق

---

(14) السلم عقد مشروع ثبتت شرعيته بالكتاب وهو قوله تعالى : « يأيها الذين آمنوا اذا تداينتم بدين الى اجل مسمى . الى آخر الآية » .
— وبالسنة ، وهي قوله صلى الله عليه وسلم : « من اسلم منكم فليسلم فى كيل معلوم ووزن معلوم الى أجل معلوم » وثبت ايضا بالاجمال للحاجة .
— والقياس يأبى جوازه لانه بيع المعدوم ، وترك القياس بالنص . وهو نهي الرسول صلى الله عليه وسلم عن بيع المعلوم ورخص السلم .
— والسلم لغة كالسلف وزنا ومعنى . والسلم شرعا « بيع آل بعاجل » . وهو عبارة عن نوع بيع يعجل فيه الثمن .
— ويسمى المبيع المسلم فيه ، ويكون موصوفا فى الذمة وليس معنا كما يكون ، آجلا ويسمى الثمن « راس المال » ويكون عاجلا ، ويسمى صاحب الدراهم « رب السلم او المسلم » ، ويسمى الآخر « المسلم اليه » . وينعقد بلفظ البيع لانه نوع منه ولفظ السلم والسلف لانهما حقيقة فيه .
(انظر باب السلم فى مشروع تقنين الشريعة الاسلامية على مذهب الامام الاعظم ابي حنيفة رضي الله عنه ، ص. 278 وما بعدها) (اعداد مجمع البحوث الاسلامية بالقاهرة) .

(15) انظر مشروع تقنين الشريعة الاسلامية على مذهب الامام محمد بن ادريس الشافعي رضي الله عنه ، ص. 344 وما بعدها ، (اعداد مجمع البحوث الاسلامية بالقاهرة) .

(16) لا معينا لان الذمة لا تقبل المعنيات ، اذ لو كان معينا للزم بيع معين يتاخر قبضه وهو منهى عنه ، لاحتمال هلاكه قبل قبضه فيكون الثمن مرددا بين كونه سلفا على تقدير هلاكه ، وكونه ثمنا على تقدير سلامته ، وهذا غرر يوجب فساد العقد.

(17) راجع مشروع تقنين الشريعة الاسلامية على مذهب الامام مالك رضي الله عنه ، ص. 169 ، (اعداد مجمع البحوث الاسلامية بالقاهرة).

مصلحة ونفعا للمجتمع ، ومن الصعب القول بأن الاستثمار فى الذهب يحقق نفعا او مصلحة للمجتمع ويخشى ان يندرج تحت حكم الاكتناز (18) المحظور شرعا .

ولذلك فاننا نميل درءا للزرائع الا تشمل قائمة السلع موضوع الاستثمار فى التداول السلعي سبائك الذهب والفضة خاصة وان الذهب يستخدم الان اساسا بمعرفة البنوك المركزية كغطاء – ولو جزئي – للنقد المتداول وجزء بسيط فيه يضع كحلى اما الفضة فبالاضافة الى تصنيعها كحلي فانها تستخدم كنقود مسكوكة والنقود هي معايير ووسائط لتقييم السلع فى المبادلات التجارية وليست سلعة فى حد ذاتها تتداول للربح والخسارة .

---

(18) HORDING

« ان الله سبحانه وتعالى ، شعبي العزيز ، كلما جعلنا أمام اختيارات زودنا دائما ، زودنا بالاطمئنان والطمانينة ، فلي اليقين انك مطمئن وفى كامل الطمانينة ، وزودنا بالفراسة . ونحن مؤمنون وفراسة المؤمن لا تخطىء » .

جلالة الملك

الحسن الثاني

الكاتبون في الدين

للواء الركن محمود شيت خطاب

— 1 —

كنت ولا ازال وسابقى اعتقد ان الكتابة فى الدين والتكلم فى الدين سلاح ذو حدين : اذا احسن الكاتب أو المتكلم رفع من شان الدين وجعل الناس يقبلون على قراءة ما يكتبه الكاتبون وسماع ما يقوله المتكلمون بلهفة وشوق ، واذا اساء الكاتب أو المتكلم حط من شان الدين وجعل الناس ينفرون من الدين ويعرضون عن قراءة ما يكتبه الكاتبون فيه وسماع ما يقوله المتكلمون عنه .

وقد يكتب كاتب فى الجغرافية أو التاريخ أو الكيمياء أو الفيزياء أو العلوم الاخرى ، وهو لا يؤمن بهذه العلوم من قريب أو بعيد ، ومع ذلك قد يفيد القارىء بما يكتب وقد يستمتع القارىء بما يقرا .

ولكن الذي يكتب فى الدين ، لا بد له من الايمان المطلق بعظمة الدين ، وأن يعمل بتعاليمه نصا وروحا، حتى يستطيع أن يفيد قارئه ويؤثر فيه .

والكاتب الذي لا يؤمن ايمانا مطلقا بعظمة الدين وأهميته منهجا للحياة وسبيلا الى الدار الآخرة ، لا يمكن أن يفيد قارئه بما يكتب ولا يؤثر فيه .

ومن العجيب أن القارىء يستطيع أن يكتشف بسهولة ويسر ، بعد قراءة بضعة سطور مما يكتبه الكاتبون فى الدين : هل الكاتب يؤمن حقا بما يقول ، ام هو يكتب ما يكتبه ارتزاقا أو طلبا للشهرة والسمعة أو تظاهرا ورياء .

فاذا ما وجد القارىء حرارة الايمان فى السطور وبين السطور أيضا ، مضى فى قراءته واستفاد منها واقتنع بها ، والا ترك القراءة غير آسف على ما ترك، حرصا على وقته من الضياع ، وحرصا على الدين من التشويه .

وقد داب كثير من القراء فى بلاد المسلمين ، على قراءة المقالات والكتب والمجلات الدينية .

ولكن هؤلاء القراء — على كثرتهم وعلى اختلاف بلادهم وجنسياتهم — يكادون يجمعون على قراءة ما يكتبه الكتاب المؤمنون حقا بالدين وعظمته والمطبقون (عملا) ما يكتبونه على انفسهم قبل أن يطالبوا غيرهم بتطبيقه (عملا) على أنفسهم .

وقد رايت صدفة جماعة من الازهريين يقلبون صفحات مجلة اسلامية صدرت حديثا ، وجدوها عند أحد الوراقين حول الازهر الشريف ، ولكنهم اعادوا المجلة الى صاحبها ، لانهم لم يجدوا مقالا لكاتبهم الذين يثقون بدينه واستقامته .

وما رايته فى القاهرة ، رايته فى مكة المكرمة ، وفى المدينة المنورة ، وفى بغداد والموصل الحدباء، وفى دمشق وحلب الشهباء ، وفى بنى غازي وطرابلس الغرب .

أن الحاسة السادسة للقراء التي لا تخطىء ، هي التي تدلهم على الكاتب المؤمن الحق الذي يصوغ ما يكتبه بأعصابه قبل أن يصوغه بقلمه .

ونصيحتي للكاتب الذي يكتب في الدين من أجل الارتقاء او الشهرة ، أن يكتب في مجالات أخرى غير الدين ، لانه سيخفق حتما في مقالاته وابحاثه الدينية ، وقد يكتب له النجاح في مجالات أخرى غير مجال الكتابة في الدين .

واقصد بانه سيخفق ، هو اخفاقه في تكوين مدرسة من قرائه ، يؤمنون ايمانا عميقا بالدين .

ولست اجهل ان قسما من الكتاب الذين كتبوا في الدين ، وكانت حياتهي الخاصة سلوكا وافكارا تناقض تعاليم الدين الحنيف ، قد نجحوا فيما كتبوه من مقالات وكتب نجاحا (نسبيا) ، نظرا لشهرتهم السابقة وقوة أسلوبهم الكتابي وذكائهم وعمق ثقافتهم، ولكن مقالاتهم وكتبهم لم تستطع ان تغرس الايمان العميق بالدين في أحد من القراء ، كما لم يستطيعوا تكوين مدرسة من القراء تهتدي بهدي آرائهم الدينية وتتلقف اقوالهم وتذيعها بين الناس . وربما استطاعوا تكوين جماعة من الادباء يكتبون في الدين ويرتزقون بما يكتبون ، فهؤلاء ادباء دينيون — ان صح التعبير ، وليسوا ادباء متدينين لهم رسالة في الحياة .

وشتان بين الادباء الدينيين ، والادباء المتدينين .

ان الهدف الحيوي للكاتبين في الدين ، هو غرس الايمان العميق في النفوس والعقول معا ، لا المتاجرة بالدين والتظاهر به والارتزاق منه .

وقد كان السلف الصالح يعتبر العلوم الدينية (عبادة) ، لذلك بارك الله في مؤلفاتهم وابقاها نبراسا للمؤمنين .

وخلف من بعدهم خلف اعتبروا العلوم الدينية (تجارة) ، لذلك ذهبت مؤلفاتهم صرخة في واد ، وماتت في مهدها وأصحابها أحياء .

— 2 —

ولكن القول بان الكاتب في الدين ، يجب ان يتحلى بمزية الايمان المطلق بعظمة الدين ، وان يعمل بتعاليمه نصا وروحا لا يغني عن كل قول .

فالواقع ان الكاتب في الدين يجب ان يتحلى بمزايا اخرى ، ولو ان المزية السابقة هي الاساس الذي لا يكون الكاتب في الدين بدونها كاتبا نافعا وداعية موفقا .

يجب أن يكون الكاتب في الدين عالما متينا بمبادىء الدين ، متخصصا بفرع من فروعها كالفقه أو الحديث أو التفسير أو التاريخ الاسلامي ... الخ ... وان يكون قادرا على وضع افكاره في صيغ كتابية سهلة الفهم مقبولة الاسلوب بعيدة عن الاخطاء اللغوية والبيانية .

وان يكون قادرا على الدخول في (موضوعه) مباشرة ، دون مقدمات لا لزوم لها وبغير اطناب محل ، يبدد المعاني ويشتت الافكار ويضيع الوقت سدى .

واذا استطاع الكاتب في الدين ، أن يبرز فكرته في سطور ، فذلك افضل من ابرازها في صفحات .

وصفحة واحدة او بعض صفحة مركزة ، افضل من صفحات مطولة . وابلغ الكتاب واكثرهم تمكنا من الكتابة والعلم واعرفهم بموضوعه وهدفه المباشر لما يكتب ، هو اقلهم كلاما واوجزهم عبارة .

وكثير من القراء لا يطيقون قراءة الكتب الضخمة والمقالات المستفيضة ، واكثرهم يفضل الكتب الصغيرة والمقالات المختصرة .

فاذا أراد الكاتب في الدين أن يفيد قراءة بما يكتب ، فليختصر ما استطاع الى ذلك سبيلا ، وليملأ ما يكتبه بالمعلومات القيمة بدون حشو لا مسوغ له ، فان ذلك سيضاعف عدد قرائه ويزيد في فائدتهم .

ويجب أن يكون حريصا على ابراز الدروس والعبر الدينية التي تناسب الظروف الراهنة للامة والوطن وللعقائد السائدة في تلك الظروف .

فاذا كانت البلاد والامة في ظروف حربية كالظروف التي تمر بالعرب والمسلمين اليوم ، فلا بد من أن يكتب الكاتبون في الدين بحوثا ودراسات لها علاقة بالجهاد .

وهناك بحوث لها اعظم الفائدة ، تستثير الهمم وتشحذ النفوس ، يمكن استنباطها من تعاليم الدين الحنيف .

وعلى سبيل المثال لا الحصر ، يمكن الكتابة في : الجهاد بالانفس ، الجهاد بالمال ، التطبيق العملي للجهاد ، الاسلام والحرب النفسية ، التولي يوم الزحف ، الشهيد في الاسلام ، الحرب الشاملة في الاسلام ، عقاب المتخلفين في الاسلام ، الكتمان في الاسلام ، ارادة القتال في الجهاد ، بطولات اسلامية ، سيرة قادة الفتح الاسلامي ، رجال الدين في الحرب ... الخ ...

— 3 —

كما ان الشباب — وهم يعانون صراعا فكريا لا هوادة فيه ، محتاجون الى دراسات عن الفكر الاسلامي الاصيل ، وكيف يعالج هذا الفكر القضايا الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والفكرية والعسكرية المعاصرة .

ان العقيدة لا تقاوم الا بعقيدة افضل منها ، وفي الاسلام — والحمد لله — مزايا لو ابرزها الكاتبون في الدين كما ينبغي ، لاستطاعوا مصاولة الغزو الفكري المعاصر الذي يعاني منه الشباب بفكر اسلامي بناء ولانتصروا على هذا الغزو الفكري المقيت .

اما ان يبقى الكاتبون في الدين حريصين على ترديد الافكار القديمة لكتاب قدماء كتبوا مشكورين مايناسب عصرهم وظروفهم — تلك الافكار التي اصبحت معروفة من القاصي والداني ، فلا يفيد احدا من القراء ، ويكون وبالا على الدين نفسه وعلى الكاتب ايضا .

ولست اكتم ما يجول في خلدي حين اقرا بعض المقالات الدينية التي تكتب في الصحف والمجلات او تسطر في الكتب ، فكل مرة اقول لنفسي : « ترى ؟ ايعيش هؤلاء الكتاب في الدنيا ، ام هم يعيشون في الآخرة » ؟ اذ لا علاقة بين ما يكتبونه وبين ظروف الامة والبلاد .

وعلى الكاتبين أن يبتعدوا عن الكلام المعاد ، وأن يفكروا في المبتكر الجديد ، وأن يجودوا ما يكتبونه بالدراسة العميقة المستفيضة والتفكير العميق الصادق ، لكي يفيدوا ويستفيدوا ...

وعليهم ان يفكروا بالهدف مما يكتبون ، ويتوخوا هذا الهدف ولا يحيدون عنه ابدا .

اما ان يكتب قسم منهم مقالات وبحوثا (مرنة) ، لا هدف ولا غاية ، تصلح للتهاني والتعازي في آن واحد ، وتصلح للمدح والهجاء ، وتصلح للاعياد والمآتم ... مقالات وبحوث عامة ، لا تضر عدوا ولا تفيد صديقا ، يخيل اليك حين تقرؤها أن رائحة (الجنيهات) أو (الدنانير) أو (الريالات) او (الليرات) أو (الدولارات) التي يتقاضاها الكاتب مكافاة له عن كتابتها تفوح منها اكثر مما يفوح العلم والارشاد والتوجيه ، فان ما يكتب في مثل هذه الحال (كارثة) من الكوارث الفكرية ومصيبة من المصائب العقلية .

وهو بدون ادنى شك ، يضر بالدين ، ويجعل الناس لا يقبلون على قراءة ما يكتب فيه وينشر عنه.

— 4 —

وعلى الكاتبين في الدين الا يقتصروا على الناحية (السلبية) فيما يكتبون ، بل عليهم ان يهتموا بالناحية (الايجابية) ايضا .

واقصد بذلك ان كثيرا من هؤلاء يقتصر على ذكر الحقائق النظرية المجردة ، دون ان يبدي رايه صريحا واضحا قاطعا في الحلول العملية او في التطبيق العملي لتلك الحقائق النظرية المجردة .

فالذين يكتبون في الجهاد مثلا ، يجب الا يقتصروا على ذكر الآيات والاحاديث الواردة في ذلك، وامثلة مما فعل السلف الصالح ، بالرغم من أهمية ذكر كل ذلك .

بل عليهم ان يبدوا رايهم في كيفية تطبيق الجهاد بالمال عمليا في مثل هذه الايام : هل تتولى الدولة ذلك وكيف ؟ ! ام هل تتولى الدولة ولجان من الشعب وضع الجهاد بالمال في نطاق التطبيق العملي ، وكيف يتم ذلك ؟

هل من المفيد انشاء صناديق الجهاد ، وكيف السبيل الى ذلك ؟

اريد من الكاتبين في الدين ، ان يتحدثوا عن (المقدمات) وهي الحقائق الدينية المستمدة من القرءان الكريم والحديث النبوي الشريف وآراء الائمة واعمال السلف الصالح كما سجلها التاريخ الاسلامي العظيم .

ولكن هذه (المقدمات) المجردة لا تكفي ، لانها تذكر الناحية (السلبية) فقط او الناحية (النظرية) وحدها ، اذ يجب ان تقرر (النتائج) بعد المقدمات ، وهذه النتائج هي : كيف يمكن تطبيق الناحية السلبية او النظرية الواردة في المقدمات ، على الظروف الراهنة ، لتكون اعمالا ايجابية في مجال التطبيق العملي .

ان (المقدمات) لا تكفي بدون (نتائج) ، والنظريات السلبية ناقصة بدون اقتراح طريقة التنفيذ الايجابي في مجال التطبيق العملي ووضع الخطة اللازمة للتنفيذ .

— 5 —

ان الكتابة في الدين ، تحتاج الى الاخلاص المطلق للدين ، وتطبيق تعاليمه نصا وروحا ، والعلم الراسخ بالدين واللغة ، والصبر الجميل على الدراسة ، والتفكير العميق لتحديد الهدف واقتناص الجديد المبتكر ، وابراز الدروس والعبر بالنسبة للظروف الراهنة ، وعدم الاكتفاء بالسلبية بل ابراز الايجابية .

وكل هذا يحتاج الى التفكير العميق ، والسهر الطويل ، والصبر الجميل ، والاخلاص النادر ، والعمل الدائب ، والتنظيم الدقيق .

لذلك كان الكاتبون في الدين قليلين في كل زمان ومكان ، اذا ادخلنا في اعتبارنا ان هؤلاء الكاتبين اصحاب مدارس للدعوة ، وقادة طلاب من الدعاة ، وراجون ما عند الله من أجر لا ما عند الناس من مال .

يريدون وجه الحق ، والحق احق أن يتبع .

يقولون الحق ويغضبون له ، ولا يغضبون من الحق ، ولا يخشون في قوله لومة لائم .

وفي تطبيق هذه المقاييس على الذين يكتبون في الدين اليوم ، كم يبقى منهم في قوائم الحساب ؟

ان الكاتبين في الدين يجب أن يقدموا (فكرا اسلاميا) واضح المعالم ، يمكن ان يسد الفراغ الذي تعانيه رؤوس شباب العرب والمسلمين ، ويمكن ان يقاوم الغزو الفكري الاجنبي .

والا فالامر جد خطير ، لان كل فراغ لا بد له من ان يملأ ؛ فاذا عجزنا عن املائه بالفكر الاسلامي الذي لا بد من أن يقنع الشباب بانه أفضل من الافكار الاجنبية الوافدة ، فان الفراغ الفكري الذي تعاني منه رؤوس الشباب سيملأ حتما بالافكار المستوردة والمبادىء الوافدة .

وهنا الطامة العظمى .

والله أكبر كبيرا ، والحمد لله كثيرا ، وسبحان الله بكرة واصيلا .

وصلى الله على سيدي ومولاي رسول الله ، وعلى آله واصحابه اجمعين .

محمود شيث خطاب

لماذا
الهجوم على ماضي الأمة العربية وتراثها ؟
وما الهدف الايديولوجي منه ؟

للدكتور ادريس الكتاني

نشرت مجلة العربي فى العدد 223 موضوعا للمناقشة تحت عنوان : « الماضي .. معروضا (1) للبيع ! » بقلم الاستاذ فهمي هويدي ، وفى عددها الاخير 234 بتاريخ جمادى الاولى 1398 (مايه 1978) نشرت ردا ضمنيا على ذلك المقال للاستاذ ادريس الكتاني بعنوان : « لماذا الهجوم على ماضي الامة العربية وتراثها ؟ » . ونظرا لاهمية هذا المقال استاذننا فضيلة الاستاذ المذكور فى اعادة نشره فزودنا بنص الرد الاصلي على مقال الاستاذ هويدى وفيه زيادات هامة على المقال المنشور بمجلة العربي .

لاحظت وتتبعت باهتمام بداية الهجوم المخطط على تراث الامة العربية الاسلامية منذ سنوات عديدة ، واستطاع المهاجمون ان يجعلوا جمهورا من المتعلمين والطلبة ، يعتقدون بأن التراث العربي يمثل احد المشاكل التي تعرقل تقدم الامة العربية ، واخذ هذا الهجوم يتسع شيئا فشيئا ، ويمتد من الصحافة الى المحاضرات ، ومن الكتب الى حلقات الدروس فى المدارس الثانوية والكليات ، واحيانا يتسرب الى الاذاعة والتلفزة برفق وهدوء ، ومع مرور الايام يكبر هذا الوهم ، ويصبح تراثنا فى نظر مئات الالاف من تلاميذنا فى الثانويات ، وطلبتنا فى المعاهد والكليات، وشبابنا المتفرنس او المستغرب المستلب ، ليس فقط مشكلة يجب التخلص منها ، وانما تمتلىء نفوسهم بالحقد والكراهية له ؛ — ومن جهل شيئا عاداه — بعد ان تجسدت فيه الخطيئة ، ونسب اليه الجمود والتخلف .

---

(1) هذه الصيغة ، وقد شاعت فى عناوين المقالات والكتب (كمال ناصر شاعرا ومناضلا) ، خطأ نحوي واضح ، فالاسم المنصوب حالا لا يأتي الا فى الجملة الفعلية ، ولذلك يمكن رفع كلمة « معروض » هنا على أنها خبر للمبتدأ ، دون ان يتغير معنى الجملة .

وقد تتبعت هؤلاء المهاجمين فاذا هم ينتمون الى اربع فئات :

1) فئة اليسار العربي الظاهر .

2) فئة اليسار العربي المستتر .

3) فئة اليمين العربي المستغرب (او المستلب).

4) فئة الشعوبيين الجدد المستترين .

وقد يكون اليساري او اليميني هذا شعوبيا أيضا .

وتختلف اساليب الهجوم على التراث باختلاف هذه الفئات ، واختلاف المراكز الاجتماعية والثقافية لافرادها ، واختلاف اوضاع بلدانها السياسية ، احيانا نجده صريحا وعنيفا ، واحيانا اخرى يتسم بالمرونة والاعتدال ، واستعمال الاستعارات البلاغية، كان يطلق على التراث « الماضي » من باب اطلاق المحل وارادة الحال ، ولكن السمة الغالبة في هذا الاسلوب ، عند اغلب الكتاب ، هي المبادرة باظهار حسن النية ، تجاه الماضي ، والتنويه بأنه يحتوي على جوانب مشرقة وايجابية في تاريخنا ، يجب ان نتمسك بها ، ونحافظ عليها ، على ان نتخلص من جوانبه المظلمة وسلبياته . !

يقول الاستاذ هويدي مثلا : « لكن الاعتراض الوحيد هو ان يتحول الماضي ــ والتراث جزء منه ــ الى عبء يثقل كاهلنا، ويعوق تقدمنا الى الامام من ناحية، **ثم ان تكون كل حركتنا محصورة في هذا الماضي ، بحيث ندير ظهرنا للعالم** ، الامر الذي يحجب عنا رؤية الحاضر أو المستقبل » .

اذا ثبت حقا ان كل حركتنا محصورة في هذا الماضي ، أي في اجترار التراث ! ، واننا فعلا ادرنا ظهرنا للعالم ، اي للحاضر والمستقبل ، حاضر الحضارة الغربية ومستقبلنا معها ، يجوز حينئذ الادعاء بأن هذا التراث قد تحول الى عبء يثقل كاهلنا ويعوق تقدمنا ، ولكن هذه المقدمة غير صحيحة على الاطلاق ، وهذه بعض الحقائق الغنية عن كل بيان :

1) نظام التعليم في العالم العربي والاسلامي ، من المدارس الابتدائية حتى الجامعات ، هو نفس النظام الغربي ، بنفس المناهج والمواد والحصص تقريبا ، ولا يمثل عدد طلبة المعاهد الاسلامية التقليدية (جامعة الازهر بمصر ، وجامعة القرويين بالمغرب ، والجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة ، ومعهد الزيتونة بتونس) ، بالمقارنة مع عدد الطلبة العام في العالم العربي ، الا نسبة ضئيلة لا تكاد تذكر.

2) مواد اللغة والثقافة العربية في التعليم الثانوي والعالي العصري اختصرت كما وكيفا ، فلم يعد المحصل على الثانوية العامة وطالب الجامعة ، يستطيع ان يكتب بضعة أسطر دون اخطاء املائية او لغوية او نحوية ، اما المواد الاسلامية فقد جمعت كلها (في التعليم الابتدائي والثانوي) في حصة واحدة بعنوان : التربية الاسلامية ، لا تتجاوز 45 دقيقة في الاسبوع ، وهي مستبعدة ، مع ذلك ، من الامتحانات العامة ، ولذلك لم تعد تحظى بأي اهتمام من لدن التلاميذ ولا المعلمين .

ومادة الفلسفة جردت تماما من اي شيء اسمه الفلسفة الاسلامية او الفلاسفة المسلمين ، وبرنامجها عبارة عن ترجمة للبرنامج الفرنسي مثلا ، مع اعطاء الاهمية الكبرى للفكر الماركسي الالحادي ، والحاصلون على الباكالوريا في المغرب مثلا ، مثل زملائهم بفرنسا، لا يعرفون شيئا عن الفارابي وابن سينا وابن رشد والكندي والغزالي وابن تيمية ! ، ولا يعترفون بوجود فلسفة اسلامية .

3) اغلبية القوانين في هذا العالم ــ حاشا المملكة العربية السعودية ــ مقتبسة ومستمدة من القوانين الغربية والفرنسية بصفة خاصة ، ولم تستطع التخلص من سيطرتها حتى اليوم .

4) اغلبية الذين يتحكمون في مصير العالم العربي، سواء في الحكومات او الاحزاب او المؤسسات الاقتصادية والثقافية ، درسوا في المدارس والجامعات العصرية ذات النظام الغربي ، في بلدانهم او في الدول الغربية .

5) وسائل الاعلام المقروؤة والمسموعة والمرئية في هذا العالم ، تنقل وتترجم كل ما تصل اليه امكاناتها عن حركة الغرب والشرق الثقافية والاقتصادية والعلمية ، وهذا فضلا عن الكتب والصحف والمجلات والافلام والمسجلات الغربية الاجنبية التي تغزو أسواقنا وقاعاتنا السينمائية ، بل هي في بعض هذا العالم كبلدان المغرب العربي ، تفوق ، كما وكيفا واستهلاكا ، الانتاج الوطني اضعافا مضاعفة .

ابن هو اذن ، فى حياتنا اليومية ، هذا التراث الذي اثقل كاهلنا ، وعاق تقدمنا ؟ ! .

باستثناء المعاهد الاسلامية المذكورة ، وخزائن المخطوطات والمكتبات والمتاحف الوطنيـــة ، فان شيئا من هذا التراث لا يكاد يعيش معنا، لا فى بيوتنا، ولا فى مدارسنا ، ولا فى محاكمنا ، ولا فى مكاتـــب عملنا ، او مصانع انتاجنا ، او مجالات نشاطنا ولهونا !

ومن حسن الحظ ان الاستاذ هويدى لم يذكر لنا ، وهو يهاجم التراث ، كتبا مثل دليل الخيــرات وقرعة الانبياء ، والروض العاطر ، وانما اهتم بالدرجة الاولى بسيرة النبي محمد (صلعم) لابن هشـــام ، وتفسير الطبري ، رغم انهما لا يدرسان ولا يستعملان كمراجع ، الا للمختصين فى المعاهد الاسلامية ، ذلك لانهما يدخلان فى صميم اهداف المخطـــط الخاص بمحاربة التراث ، اذ هما مصدرا التراث ، ولكـــن الشيء الذي لم افهمه شخصيـــا هو الهجـــوم على « تهذيب » فيض الخاطر لاحمد أمين « وتهذيـــب » « وحي الرسالة » لاحمد حسن الزيات ، هل هـــو فقط لتبرير وتمرير الهجوم على السيرة والتفسير ؟، ام لان الامر يتعلق بشخص الكاتبين الكبيرين ، باعتبار انهما من انصار وناشري التراث العربي الاسلامي ؟ !

ويضيف الاستاذ هويدى :

« فى الجامعات نجد الظاهرة ذاتها ، رسائل الماجستير والدكتوراه يغوص اكثرها فى الماضـــي بصورة تثير الدهشة ، وآخر صيحة فى هذه الرسائل هي أن تبحث عن مخطوط قديم وتقوم بتحقيقه » ؟ .

هل يمكن حقا ان يتجاوز مثقف عربي ابســـط التقاليد العلمية المتبعة فى الغرب نفسه ، او ينظر لها باحتقار ، ليقف بصورة صلبة وحاقـــدة ضـــد التراث لهذه الدرجة ؟ ! .

ان قبول تحقيق كتب التراث الاسلامـــي فى الرسائل الجامعية تقليد اخذناه وتعلمناه من اساتذة الجامعات الغربية ، والمستشرقين الذين حققـــوا ونشروا من كتب تراثنا فى المشرق والمغرب الشيء الكثير ، واذا كنا نعلم بان هناك أكثر من ثلاثة ملايين مخطوط عربي ، بينها آلاف من الذخائر التي لا تقل شأنا عن أكبر الانجازات العلميـــة ، فى حضارتنـــا الاسلامية العالمية ، لم تنشر حتى الان ، فكيـــف تستكثر على بعض الباحثين الجامعيين فى كليات الآداب خاصة ، ان يدرسوا ويحققوا بعـــض هـــذه الذخائر ، فى اطار فروعهم التخصصية ، وبهـــدف التوسع والتعمق فيها ، ومعاناة التجربة التي مر بها عالم كبير متخصص قبلهم فى هذا الفرع من المعرفة، وتقييمهـــم لهـــا ؟ ! .

الهدف الايديولوجي من الهجوم على الماضي :

لن اقوم فيما يلي بعرض مبهم ، ومتهم بالمبالغة، او بالتحريف والتأويل ، لشرح الاهداف الحقيقية من الهجوم على الماضي ، ولكني سأقتصر على وقائع ، ونماذج ، ونصوص ، ربما كانت اقوى دليل فى هذه المناقشة ، واحب ان اطمئن الاستـــاذ هويـــدى بأن الرسائل الجامعية بدات هي الاخرى تتخلص مـــن التراث ، وتهاجم الماضي فمنذ أقل من سنتين كان زميلنا فى كلية الاداب المرحوم الدكتـــور زكريـــا ابراهيم بقطر (2) عضوا فى لجنة مناقشة احـــدى رسائل الماجستير ، وقد جاء فى نقده ، مما يتعلق بصميم موضوعنا ، ويشير الى اهداف الهجوم على الماضـــي ، قولـــه :

« ... ولكن الطالب حين يتحـــدث عن فكـــر المرحوم علال الفاسي الذي يعد « العودة الى الماضي بمثابة ضرب من (التحرر) ، » نراه يأخذ على المفكر الفلسفي الكبير انه لم يدعنا الى « تصفية الحساب مع الماضي ، والتحرر منه » ؟ ، ويتساءل المرء : كيف يطالبنا الباحث بالتحرر من الماضي ، وهو يعلم ان هذه دعوى استعمارية استلابية ، هدفها قطـــع جذور الامة العربية ، والعمل على فصل حاضرها عن ماضيها ، والقضاء على شخصيتها التاريخية ؟ .

انا افهم ان يأخذ على انصار السلفية المتزمتين محاولة تقليد السلف دون ادنى اجتهاد او ابتكار او تجديد ، ولكن الذي لا افهمه ان يدعونا الباحث الى تصفية حسابنا مع الماضي والتحرر منه ، وكأنما هو ينسى او يتناسى ان الماضي هو ذاكرتنا القومية ، وان الكائن البشري (فردا كان او جماعة) الذي لا تاريخ له ، كائن عار لا يجسر ان يظهر امام الناس ! ؛ بل لماذا لا نقول ايضا ان الحاجة الى الابتكار والمبادرة والتجديد ، قد لا تزيد أهمية فى بعض الاحيان ، عن الحاجة الى التأصيل والاتباع والتقليد ؟ ، ان المسألة

---

(2) توفي بالرباط يوم 26 ابريل 1976 على اثر أزمة قلبية ، ونقل الى القاهرة حيث دفن بها .

ليست مسألة تقليد او تجديد ، اتباع او ابـداع ، اعتراب او اغتراب ، بل المسألة هي مسألة « وعـي مستبصر » يعرف « ماذا يقبل » و « ماذا يرفض » ، و « لماذا يقبل » و « لماذا يرفض » ؟ .

ولسنا نعرف فى تاريخ البشرية الطويل ، امة واحدة وجدت فى كل ماضيها مجرد سلسلة متلاحقة من الصور القاتمة ، كما اننا لا نكاد نلتقي – فى كـل تاريخ المجتمعات – بمجتمع واحد رفض كل تراثه ، لمجرد انه يريد احداث تغيير جذري حاسم ! ، والحق ان الثورة ليست ثورة على الاسلاف ، بل هـي ثورة على رواسب التخلف اينما وجدت ، ولم يكن الاسلاف جميعا دعاة جمود ، او اهل تخلف بل لقد كان منهم دعاة التغيير ، واهل التقدم ! ، وما ذنب الاسلاف ، اذا كنا نحن ابناءهم ، لم نعد نعرف كيف نواجه ظروفنا بما تتطلبه المواقف الجديدة من حكمة ، وتعقـل ، ومرونة ؟ ! .

... ان المثقف العربي الذي يشعـر اليـوم بالاستلاب ، انما هو ذلك الانسان المزدوج الـذي يحيا التمزق العميق بين عالمين حضاريين ويتنازعان فكره وقلبه ، ولكنني اعتقد ان كل مفكر عربي يرى فى الحضارة الغربية تراثا انسانيا شارك فيه العـرب انفسهم ، كما شارك فيه الاوربيون ، لن يجد نفسه صريعا لاى شعور بالاغتراب ، بل سيجـد نفسـه متفتحا على هذا التراث ، مستعدا للتواصل معـه واثقا من ان التقدم الحضاري حق انساني ، لا شان له بخطوط الطول والعرض ، ولا علاقة له بمسائـل الجنس والدين واللون » . (3)

لقد كان المرحوم زكريا ابراهيم مثالا للعربـي المسيحي المخلص لامته وتاريخه ووطنه ومهمتـه العلمية ، وكان شجاعا فى شرح هذه الحقائق ، رغم انه كان يعلم ان اغلبية الحاضرين للمناقشـة مـن الطلاب والاساتذة جاءوا لتشجيع انصار الاتجـاه اليسـاري .

ولتذكير الشباب العربي اليساري بانه عندما يهاجم ماضي امته ، ويدعو للتخلص منه باسم التقدمية والمعاصرة ، انما يقع فى فخ « الدعوة الاستعمارية الاستلابية » التي اشار لها الدكتور زكريا ابراهيم ، اعود ربع قرن الى الوراء ، لاقدم شهادة اخرى لعالم مجاهد شهير ، عاش معركة تحرير الجزائر ضـد الاستعمار الفرنسي طيلة حياته ، وعانى من اساليبه ومكره الشيء الكثير ، انه الشيخ البشير الابراهيمي الذي جاء فى خطاب له امام وفود الدول العربيـة والاسلامية لمنظمة الامم المتحدة بباريس يـوم 29 ينايـر 1952 :

« يقول المستعمرون عنا حين نعتز بتاريخنـا واسلافنا باننا نعيش فى الخيال ، ونعتمد على الماضي السحيق ونتكل على الموتى ، يقولون هذا عنـا فى معرض الاستهزاء بنا ، او فى معـرض النصح لنـا – ومتى كان ابليس ناصحا ؟ – ونحن نعلم ما يرمون اليه ، انهم يريدون ان ننسى ماضينا فنعيش بلا ماض حتى اذا استيقظنا من تنويمهم ونومنا ، لـم نجـد ماضيا نبني عليه حاضرنا ، فنندمج فى حاضرهم ، وهو كل ما يرمون اليه .

لكن سلوهم هل نسوا ماضيهم ؟ انهم يكذبون ، فهم يبنون حاضرهم على ماضيهم ، ويعتزون بآبائهم واجدادهم ، ويخلدون رجال الفكر والادب والفلسفة والجنود والفاتحين ، وهذه شوارعهم (وشوارعنـا التي سموها هم) تشهد ... انهم يذكرون ابناءهم بماضيهم ، ويلقنونهم اعمال اجدادهم ، ويذكـرون ابناءنا المتأثرين بعلومهم وفلـسفتهم بذلك ، ويأتونهم بما يملأ عقولهم وانفسهم حتى لا يبقى فيها متسـع لذكريات ماضينا واسلافنا ، ان الواحد مـن هـذا الصنف من ابنائنا ليعرف الكثير عن نابليـون ، ولا يعرف شيئا عن عمر ، ويحفظ تاريخ « جان دارك » ولا يحفظ شيئا عن عائشة وخديجة ، انها الخسارة التي لا تعوض » (4) .

وفضلا عن ذلك فان الماضي ليس ذكرى وانما هو تيار حضاري ، وقد شرح هذه الفكرة جون بادو احد مؤلفي كتاب « عبقرية الحضارة العربية » الصادر اخيرا فى انجلترا ، فبعد ان تحدث عن العالم العربي المعاصر ، وشخصيته السياسية ، وتحرره من قيود

(3) بعد مرور ايام على مناقشة هذه الرسالـة ، التقيت بالمرحوم الدكتور زكريا ابراهيم ، فعبرت له عن اعجابي بعرضه وكان مكتوبا ، وطلبت منـه نص هذه الفقرات لنشرها فى مناسبة ما ، فرحب بذلك وجاءني بالنص الكامل لنقده بخط يده ، ومنه نقلت الفقرات السابقة .

(4) مجلة « دعوة الحق » عدد 7 و 8 غشـت وشتنبر 1977 ص 65 الرباط .

الاستعمار ، وقدرته على استيعاب الحضارة العلمية والتقنية الحديثة ، اضاف قائلا :

« في ظل هذه الحداثة يبدو الماضي العربي ، فالعربي ككل انسان لا يستطيع ان ينكر تراثه ، ولا ان يهرب من ماضيه ، الماضي يعيش معنا دائما لا كمجرد ذكرى وتاريخ ، ولكنه تيار يسري ويتدفق في تصرفات الشعوب حتى لو لم يشعروا بهذا او ينتبهوا الى تأثيره العميق .

الواقع ان الماضي العربي ليس ذكرى يعتز بها الابناء ، ولا تاريخا تروى قصصه المجيدة لجيل يعشق الاستماع الى الحديث عن هذا المجد التليد ، ولكنه تيار حضاري يحمل معه دروسا يجب ان تتعلمها ، ويحمل معه ذخائر تثري من ورثوا هذا التراث » . ثم يروي جون بادو قصة هذا التيار الحضاري ، بعد ذلك ، في حديث طويل .

ان الباحث الاجتماعي الموضوعي لا يحتاج الى تفكير عميق لكي يدرك أسرار المخطط اليساري ، المطعم بالنصائح والتجارب الاستعمارية ، للهجوم على ماضي الامة العربية الاسلامية وتراثها ، وقد ظهر الهجوم الصريح على الدين وعلى القيم والمبادىء الاسلامية وانتعش في عهود الاستعمار الغربي القديم، ولكن الاستعمار الجديد ، والماركسية العالمية ، استبدلاه بالهجوم على التراث ، في صيغ ثقافية مختلفة . واكتفي هنا بنقل فقرات صريحة في تحديد اسلوب واهداف الايديولوجية الماركسية من هذا المخطط ، للاستاذ عبد الله العروي ، الذي طالب المثقف العربي « بأن ينفلت نهائيا من غرور العمل السياسي التقليدي السهل ، (اى ان يرفض المداراة ، وينفذ الى الجذور) ، ويتصدى لحرب ايديولوجية لا هوادة فيها ، لقد كانت المواجهة الثقافية الايديولوجية دائما هادئة ، لانها ميدان تعايش سلمي ، على اساس عبادة المقدسات المطلقة ، هذا الهدوء يجب ان ينتهي ويخلفه صراع متواصل ، ان اجتثاث الفكر السلفي من محيطنا الثقافي ، يستلزم منا كثيرا من التواضع ، ورب معترض يقول :

ـــ ستكون حينئذ ثقافتنا المعاصرة تابعة لثقافة الغير ! .

ـــ فليكن ، اذا كان في ذلك طريق الخلاص، ستؤدي بذلك ثمن سباتنا الطويل ، وتقهقرنا المتواصل، وانباعيتنا (سنيتنا) المركبة .

تقاعسنا طويلا ازاء **القومية الثقافية** ، ازاء **تقديس اللغة والتاريخ والتراث** ، لنتقبل في هذا الميدان ايضا حرية الدرس والنقد) (5) .

وفي ندوة علنية بالرباط لمناقشة كتاب (النقد الذاتي) للمرحوم الاستاذ علال الفاسي ، قال الاستاذ عبد الله العروي :

« .. ان الحركة السلفية عندما ركزت على فكرة الرجوع الى السلف ، ركزت في نفس الوقت على نمط واحد ، اى ان هناك حقيقة تنزل من السماء على بعض الافراد ، ورغم كل مجهودات الحركة لم يتحرر المجتمع الاسلامي من هذا النمط في الفكر ، وبقي نمط الوحي مسيطرا على جميع مظاهر الحياة الاجتماعية .

لا احد يناقش هل هذا النمط احسن من غيره، نقول فقط هل « الوحي » هو اساس التخلف أم لا ؟ ... لكننا قد اقتنعنا اذا اردنا التقدم ، فلا بد من اقصاء هذا النمط من التفكير ، لكي لا يقول لنا احد : انا ادري بمصالحكم » (6) .

هذه العبارات صريحة ، ولا تحتاج الى تعليق ، فالتراث او الماضي عند هؤلاء ، لا يعني من حيث الزمن ، عصور التخلف الاخيرة في حياة المسلمين ، بل هو يمتد الى ظهور الاسلام ونزول القرءان ! ومن حيث المحتوى ، لا يعني فقط المعوقات والسلبيات التاريخية ، بل يشمل اساسا عناصر اللغة العربية ، والتاريخ الاسلامي ، والتراث بصفة عامة ، اى جميع مقومات الامة العربية ، نظرا للترابط العضوي الموجود بينها ، فاللغة العربية هي لغة القرءان ووعاء الدين الاسلامي الذي سيظل حيا بحياتها ، والتاريخ هو اساسا تاريخ الاسلام وحضارته العالمية ، كما ان التراث العربي يعني في الطليعة الانتاج الفكري الذي انبثق عنهما ، وهذا الترابط العضوي جعل مفكري الماركسية العرب يعتقدون بانه لا يمكن التخلص من الاسلام بدون التخلص من اللغة التي نزل بها القرءان، أو من تقديسها على الاقل ، ولا يمكن التخلص من هذه اللغة ، ولو جزئيا ، الا بالانفصال عن تراثها

---

(5) عبد الله العروي : العرب والفكر التاريخي ، ص 205 .

(6) جريدة « العلم الاسبوعي » عدد: 100 في 5 يبراير 1971 ، الرباط .

التاريخي ، وهذا (البنيان المركب) و الواجهات الثلاثة ، هو ما يسميه العروي بالقومية الثقافيـــة ، ويطالب بتحطيم قداستها ، واجتثاث أصولها ومنابعها من محيطنا الثقافي ! .

وبنفس الصراحة ، يشرح العروي ، مرة اخرى، اهداف الهجوم على التراث والثقافة القومية ، لاحلال « الثقافة الجديدة » الماركسية محلها قائلا :

« .. هل يجب ان يحتل مشكـــل السيطـــرة الثقافية محل الصدارة ، على حساب مشكل الاستيلاء على الحكم ؟ ، اننا لا نرفض هذا الاستنتاج ، لكن من يزعم ان الهدف يختلف فى الحالتين ؟ ، ومن منا يقول ان المعركة الثقافية اسهل من المعركة السياسية ؟، الواقع أن السيطرة الثقافية لن تتحقق للماركسيين بسرعة ولا بيسر ، واذا ما تحققت فستعطي للمطلب السياسي صبغته الشرعية .. وستتاصـــل هـــذه المطالبة فى تطور مجتمعي شامل نحو المعاصرة ، وسيكون نصيب الماركسيين فى انجاز هذه المعاصرة وافرا ان الذين يكدون ويجتهدون لكي تنقل معـــاداة الرأسمالية ، ومعاداة الاستعمار ، ووحدة الامة ، من اطار (ديني قومي) الى اطار (تاريخي طبقي) يخدمون فى آن واحد تطلعهم نحـــو السلطـــة والكونيـــة الفعليـــة » (7) .

انه موقف ايديولوجي صريح لاستاذ يساري آخر من التراث ، ومن الماضـــي .. المحنـــط .. والمعروض للبيع ! . وهذا هو الفارق بين اليســـار المغربي واليسار المشرقي الذي يتسم فى نظـــر اليسار المغربي بالضعف والزيف ، واحب ان اذكـــر هؤلاء واولئك معا ، بالحقائق التالية :

1 ـ التراث الاسلامي هو الذي جعل الجهاد والمقاومة ضد المستعمرين والمستبدين والظلمة ، جزءا من عقيدة المجتمع الاسلامي واخلاقه ، وبفضله قاوم هذا المجتمع الصليبيين والمغـــول والتتـــر والمستعمرين القدماء والجدد ، واسترجع حريته من جديد ، فى المشرق والمغرب .

2 ـ هذا التراث ليس مفروضا على احـــد ، يباع فقط فى السوق الحرة ، ويعيش محاصرا فى مجال ضيق ، فلماذا تثورون وتتضايقون من طبـــع بضعة آلاف نسخة من سيرة الرسول عليه السلام ، او من تفسير القرءان ، ولا يكون لكم نفس الموقف من ملايين النسخ التي تنشر باشكال مختلفة ، عن حياة ماركس ومذهبـــه ؟؟ .

وكيف تسخرون من نشر بعض كتب الادب العربي ، ثم لا تقولون شيئا عن ملايين النسخ التي تخرجها المطابع العربية (وأغلبها مترجم) من الكتب المدرسية ، وكتب الايديولوجيـــات والاتجاهـــات المعادية ، التي تزيف وتشوه حقائق التاريخ العربي الاسلامي فى المشرق والمغرب ، وتغذي الحقـــد والكراهية لهذا التاريخ ، وتنشر الالحاد ، وتسعـــى لتعميق الخلاف والعداء بين ابناء الامة العربية ، فضلا عن قصص الجنس والاجراء التي تنشـــر الاباحيـــة والانحلال والعنف ؟ ! .

3 ـ التخطيط الفكري والعلمي لبناء المستقبل، والاهتمام به فى جميع الميادیـــن ، وعلى سائـــر المستويات ، تقع مسؤوليته على رجال الحكم ، وقادة الفكر والعلم الجامعيين ، فاذا قصر او تخلف هؤلاء عن دراسة علوم المستقبل ، فهل من المنطق والعدل ان نصب جام غضبنا على الذين استمروا فى دراســـة علـــوم الماضـــي ؟! .

4 ـ الصراع المرير والطويـــل بين العالـــم العربي الاسلامي وبين اعدائه هو اساسا صراع من اجل المستقبل ، وكل تخطيطات هؤلاء تهدف لضمان استمرار سيطرتهم الاستعمارية ـ الصليبية مستقبلا، وبث الالغام فى طريق تقدم هذا العالم ووحدتـــه ، واشغاله بمشاكل حاضره عن التفكير فى بناء مستقبله، من ذلـــك مثـــلا :

أ) ان التفكير فى تجميع يهود العالم وانشاء دولة يهودية على أرض فلسطين منذ سنة 1840 (8) كان تفكيرا وتخطيطا من أجل هذا المستقبل .

ب) وان التآمر على الامبراطورية العثمانية ، واثارة الفتن والاضطرابات الطائفيـــة والعنصريـــة لاضعافها ، وتفكيك اوصالها من الداخل ، كان عملا مخططا من اجل هذا المستقبل .

---

(7) عبد الله العروي : العرب والفكر التاريخـــي ص : 143 .

(8) انظر مقال الدكتور محمد حسن الزيات بعنوان ، المؤامرة على فلسطين بدات قبل هرتزل بنصـــف قرن ، فى مجلة « العربي » عدد : 220 ، مارس 1977 .

ج) وان وقوف العالم كله ضـد الوحـدة العربية (9) ، سواء منه الدول الصناعية الاوربية ، أو الدولتان الكبيرتان الولايات المتحـدة والاتحـاد السوفياتي ، هو ايضا من مخططات ضمان مستقبلها .

د) وأن الغزو الفكري واللغوي والمذهبـي لشعوب العالم العربي ـ الاسلامي ، لم يهدف فقط لتفكيك وحدتها القائمة على أساس اسلامي ، وانمـا يسعى ايضا لعدم قيام اى وحدة لها ، لا على أساس قومي لغوي ، ولا على أساس مذهبي اشتراكي ، ولا على أساس وطني جغرافي ، ولا على أساس اقتصادي سياسي . هذا الغزو المتعدد الاتجاهات والاعماق ، كان نتيجة تفكير طويل ، وعمل دائب لعقول علميـة خططت لضمان مستقبل دولها ، ضد خطر قيام اية وحدة ، من اى نوع ، للعالم العربي او الاسلامـي . وضد نهضته وتقدمه فى المستقبل القريب .

فهل يعتقد الذين يحملون معاولهم اليـوم ، للمساهمة فى هدم ماضي امتهم ، والتخلـص مـن تراثها ، ان هذه الطريقة هي الخطة المثلـى لبنـاء مستقبلها ، واظهار الغيرة والاهتمام بهذا المستقبل ؟!.

واخيرا يقول الاستاذ هويدى ان العقل العربي اعطى اجازة رسمية منذ اغلق باب الاجتهاد .

وانا اسأله : من اغلقه ؟ وباي منطق او نص ؟ !.

ان اتهام العقل العربي بالعجز والقصور عـن مسايرة العقل الاوربي سيكون حينئذ نزعة عنصرية او شعوبية ، وفى نفس الوقـت لا يستطيـع مؤرخ منصف ان يتهم الاسلام بانه سبب قصور أو عجـز العقل العربي ، لان الاسلام هو الذي حـرر العقـل العربي ، وأخرج العرب من جزيرتهم ليقومـوا باداء رسالتهم الحضارية شرقا وغربا ، خلال عصور طويلة من التاريـخ .

الم يكن من الحكمة والموضوعية ، والبعد عـن ردود الفعل الشخصية والعاطفية ، ان تشغل وقت المفكرين والباحثين بالاجابة مثلا عن الاسئلة العلمية التاليـة :

ما هي عوامل تخلف المجتمع العربي الداخلية والخارجيـة ؟

ما هي « مخططات » اعدائنا لاستمرار هـذا التخلـف ؟

كيف نضع « مخططات مضادة » لمواجهتهـا ؟ وكيف نطبقهـا ؟

بدل ان نشغله بالسخرية الرخيصة من تراثنـا وماضينا ، وترديد سخريات اعدائنا مـن مواقفنـا الاجتماعية والدينية (الدين .. أو السكين ؟) ؟ !.

ادريس الكتاني

---

(9) انظر مقال الاستاذ أحمد بهاء الدين بعنوان : العالم كله ضد الوحدة العربية بمجلة « العربـي » عـدد : 220 .

أبو عنان وحي بن يقظان

للأستاذ محمد بن تاويت

في صيف من صيوف العقد الثالث من القرن الحالي ، كنت أصيخ الى رجل يتحلى بالعلم ، وهـو يقص على والدي ـ رحمهما الله ، بجنان السبيل من فاس ، حيث كنا في زيارة اخي الـذي كان بدرس با قرويين ـ قصة السلطان أبي عنان ، فكانت كما يلي :

توفيت أم الطفل ، اثر وضعها له في صحراء ، فدفنوها بها وتركوا الطفل على قبرها ...

وبينما الطفل كذلك ، اذ بغزالة تاتـي اليـه وترضعه ، ثم تحمله معها ، فيظل في صحبتها طيل النهار ، فاذ جن الليل ، اتت به الى قبر والدتـه ، فتركته هناك ، الى الصباح ، فتصطحبه معها ، وهكذا دواليـك ...

وترعرع الطفل ، وصار يتبع مرضعته الغزالة ، واستمرت هذه تاتي به الى القبر ليلا ، ثم تعود اليه صباحا ، فتنطلق به عادتها في البراري ، وهـو في صحبتها ، يرعى الاعشاب ، كما ترعى ، ويجـري في سرعة بالغة ، كما تجري ... ظبيا من الظبـاء ، لا فرق الا في خلقته ..

ولما عادت القافلة الى والد الرضيع واخبرت السلطان الوالد ، بوفاة زوجه في الصحراء ، اثـر وضعها ، وما كان منها ـ القافلة ـ من دفنها وتـرك الوليد ، في رعاية الله ، على قبرها ، مضطـرة في ذلك تحركت رغبة السلطان ، في نشـد ابنـه ، واحضاره الى حضرته ..

فعبأ لهذه الغاية جماعة أقوياء ، جردهم كوكبة من الفرسان توجهوا الى ذلك المكان الصحراوي .. وبعد لأي استطاعوا أن يتعرفوا على القبـر الـذي لازموه عن كثب ، أو من بعيد ...

وما كان شفق المساء يدركهم ، حتـى كانـت الغزالة ، تاتي اليه ، يتبعها الصبي اليافع في خفـة وسرعة ، ثم تركته على القبر وذهبت ... فحـاول الرجال ان يضعوا ايديهم عليه ، ولكنه سرعان ما فر منهم ، ولم يستطيعوا اقتفاء أثره ...

وتكرر الاتيان ، وتكررت المحاولات ، التي لم تجد شيئا ، ونفقت بعض الافراس ، وتحطم عنـان بعضها ، وهي تركض في طلبه ، فسمي هذا الطفل ، او اليافع بعد ذلك باسم « أبي عنان » ...

وفكر القوم طويلا في المصير الذي يواجههم ، اذا ما عادوا الى سيدهم ، مخفقين في مسعاهـم ، وبعد طول تفكير وتقليب فيه ، قرروا هذه الحيلـة الجهنمية ، وهـي :

انه بعد ما يعود الطفل ، مع مرضعته الغزالة ، الى القبر ، وتتركه هناك ، يوقدون النار ويحوطون بها مكان القبر ، ويؤرثونها ، بشدة ، تجعل حرارتها تنال من قوة الطفل ، فتخور بسببها ، وفي هذه الحال لا يقوى على الهروب الذي يفوتهم به ...

وكان الامر ، كما دبروا ، وتمكنوا من الطفـــل الغزال ، واتوا به الى والده ، وهو لا يفهم شيئا مما يفهمه الانسان ، لا تصرفا ولا كلاما . ولكن الايـــام الطويلة ، والمراس الحثيث ، جعل الطفل فيما بعد يستأنس ، فكانت الكنية « ابو عنان » تثبت عليـــه طيلة الحياة . . .

قصة سمعتها فى صباي ، وتأثرت بها ، لعامل الامومة المفقودة ، منذ الطفولة الاولى ، ولكن ظـــل تصديقها ، صارية قلص مع الايام . ولا ادري ، كيف كان وقعها فى نفس الوالد ، حينما سمعها من ذلك الشيخ الوقور ، وهو يتحدث عنها ، وعن مصب وادي فاس من مكان سمعتـــه منـــه لاول مـــرة ، « سابـــــس » . . .

واحتفظت الذاكرة ، بهذه القصة الخيالية ، ولم استطع أن اجد لنسجها سدى ولا لحمة ، الى ان كان هذا اليوم الذي كنت فيه اقرأ قصة « حي بن يقظان » وان كنت قد سمعت منذ اربعين سنة ، استاذنا احمد امين ـ رحمه الله ـ يحاضر فيها ببيت المغرب الذي كان بالقاهرة ، أو ميدان « الاوبرا » منها ، فما تعرض لهذا الجانب ، حتى اتنبه لخيوط قصتنا ، وكذلك لم يذكر هذا الجانب ، فى قصة « روبنسن كرزوا » التي يقال ، انها اقتباس من حي بن يقظان ، وقـــد درسناها بكلية الآداب على استاذنـــا ـ المأسوف عليـــه ـ Astbory (ارى انها منفصلة تاما عن قصة « حي بن يقظان » وهذا لا يعنينا الآن) . . .

أما الجانب الذي يعنينا فى قصة حي بن يقظان، فهو كما نرى : عند الفيلسوف الموحدي ، ابن طفيل الاندلســـي :

انه كان بازاء تلك الجزيرة ، جزيرة عظيمـــة متصلة الاكناف ، كثيرة الفواكه عامرة بالنـــاس ، يملكها رجل منهم شديد الانفة والغيرة ، وكانت لـــه اخت ، ذات جمال وحسن باهر ، فعضلها ومنعهـــا الازواج ، اذ لم يجد لها كفؤا ، وكان لـــه قريـــب يسمى « يقظان » فتزوجها سرا ، على وجه جائز فى مذهبهم المشهور فى زمنهم ، ثم انها حملت منـــه فوضعت طفـــلا . . .

فلما خافت أن يفتضح امرها ، وينكشف سرها، وضعته فى تابوت احكمت زمه ، بعد أن اورته من الرضاع ، وخرجت به فى اول الليل ، فى جملة من خدمها وثقاتها ، الى ساحل البحر ، وقلبها يحتـــرق صبابة به ، وخوفا عليه ، ثم انها ودعته وقالت :

اللهم انك قد خلقت هذا الطفل ، ولم يكن شيئا مذكورا ، ورزقته فى ظلمات الاحشاء ، وتكفلت به ، حتى تم واستوى ، وانا قد سلمتـــه الى لطفـــك ، ورجوت له فضلك ، خوفا من ذلك الملـــك الغشوم الجبار العنيد ، فكن له ولا تسلمـــه ، يا أرحـــم الراحميـــن . .

ثم قذفت به فى اليم ، فصادف ذلك جـــري الماء بقوة المد ، فاحتمله من ليلته الى ساحل الجزيرة الاخرى المتقدم ذكرها . . فادخله الماء بقوتـــه الى اجمة ملتفة الشجر . . ثم اخذ الماء فى النقـــص والجزر عن التابوت فى ذلك الموضع . . . وعلـــت الرمال . . حتى سدت باب الاجمة على التابوت . . فكان المد لا ينتهي اليها ، وكانت مسامير التابوت قد قلعت ، والواحه قد اضطربت ، عند رمي الماء اياه فى تلك الاجمة ، فلما اشتد الجوع بذلك الطفل بكى . . . فوقع صوته فى اذن ظبية ، فقدت طلاها ، خرج من كناسه فحملته العقاب ، فلما سمعـــت الصـــوت ، ظنته ولدها ، فتتبعت الصوت ، وهي تتخيل طلاها ، حتى وصلت الى التابوت ، ففحصت عنه باظلافها وهو ينوء ويئن من داخله ، حتى طار عن التابوت لوح من اعلاه ، فحنت الظبية ، وحنت عليه ، ورئمـــت بـــه والقمته حلمتها ، واروته لبنها سائغا ، ومـــا زالـــت تتعهده وتربيه ، وتدفع عنه الاذى . . .

قال ابن طفيل : ونحن نصف هنا ، كيف تربى، وكيف انتقل فى أحواله ، حتى بلغ المبلغ العظيم . . . ان الظبية التي تكفلت به ، وافقت خصبا ومرعـــى اثيثا ، فكثر لحمها ودر لبنها ، حتى قامت بغذاء ذلك الطفل احسن قيام ، وكانت معه لا تبعـــد عنـــه الا لضرورة الرعي ، وألف الطفل تلك الظبية ، حتى كان بحيث اذا هي ابطات عنه اشتد بكاؤه فطارت اليه .

ولم يكن بتلك الجزيرة شيء من السباع العادية، فتربى الطفل ونما واغتذى بلبن تلك الظبيـة الى أن تم له حولان وتدرج فى المشى ، واثغر ، فكان يتبع تلك الظبية ، وكانت هي ترفق به وترحمه ، وتحمله الى مواضع فيها شجر مثمر ، فكانت تطعمه ما تساقط من ثمراتها الحلوة النضيجة ، وما كان منها صلب القشرة، كسرته له بطواحينها ، ومتى عاد الى اللبن اروته . . .

واذا جن الليل صرفتـــه الى مكانـــه الاول ، وجللته بنفسها ، وبريش كان هناك ، مما ملىء بـــه التابوت أولا ، فى وقت وضع الطفل فيه ، وكان فى

غدوهما ورواحهما ، قد الفهما ربرب يسرح ويعيش، ويبيت معهما حيث مبيتهما .

فما زال الطفل مع الظبي على تلك الحال ، يحكي نغمتها بصوته ، حتى لا يكاد يفرق بينهما ... فالفته الوحوش والفها ... وقد قارب سبعة اعوام .. فنبل ... قدره عند نفسه .. فاكسبه ذلك ... مهابة في نفوس جميع الوحوش ... فصار لا يدنوا اليه شيء منها سوى الظبية التي كانت قد ارضعته وربته ، فانها لم تفارقه ولا يفارقها ، الى أن سنت وضعفت ، فكان يرتاد بها المراعي الخصبة ويجتني لها الثمرات الحلوة ويطعمها ... الى ان ادركها الموت ، فسكنت حركاتها بالجملة ، وتعطلت جميع افعالها ، فلما رآها الصبي على تلك الحالة جزع جزعا شديدا وكادت نفسه تفيض اسفا عليها ، فكان يناديها بالصوت الذي كانت عادتها ان تجيبه عند سماعه ...

وبقي على ذلك برهة من الزمان يتصفح انواع الحيوان والنبات ، ويطوف بساحل تلك الجزيرة ... واتفق في بعض الاحيان ان انقدحت نار في اجمة قلخ (يعني القصب) على سبيل المحاكة ، فلما بصر بها راى منظرا هاله ، وخلقا لم يعتده قبل ، فوقف يتعجب منها مليا ، وما يزال يدنو منها شيئا فشيئا .. واراد أن ياخذ منها شيئا ، فلما باشرها احرقت يده، فلم يستطع القبض عليها ..

وحينئذ اتفقت له صحبة « ابسال » .. الذي كان قد سمع عن الجزيرة التي ذكر أن «حي بن يقظان» قد تكون بها ... فاجمع على أن يرتحل اليها ... وودع صاحبه سلامان ، وركب متن البحر ... فبقي ابسال بتلك الجزيرة ، يعبد الله عز وجل ... وكان في تلك المدة « حي بن يقظان » ... لا يبرح مغارته الا مرة في الاسبوع لتناول ما سنح من الغذاء ، فلذلك لم يعثر عليه ابسال باول وهلة ، بل كان يتطوف باكناف تلك الجزيرة ، ويسبح في أرجائها فلا يرى انسيا ... الى أن اتفق في بعض تلك الاوقات، أن خرج « حي بن يقظان » لالتماس غذائه وابسال ، قد الم بتلك الجهة ، فوقع بصر كل واحد منهما على الآخر ... (وخاف منه ابسال) واما حي بن يقظان، فلم يدر ما هو لانه لم يره على صورة شيء من الحيوانات التي كان قد عاينها قبل ذلك ... فلما رآه يشتد من الهرب خنس عنه وتوارى له حتى ظن ابسال انه قد انصرف عنه ... وراى ما عنده من سرعة الحضر وقوة البطش فرق منه فرقا شديدا ، وجعل يستعطفه ويرغب اليه بكلام لا يفهمه حي بن يقظان ، ولا يدري ما هو ... حتى سكن جاش ابسال ... وكان ... قد تعلم اكثر الالسن ومهر فيها فجعل يكلم « حي بن يقظان » ويسأله عن شانه بكل لسان ... وحي بن يقظان في ذلك كله يتعجب مما يسمع ولا يدري ما هو عليه ، غير انه يظهر له البشر والقبول ... وكان عند ابسال بقية من زاد.. فقربه الى حي بن يقظان فلم يدر ما هو ... فاكل منه ابسال واشار اليه لياكل ... ولم يزل ابسال يرغب اليه ويستعطفه ... فاقدم على ذلك الزاد واكل منه.

ولما راى ابسال ايضا انه لا يتكلم ... رجا ان يعلمه الكلام ... فشرع ابسال في تعليمه الكلام ، اولا بان كان يشير له الى اعيان الموجودات ، وينطق باسمائها ، ويكرر ذلك ، ويحمله على النطق ، فينطق بها مقترنا بالاشارة ، حتى علمه « الاسماء كلها » ، ودرجه قليلا قليلا ...

وهكذا انتهت هذه الصحبة باللسن والتعلم والتدرج في مدارج الكمال ، الى ان اصبح لحي بن يقظان مكان عظيم وصار من « أولي الالباب » ... وسولت له نفسه أن يهدي الناس ، بعد ذلك ، وفاوض صاحبه ابسالا ... وطمع ابسال أن يهدي الله على يديه طائفة من معارفه المريدين ... فساعده على رايه ... وابتهلا الى الله بالدعاء أن يهيء لهما من امرهما رشدا ، فكان من أمر الله ... أن سفينة ضلت مسلكها ، ودفعتها الرياح وتلاطم الامواج الى ساحلها ، فلما قربت من البر راى اهلها الرجلين على الشاطىء ، فدنوا منهما ، فكلمهم ابسال، وسالهم ان يحملوهما معهم ، فاجابوهما الى ذلك وادخلوهما السفينة ، فارسل الله اليهم ريحا رخاء حملت السفينة في اقرب مدة الى الجزيرة التي املاها ، فنزلا بها ودخلا مدينتها ، واجتمع أصحاب ابسال فعرفهم شان حي بن يقظان فاشتملوا عليه اشتمالا شديدا واكبروا أمره واجتمعوا اليه واعظموه وبجلوه ...

وهكذا نجد في القصتين معالم ، كثيرة ، انتهت أخيرا بالبحر وركوبه وعصفه بالسفينة التي كتب لها النجاة اخيرا ، وعلى اثر ذلك اجتمع الناس على حي بن يقظان ، الذي وقعت مكانته في قلبهم ، وان تعثرت فيما بعد كما تقصه القصة بعد ذلك ، وفيها ملامح مما وقع لعبد الله بن ياسين مع اصحابه المرابطين بجزيرتهم . وكان ابن طفيل قد عاش في ايامهم الاخيرة فاستوحى مما حدث في قيامهم ، الذي تعرض لنفور بعضهم من ابن ياسين ..

وكذلك انتهى أبو عنان الى الملك ، بعد ما عصفت الرياح بأسطول ابيه ابي الحسن فى المياه التونسية، فبايع الناس ابنه ابا عنان ، وحدثت بعد ذلك من الوقائع التي انتهت بتخلي أبيه عن الملك ، وان لم يصف الامر تماما لابنه وتعرض لبعض الزعازع ...

وكأن قصة القافلة التي توفت فيها زوجة أبي الحسن أتت كذلك من حوادث ركب الحاج الذي كان يعتسف البلاد ويقطع القفار نحو الشرق ، وتوفيت فى هذه الاثناء بعض انساء اللائي هممن بالحج وعزمن عليه ، فكتب فى ذلك أبو الحسن الى بعض مماليك مصر ...

ومن عناصر القصة الموت والنار والخوف والتعليم الذي اتخذ طريقه تعليم الذي اتخذ طريقة تعليم الله لآدم الاسماء « ثم عرضهم على الملائكة فقال انبئوني بأسماء هؤلاء » (مشيراً اليها وهي احدث الطرق الآن) ...

والقصة التي تهدف الى أمر فلسفي تجمع بينه وبين الدين (وسبق الى نحوه ابن سينا ، ثم تلا هذا السهروردي) لا نتعرض لها من هذا الجانب ، الذي يبتدي بالفلسفة وينتهي الى التصوف ، بل كل ما نريده منها هذا الاتصال الذي حدث بها فيما بعد فى قصة ابي عنان الخرافية التي حيكت ــ ولا شك ــ لبهر العامة واستمالتهم اليه بهذه الطريقة الخارقة للعادة ، والتي تقبلها حتى الذين فقهوا ، فكانت سلامة صدورهم لا تعوقهم عن تقبلها . وما أكثر ما كانت تتقبل تلك الصدور ، من خرافات فى شكل الكرامات وغيرها .

ومن الدعائم التي وجدناها فى قصة حي بن يقظان ، دعائم القرءان ، فى قصة أم موسى التي وضعت طفلها فى التابوت والقت به فى اليم ، وفيها فيما لم يذكر هنا ، قصة قتل « هابيل » لقابيل ، وعجزه عن كيفية دفنه ، حتى بعث الله له غرابا علمه ذلك ببحثه فى الارض ... وفيها من القرءان أيضا كون « الوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين » ، كما أن فيها كثيرا من الاقتباس منه ، أو التمثيل به والاستعمال لتعبيراته ، تقدم من ذلك « ولم يكن شيئا مذكورا » و « لبنا سائغا » و « أن يهيأ لهما من امرهما رشدا » و « ريحا رخاء » و « علمه الاسماء كلها » و « أولي الالباب » .. وهذا ما وجدناه يقوى بقوة ، فى قصة حي بن يقظان ، التي قلده فيها ــ ولا شك ــ معاصره السهروردي ، وان جنح فيها نحو فكرة متصوفة متطرفة ، قال بها ودفع روحه ثمنا للقول بها ، وهو لما يزل حديث العهد بسلخ العقد الثالث من عمره الفتي . .

ومن الادلة القاطعة على اقتباس هذا المتصوف الشرقي من الفيلسوف المغربي ، ما ورد فى أول قصته :

سافرت مع أخي عاصم من ديار ما وراء النهر.. فوقعنا بغتة فى قرية الظالم اهلها ، أعني مدينة « قيروان » ..

محمد بن تاويت .



الإنسيّة المغربية

للأستاذ حسن السائح

ما هي الانسية ؟

ان تعريف كلمة الانسية وشرح مفهومها يجر الى مناقشات قضايا فلسفية ولغوية واخلاقية تبعدنا عن الموضوع الذي نحن بصدده وهو الانسية المغربية ، لذلك سنتجاوز تعريفها الى ما تدعو اليه الضرورة وسنختار لتعرب كلمة L'humanisme ، الانسية المنسوبة الى الانس بدل كلمة الانسانية المعربة عن L'humanité وقد فطن اللغويون القدماء لهذه الدلالة في البيت الشعري المشهور :

وما سمي الانسان الا لانسه
ولا القلب الا انه يتقلب

فلها علاقة (بالانسان) أي (L'homme) اي البشر .. وما تعطيه من ابعاد بشرية ، والانسية بتعريف سهل بسيط هي مجموع التيارات الثقافية والفلسفية الهادفة الى تقوية المقومات الاخلاقية الانسانية عند الانسان ، فهي ليست اتجاها انسانيا فتنكر لمساندة الاخر ، او انعزالية رهبانية أو استعلاء سوبرمانيا .. فالابيقورية بمعنى اقتناص الملذات المادية ليست انسية ، والرهبانية الاستسلامية في الصوامع والاديرة ليست انسية كذلك ، وحركة النازين والفاشستية والسوبرمانية الآرية ليست انسية في شيء ..

والنزعة الانسية بدأت واضحة في الديانات القديمة والآداب الاغريقية والسامية القديمة ، على أنها لم تزدهر كفلسفة ، ومذهب في اوربا الا بعد ظهور اللوتيرية المتأثرة بالفلسفة الاسلامية .

اما في الآداب القديمة : ففي اليادة هوميروس صور ادبية تعكس الوجدان الانساني ، وفي الشهاناماه قصائد وجدانية تمجد الانسان وكرامته ، وفي فلسفة سقراط تحليلات لاهتمامه بالانسان وانسيته باعتباره محور التفكير الفلسفي الذي يجب ان تنصب عليه التحليلات الفلسفية .

وكان ارسطو اعظم فيلسوف اغريقي قدم للانسان انسيته المعتمدة على الفكر والمنطق اي سيطرة العقل التي يتميز به الانسان ... اما افلاطون فقد بين في مدينته الفاضلة مجتمعا انسانيا تسوده السعادة ...

ومع ذلك فليست بلاد الاغريق مهد الانسية (كما يقول مالرو) بل ان الديانات الشرقية والحضارات القديمة هي مهد الانسية ، حيث تعطي الانسان مدرسة ليعمل من اجل الانسان ومن اجل السعادة والرفاهية ، وكانت (الفروسية) في القرون الوسطى تعني اسعاد الانسان وخدمته والترفيه عنه، على ان الانسية لم تزدهر كفلسفة ومذهب الا في القرن السادس عشر معتمدة ، على الدراسات اللاتينية والاغريقية وبالاخص الايطالية في انسانية الانسان على أساس الحكمة والسعادة ، ثم ظهرت انسية مسيحية دعا اليها (سان فرانسو ادوسال) Saintfrancois Desales مستمدة من

(رحمة المسيح) وانسانيته ، وبقيت تطبع الفكر المسيحي الى ان جاء لوثر وكلفان
اللذين فرقا بين ديانة المسيح والفلسفة المنادية بطبيعة الانسان بطبيعته .

وكانت الحروب المسيحية الكاثوليكية والبروتستانية ذات تأثير على الثقافة الانسية فلم يبق مدلولها الحكمة والسعادة فقط بل اصبحت متأثرة بمعطيات الثقافات الوطنية التي كان ازدهارها حدا فاصلا بين الاكتمال الذاتي والتبعية والتقليد ، كما ان التقدم العلمي حظي بشهرة المفكرين اللاتينيين والاغريقيين واعطى نماذج جديدة للفكر الانساني الاوربي .

الانسية فى الآداب الغربية :

ورغم هذا التعريف الموجز فاننا نشعر اننا في موضوع طويل ومتشعب ، شغل الفلسفة والادب والمذاهب ، لهذا أبدى مسبقا تحفظا وحيطة من الوقوع فيه غير اننا ونحن نؤرخ للآداب اللاتينية الاروبية نتجاهل جهود الكتاب الاروبيين عامة فى بلورتها ، فقد عرفت ازدهارا مهما فى القرن السادس عشر على يد الكاتب الغربي سواء من المسيحيين الذين لا ينكر جهودهم فى هذا الميدان ، وبالاخص على يد سان فرانسو دوسال
او على يد غيره من الذين تاثروا بنظرية لوثر وكلفان المفرقين بين النظرية المسيحية والافكار الفلسفية التي تعلن براءة الانسان بطبيعته .

وكان شيشرون المفكر اللاتيني الذي استحوذت عليه الفلسفة الاغريقية يرى ان الثقافة هي دراسة الانسانية والاداب ...

غير ان الانسية فى بدء انطلاقها لم تر تحديدا معقدا فى اسعاد الانسان فكانت فى القالبابيقورية النزعة مما نمى الجانب المادي لاسعاد الانسان على حساب القيم والاخلاق وكان شعراء (التروبادور) الذين تغنوا بحياة اللذة واسعاد الانسان عن طريق اغراقه فى الملذات مما اثار (حفيظة) البابا الذي راى فى ذلك تحويلا للفروسية الى تمجيد الحب الانساني، بل الى ما يرمز الى السعادة السماوية فى صور أرضية، ليعطي للانسان ابعاد سعادته المادية ، لقد كان لابن رشد الفضل الكبير فى تعريف جامعات اروبا بآثار

ارسطو حيث عقب ذلك اهتمام رسالته بموضوع الانسان وحياته اكثر من الاهتمام بمصيره الغيبي ، كما كان اتجاه الكنيسة ودراساتها ومع ذلك فلا نستطيع نكران اثر الفيلسوف المغربي (اوجستان) الذي اعجب به ميتراك وبالاخص بجانبه الانساني أكثر من جانب تفكيره لقد عمل كتاب القرون الوسطى ان ياخذوا عن الاغريق وينشرون التمتع السعيد الطبيعي السليم بخيرات الحياة فى حضارة انسانية رفيعة ويعيشون فى اعتدال دون شعور بالخجل والخطيئة، وكان المثل الاعلى (كن كاملا) اي صحيحا قادا عقليا وجسديا ... وبذلك حرروا الانسان من زهد الرهبنة والتفكير فى آخرته ونسيان سعادته الدنيوية ... ولا شك ان تعاليم ارسطو فى الاخلاق علمت الفكر الغربي مبدأ الاعتدال الارسطاطاليي وانتصر هذا الاتجاه الطبيعي ليحول الانسان الغربي عن مبدأ (المحبة) المسيحية الباكية الى مبدأ الفرح باستعمال قوى الانسان العقلية ، والجسمية والوجدانية فى تذوق جمال الطبيعة ، فقادت المسؤولية الانسان الى الحرية بدل الخضوع المطلق للقدر بالمفهوم المسيحي .. ولا غرو ان يظهر (بيكو) ليقدم كتابه خطبة فى كرامة الانسان مركزا على اعتبار الانسان نقطة الكون ، مرددا الفكرة المسيحية بان الله خلق الانسان على صرته ، بل اعلن بعض الكتاب الاولين ضرورة تمتع الانسان ، اما الرهبنة فقسوة وجور ، والتأمل كسل ، والوحدة أنانية ، وجاء (رابليه ليعلن عن طموح الانسان فى الملذات وحياة الفرح ، والملذات كرد على غلو الرهبان فى الزهد وكان كتابه
روح البحث
والفضول ، اعظم كتاب نموذجي لحركة الايمانزوم (النزعة الانسانية) .

ولقد ظهرت اهتمامات بالانسان وآماله والتعبير عن فرحته وسعادته وتآخيه فكان (الجنتلمان) نموذجا للانسان حيث كان مزيجا من الفارس البطل والانسان الرقيق العواطف المهذب الاخلاق ، الذكي العقل ، ومما لا شك فيه ان هذا المثل الاعلى غير القيم الاجتماعية ليجعل من الناس عاملين فى حركة ذاتية لتطوير المجتمعات اقتصاديا ، وباختصار فان نزعة (الانسية) كانت معتمدة على روح الادب الكلاسيكية وظهرت بارزة على يد الكتاب والفنانين الابطاليين . وبتقدم خلفية الانسية على يد (ايرازموس)

الذي سعى لنشر عقيدة عقلية اخلاقيـة ، تأثـرت المسيحية بالمفاهيم الانسانية الجديدة ، والاخلاق بكرامة الانسان الفكرية والاجتماعية .. كما كان للعلم في تطور المفاهيم المحددة لوضعية الانسان في الكون على يد فيوش ... فاستوعبت المسيحية اللوثيرية التيار الانساني وتقلص مفهوم الكنيسة في اتهام الانسان وخطيئته وانحطاط طبيعتـه وشـددت الرونيسانس (في عصر التنوير) على قيمة الانسان واخضاع جميع الاعتمادات والعـادات الى مقاييس العقل والمنفعة في هذه الحياة ، ونقد الفكر المسيحي من زاوية هذه المقاييس نقدا عنيفا .

وكان لفولتر وروسو الفضل في ابراز ملامـح الانسانية وهدم ضلالات القـرون الوسطـى ... واستفادت السكنية من هذا النقد فحولت الدين الى عقيدة تعتمد المنطق والعقل او النزعـة الانسانيـة العقلية . وبالاخص عنـد كلفـان
والبروستانتية بصفة عامة ، ولقد كان لنيوتن اثر قوي في ظهور حركة علمية لا تؤمن بالتقليد ..

وظهر اثرهما واضحا في نهضة العلوم الانسانية والمجتمع البشري ، وبذلك تطورت العلوم الانسانية بصفة عامة سواء في ميدان علـم النفس او علـم الاجتماع او في الاداب والفنون ، والعلوم الاخلاقية ؛ وظهر كتاب انسانيون امثال (هوفز) الذي طبع قرنه بطابـع قـوي .

ونتج عن ذلك افول الملكية المطلقة حيث ظهرت محلولة والية (فزياء اجتماعية) لتلبيـة المطالـب الاقتصادية والبادية عما ساعد على ظهـور الحكـم الديمقراطي الشعبي على اساس الحقوق الطبيعيـة للانسان ... وبروز الاخـلاق العقلية والمنـاداة بالعدالة الاجتماعية والمثل العليا لتحقيـق عدالـة متكاملة ، واذا كان التقدم العلمي حقق التطور المادي فان اثره على الانسية ضعيف في الاداب الاوربية في اواخر عصر النهضة .

ويمكن ان نفهم الانسية في اتجاهاتها الثلاث ، في اتجاه اوجيستكوست الفلسفي الداعي لفلسفـة وضعية كدين للانسانية ، وفي نظرية تشيلر
الذي يرى ان معرفة الانسان خاضعـة لطبيعيتـه وحاجياته الانسية ، وبأن الراي يكون صائبا او خاطئا حسب قدرته التنفيذية ...

الانسيـة في الاسـلام :

والاسلام يقرر بأن الانسان مدين بوجوده لخالقه . وهو مخلوق في أصله من مادة (اي من تراب ومـن حما مسنون) وان الله تعالى نفخ فيه من روحه ... فله على سائر المخلوقات مكانة عظمى ، لانه ارقاهـا واسماها ... وقد زوده خالقه تعالى بالعقل وهـذاه النجدين فاصبح قادرا على تحمل الامانة والمسؤولية في تعمير الارض والاختيار والكسب الارادي .

والقرءان الكريم يهدي البشر اجمعين للنزعة الانسانية في الانسان على اساس (الفطرة) التـي معناها الطبيعة الانسانية المعتمدة على الذات (الانا) والغيرية معا من اجل نمو انسانيته الذاتية على حدة وتعاونها مع المجتمع الصغير . والكبير على السواء لاسعاد الانسانية وتطورها ...

وقد كان القرءان الكريم اول من كرم بني آدم (ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البـر والبحـر وفضلناهم على كثير مما خلقنا تفضيلا) وامر الملائكة ان تسجد له اشعارا بقيمته الكبرى واستخلفـه في الارض كما جاء في القرءان (اني جاعـل في الارض خليفة) ، وجعل الشيطان يتحداه ليجلو مكامن الخير فيه . (قال فيما اغويتني لاقعدن لهـم صراطـك المستقيـم) .

لقد كانت انسانية الانسان التي حددها القرءان الكريم في الخلق والتواضع والخير والاحسان والعدل والتسامح موضوع شرح وجـدل بين المفسريـن وعلماء الكـلام .

وقد تساءل علماء اللغة والكـلام عن حقيقـة الانسان ... وذكر ابن حزم في الفصل النزاع الذي وقع بين ابي الهذيل العلاف والنظام حول مدلـول الانسان ، فالعلاف يرى انه لا يطلق الا على الجسـم وحده بينما يرى النظام انه يخص بالنفس وحدها ، ويرى آخرون انه الوحدة التي تجمع بين الجسـم والنفس معا .

اما المذهب المغربي الذي ارتضاه ابن حزم فهو (الانسان) يطلق على الجسم لان الميت يبقى انسانا ، كما يطلق على الروح لانها نواة الاحداث الشعوريـة والامزجة ، ثم هو وحدة الجسم والروح لان كلا منهما يرتكز على الآخر .



الست الحرة حاكمة تطوان

للأستاذ عبد القادر العافية

هذه شخصية من الشخصيات البارزة من اسرة بني راشد بشمال المغرب في القرن السادس عشر الميلادي .

والست الحرة سيدة حظيت بشهرة واسعة النطاق في الشمال الغربي من افريقيا الشمالية .

وهي ممن اعتنى المؤرخون الاجانب بالحديث عنها والتعرض بالذكر لايام حكمها بتطوان .

ولعل شهرة هذه السيدة قامت على عدة اعتبارات : فهي ابنة امير شفشاون علي ابن راشد (917 هـ 1511 م) تلك الشخصية المعروفة في الداخل والخارج بالنسبة لذلك العصر .

وهي في نفس الوقت الاخت الشقيقة للوزير ابي سالم الامير ابراهيم ابن راشد لان امهما هي (للا الزهراء) ذات الاصل الاسباني الاندلسي (1) .

وهي كذلك زوجة قائد تطوان محمد المنظري . .

وهي حاكمة تطوان في فترة معروفة من تاريخ المغرب (2) .

وهي بعد كل هذا وذاك زوجة السلطان احمد الوطاسي (932 – 956) ابن السلطان محمد الشيخ (البرتغالي) (910 – 932) الذي اعتبر زواجه في ذلك الوقت شبيها بزواج الملكين الكاثوليكيين فرديناند (1452 – 1516) وايسابيلا (1451 – 1504) ملكا اسبانيا في اواخر القرن الخامس عشر الميلادي واوائل السادس عشر .

وهكذا اشتهرت هذه السيدة وتحدث عنها المؤرخون من مغاربة واجانب (3) .

---

(1) الامير ابراهيم ابن راشد (896 هـ / 1490 م – 946 هـ / 1539 م) هو ابن علي بن موسى ابن راشد من زوجته الاندلسية المسيحية الاصل من (فيخردي لافرونطيرا) قرب الجزيرة الخضراء اسلمت بعد زواجها من الامير علي ابن راشد وسميت بلالا الزهراء .

(2) انظر تاريخ تطوان للاستاذ داود ج : 1 ص : 117 .

(3) ذكرها صاحب الدوحة محمد ابن عسكر ص :34 ط. ح. فاسية ، وابن القاضي في لقط الفرائد مخ. م. ع. الرباط . وصاحب المرآة محمد العربي الفاسي ص : 216 ط. ح. فاسية ، واحمد الرهوني في عمدة الراوين مخ. م. ع. بتطوان ج: 4 بدون ترقيم .
وتحدث عنها الاستاذ عبد الرحيم جبور في كتابه : (اسرة بني راشد الشفشاونية ومدلولها التاريخي بشمال المغرب) نقلا عن الكتاب الاجانب وهذا الكتاب باللغة الاسبانية ط. تطوان : 1953 م ، عربت منه بعض ما يتعلق بهذا الموضوع وسأختصر عنوانه فيما ياتي : (اسرة بني راشد في شمال المغرب) .

نسبهـــا واسمهـــا :

اما نسبها فهي كما قلنا بنت الامير المجاهـــد علي بن موسى بن راشد بن علي بن سعيد بن عبـــد الوهاب بن عـــلال بن عبد الســـلام بن مشيـــش « العلمـــي » .

فهي اذن شريفة النسب « علمية ـ ادريسية ـ حسنية » . اما اسمها : فقد اختلف فيه المؤرخون بالرغم من شهرتها (بالست الحرة) .

لقد ادعى بعض المؤرخين الاجانب ان اسمهـــا هو عائشة (4) ولذلك فهم يجعلون لفظ (الحـــرة) لقبا كان يطلق عليها تشبيها لها بأنثى الطائر الحر الذي هو الباز ، نظرا لما يتمتع به هذا الطائر من مزايـــا عديدة يتميز بها عن سائر الطيور ، فهي قد شبهت به في نظر هؤلاء نظرا لما كانت تتمتع به من ذكاء وشجاعة ونخوة وخبرة سياسية ...

ويرى الاستاذ محمد داود في تاريخ تطوان انها لقبت بالحرة تمييزا لها عن الاماء ، لان الناس في ذلك العصر كانوا يكثرون من التسري بالجواري ...

ويرى الاستاذ البحاثة عبد الوهاب بن منصور: ان اسمها الحقيقي هو (الحرة) لا عائشة ويؤكد ان الحرة ليس لقبا ولا صفة لها بل هو اسمها الشخصي، وقد اعتمد في ذلك على ما ورد مثبتا في عقد زواجها من السلطان أحمد الوطاسي (5) .

ولعله ما دام الاستاذ عبد الوهاب بن منصور قد اعتمد على هذه الوثيقة الفريدة من نوعها ، والتـــي احتفظ لنا بها الزمن سليمة واضحة معبرة ... فان رأيه في الموضوع يكون مدعما بحجة غير قابلة للطعن

واذا كان لفظ الحرة ليس صفة ولا لقبا لها بل هو اسمها الشخصي فهنا نتساءل :

هل كان يا ترى اسم الحرة شائعا بين النساء في ذلك العصر أم لا ؟

وهل اسم الحرة تخيره لها والدها عن تظير أو عن غير تظيـــر ... ؟

ام هو اسم نقل من الوصفية الى (العلميـــة) لغاية من الغايات ولمعنى من المعاني ، كما هو الحال في كثير من الاسماء ؟

وللاجابة عن هذه الاسئلة لا بد من الرجوع الى الوثائق والمصادر ...

وبالرجوع الى ذلك نجد : ان لفظ الحرة كان قد اشتهرت به بعض النســاء الذائعـــات الصيـــت والشهرة في ذلك العصر ...

فام السلطان ابي عبد الله محمد بن الاحمر آخر ملوك غرناطة مثلا غلب عليها اسم الحرة واشتهرت بـــــه .

ويذكر المؤرخون ان هذه السيدة النبيلة علق بها لفظ (الحرة) الى درجة تنوسي معهـــا اسمهـــا الحقيقي الذي هو (عائشة) .

ويذكر المؤرخون كذلك ان هذه السيدة كانت فريدة من نوعها لانها قد استطاعت أن تفرض وجودها في التأثير على سير الاحداث بمملكة غرناطـــة في المرحلة الاخيرة من مراحل دولة بني الاحمر بالاندلس، حيث اشتهرت هذه السيدة في شبه جزيرة ايبيريا شهرة واسعة وأصبح اسمها يتردد في المحافـــل والندوات ... وأضحى الناس يتحدثون عن جرأتها وشجاعتها ودهائها ومواقفها العجيبة (6) .

ومن هنا لا يبعد أن تكون ام الحرة الشفشاونية تلك الام الاندلسية الاصل والتي عايشت الفتـــرة الاخيرة من حياة غرناطة معايشة بكـــل احساسهـــا وعواطفها ... لا يبعد ان تكون تلك الام اختـــارت لابنتها الاميرة لقب الملكة الغرناطية الذائعة الصيت.

ولا يبعد كذلك أن يكون ذلك من اقتراح والدها الذي عرف ببلاط بني الاحمر وعاش في غرناطـــة في هذه الفترة بالذات .

ثم ان اسم (الحرة) لا شك انه كان له صدى ملحوظا عند الجالية الاندلسية المقيمة بشفشاون في

---

(4) انظر نفس المرجع السالف الذكر ص : 23 وتاريخ تطوان للاستـــاذ محمد داود ج : 1 ص 117 ومـــا بعدهـــا .

(5) انظر المجلد الاول من الوثائق الملكية تقديم وتنسيق الاستاذ عبد الوهاب بن منصور ، الوثقة 115.

(6) (انظر نهاية الاندلس) للاستاذ عبد الله عنان ص : 185 .

ويرى بعض المؤرخين أن هذا الزواج كان من أبي الحسن علي المنظري الذي توفي عن سن عالية ، والذي كف بصره في آخر حياته ... (12) .

بينما يرى الاستاذ محمد داود مؤرخ تطوان ان هذا الزواج كان من قائد تطوان محمد المنظري حفيد الاول ولعل الذي ينسجم مع الاحداث والوقائع التاريخية هو ما ذهب اليه الاستاذ داود .

زواج السيدة الحرة بالسلطان احمد الوطاسي (13) :

لقد تحدثت بعض المصادر الاجنبية والعربية عن هذا الزواج (14) والحقيقة انه كان زواجا لافتا للانظار تحدث عنه المؤرخون وعلق باذهان كتاب المذكرات والتراجم ... وذلك لانه زواج سلطان ينتقل من فاس ليتزوج في تطوان وهو في جموعه العديدة ، وحاشيته الكبيرة ، وجيشه الوافر وعدته وعدده ... وبالاضافة الى ذلك كان السلطان في هذه الرحلة محاطا بحاشية كبيرة من العلماء وكبار المشايخ ، وكل هذا اضفى على هذا الزواج هالة واعطاه شهرة ، واذا كان الامر بهذه المثابة ، فما هو المقصود من هذا الزواج يا ترى ؟ .

وما هي الغايات القريبة أو البعيدة المتوخاة منه ؟

ولماذا كان هذا الزواج في تطوان بالذات ولم يكن في فاس حيث قصور السلطان ومظاهر ابهته ؟

لعله من الاكيد ان مثل هذه الاسئلة تتبادر الى ذهن القارىء وهو يقرأ عن حادثة زواج السلطان احمد الوطاسي بالارملة الجميلة الست الحرة حاكمة تطوان .

واذا كانت الاجابة بالتدقيق عن كل هذه الاسئلة تعد من الصعوبة بمكان نظرا لسكوت المصادر عن ذلك ، فاننا سنحاول على الاقل القاء بعض الاضواء على هذا الموضوع .

وهنا سنلاحظ اولا : أن علاقة السلطان أحمد الوطاسي بالست الحرة الراشدية لم تكن وليدة يوم وليلة ، او علاقة سريعة نشأت بعد زيارة السلطان لتطوان ثم تحولت بعد ايام معدودة الى زواج ... كلا لم يكن ذلك ، بل علاقة السلطان بحاكمة تطوان كانت قائمة قبل هذه الزيارة التي انتهت بالزواج ، اذ من المعلوم ان علاقة السلطان احمد الوطاسي بالاسرة الراشدية بشفشاون كانت علاقة وطيدة للغاية حيث كانت تربطه بهذه الاسرة روابط شتى .

فاخت السلطان احمد الوطاسي السيدة عائشة بنت السلطان محمد الشيخ (910 — 931) الملقب بالبرتغالي كانت هي زوجة الامير ابراهيم أخ السيدة الحرة الذي اصبح وزيرا ومستشارا للسلطان بل كان هذا على راس القيادة العسكرية للسلطان احمد الوطاسي وكان كذلك من ابرز الشخصيات في الدولة لذلك العهد وذلك لما كان يتوفر عليه من مواهب في الميدان العسكري والميدان السياسي والدبلوماسي(15)

فالسلطان احمد الوطاسي اذا كان يعرف الست الحرة اخت وزيره وصهره معرفة حقيقية ، وهي بالاضافة الى هذا وذاك هي عاملته على تطوان واقليمها .

ولا شك انه كانت بين السلطان والاميرة مراسلات ومكاتبات في مواضيع شتى سياسية وغيرها ... ومن الاكيد نظرا لهذه الروابط العائلية والسياسية أن هوى الاميرة الراشدية في هذه الفترة الحرجة من تاريخ المغرب كان وطاسيا لانه في هذه الفترة بالذات كان معظم الناس في المغرب يصنفون الى صنفين : صنف هواه وطاسي ، وصنف آخر هواه

(12) نفس المرجع .

(13) أحمد الوطاسي هو ثالث الملوك الوطاسيين المشهورين (932 — 956 هـ / 1524 — 1549 م) وفي أيامه وقعت المعارك الحاسمة بين السعديين والوطاسيين الى ان غلب الوطاسيون على امرهم سنة 956 هـ وفتك بهم محمد الشيخ المهدي السعدي ، وأحمد هذا هو آخر ملك وطاسي استمر حكمه مدة طويلة على الجزء الشمالي من المغرب .

(14) انظر ابن القاضي في لقط الفرائد في احداث 948 هـ مخ. م. ع. الرباط . ومرآة المحاسن ص : 216 الذي نقل عنه صاحب الاستقصا بالجزء الرابع ص : 154 ط. دار الكتاب ، ارجع الى التعليق رقم 3 .

(15) عن ابراهيم ابن راشد هذا كتب المسيو روبير ريكار بحثا في مجلة الاندلس الصادرة بمدريد 1941 . م. 6 . ج : 2.

ذلك الوقت ، وكذا عند الجالية الاندلسية المقيمة بتطـــوان (7) .

وحسبما يبدو انه نظرا لهذه الاعتبارات سميت الاميرة الراشدية (بالحرة) اعجابا وتقديرا لملكـــة غرناطة الذائعة الصيت .

ومن هنا يبدو كذلك أن مصدر وهم المؤرخين الاجانب جاء من اشتباه « العلم » « بالصفة » فالحرة الشفشاونية ظنوا أن اسمها عائشة كحرة غرناطة ، وبذلك أصبحوا يطلقـــون على الحـــرة الراشديـــة (عائشـــة) .

وتذكر المصادر التاريخية ان عائشة الحرة ملكة غرناطة زوجة السلطان ابى الحسن ابن الاحمـــر وأم السلطان محمد ابي عبد الله ابن الاحمر ، أطلق عليها لفظ الحرة تمييزا لها عن ضرتها (ثريا) الرائعـــة الجمال ابنة احد عظماء المسيحيين والتي هام بهـــا السلطان ابو الحسن على كبر سنه .

والهيام (بثريا) من قبل السلطان ابي الحسن فتق عبقرية زوجه عائشة الحرة وأصبحت تتدخل فى القضايا السياسية ... تثبيتا لوجودها ومكانتها ، وتوطيدا لمستقبل ولديها محمد ويوسف ، وهنا ظهرت عبقريتها وذاع صيتها ... (8) .

ومهما يكن من أمر هذا الشبه ، أو الاشتباه ، فان وثيقة عقد زواج الست الحرة بالسلطـــان أحمد الوطاسي المشار اليها سالفا ابتت بما لا مجال فيه للشك ان اسم الاميرة الراشدية حاكمة تطوان هـــو (الحرة) لا عائشة .

مولدهـــا ونشأتهـــا :

ولدت السيدة الحرة بشفشاون حوالي سنـــة 1493 م / 899 هـ وربيت ونشأت فى حجر والدها الامير علي بن موسى بن راشد ، وتلقت تعليمها على يد أشهر العلماء ورجال الدين بهـــذه المدينـــة (9) ولا شك انها بذكائها ومواهبها استطاعت أن تحصل على ثقافة هامة انعكست على تصرفاتها وحياتها فيما بعـــد .

وفى هذا الموضوع يقول صاحـــب كتـــاب (أسرة بني راشد بشمال المغرب) : « تروي لنـــا الاخبار سواء البرتغالية أو الاسبانية ان هذه السيدة النبيلة كانت تتوفر على ذكاء نادر ، وأخلاق ساميـــة هيأتها لتأخذ بيدها السلطة ، وذلك بسبب التعليـــم الذي تلقته من أشهر العلماء ورجـــال الديـــن فى عصرها ... » (10) .

زواجها من القائد المنظري بتطوان :

من المؤكد عند المؤرخين ان الست الحـــرة زفت الى القائد المنظري بتطوان فى حياة والدها علي ابن راشد وذلك حوالي سنـــة 1510 م / 916 هـ زفت وهي فتاة مكتملة النضج ، فى نحو الثامنة عشر من عمرها ، وتذكر بعض المصادر أن هذا الزواج كان بمثابة تحالف متين بين امارة شفشـــاون وقيـــادة تطوان من أجل تقوية جبهة الدفاع ضد البرتغاليين المحتلين لثغور شمال المغرب (11) .

---

(7) تثبت الوثائق ان هناك جالية اندلسية وردت على شفشاون قبل تجديد بناء مدينة تطوان اى قبل سنة 888 هـ نقل ذلك العلامة احمد الرهوني فى عمدة الراوين عن عبد السلام بن أحمد السكيرج ج : 1 – بدون ترقيم – مخ. م. ع. تطوان .

(8) جاء فى نهاية الاندلس للدكتور عبد الله عنان : «تنوه بها المصادر الاجنبية والعربية على السواء وهي ملكة غرناطة فى فترة الاحتضار وهي زوجة الامير أبي الحسن ابن الاحمر رزقت منه بولديـــن : محمد ويوسف ، عرفت بالحرة ... » ص : 185 .

(9) كانت شفشاون فى هذه الفترة تزخر بالعلماء والمثقفين امثال : الكاتب العلامة القاضي علي ابـــن ميمون الادريسي الحسني ، وعلـــي بن أحمد العلمي الشريف ، والفقيه القاضي علي ابن عسكـــر والد صاحب الدوحة ، والعلامة القاضي المفتي ابن الحاج قاضي شفشاون على عهـــد بني راشـــد وغيرهـــم ...

(10) عبد الرحيم جبور (أسرة بني راشد بشمال المغرب) ص : 24 ، ط. تطوان 1953 .

(11) نفـــس المرجـــع .

سعدي ، لان الدولة السعدية كانت قد ظهرت فى جنوب المغرب ابتداء من مطلع القرن السادس عشر الميلادي وكان ابطال من الاسرة السعدية قد قاموا باعمال جهادية جليلة زعزعت الوجود البرتغالي فى الثغور المحتلة بالجنوب .

وبهذا استبشر الناس خيرا بالسعديين واصبح عدد منهم هواه سعديا فى حين ظل عدد آخر من الناس بالمغرب على اخلاصه وولائه للدولة الوطاسية نظرا لماضيها فى الجهاد والنضال ... ونظرا لما كانت تمثله من ملك اصيل وعريق مما جعل بعضهم يردد الكلمة المأثورة : « بعد بني مرين وبني وطاس ما ابقوا ناس » .

ومعنى هذا أن الناس فى هذه الفترة بالذات كان فيهم من هواه سعدي ومن هواه وطاسي وكل كانت له اعتباراته ونظرياته .

ويبدو أن الاميرة الراشدية بحكم ارتباطها وارتباط شقيقها الوزير ابراهيم بالوطاسيين كان هواها وطاسيا مائة فى المائة ولذلك فهي كانت مثلا على النقيض من اخيها لابيها محمد بن راشد حاكم شفشاون فى هذه الفترة والذي تذكر بعض الوثائق ان هواه كان سعديا وانه عمل على الاتصال بمحمد الشيخ السعدي بعدما استقر الامر للسعديين بمراكش (16) .

ولعل هذا هو ما يفسر لنا (الحركة) التي قام بها السلطان احمد الوطاسي على شفشاون سنة 948هـ اي فى هذه الرحلة التي نتحدث عنها بالذات حيث اخضع محمد بن راشد ثم عفا عنه بعد ذلك لتدخل الوجهاء والعلماء بالصلح بينه وبين السلطان .

وبعد ما اخضع القائد ابن راشد وعفا عنه واصل السير نحو تطوان التي سنراه يحتفل فيها احتفالا كبيرا بزواجه من الست الحرة اخت القائد محمد بن راشد .

و (حركة) السلطان احمد الوطاسي الى شفشاون ورحلته الى تطوان هذه الحركة أو هذه الرحلة السلطانية تعرض لها كل من ابن القاضي فى لقط الفرائد والامام أحمد المنجور فى الفهرس (17) ومحمد العربي الفاسي فى مرآة المحاسن ، ثم من جاء بعدهم ...

ومن المعلوم أنه فى هذه الرحلة تزوج السلطان الوطاسي بالست الحرة بتطوان ويبدو ان الرحلة السلطانية ابتدات من فاس واتجهت نحو الشمال عن طريق القبائل الآتية :

الحياينة ، بني ورياكل ، بني زروال ، بني احمد ، الاخماس (19) ، شفشاون . وفى شفشاون كما عرفنا من قبل أخضع السلطان القائد ابن راشد الذي رجحنا أن هواه كان سعديا فى هذه الفترة نظرا للاعتبارات السالفة وانتهت (الحركة) على شفشاون بالصلح وبتثبيت القائد الراشدي فى مركزه ثم بعد ذلك حط السلطان بجموعه الغفيرة بتطوان حيث احتفل بزواجه من الست الحرة .

ويستفاد من الامام احمد المنجور أن العلماء الذين رافقوا السلطان فى هذه الرحلة كانوا يقومون بنشاط ثقافي كالتدريس وغيره ... ويذكر أن شيخه اليسيتني ورفيقه عبد الوهاب الزقاق وعبد الواحد الونشريسي كانوا ممن رافق السلطان فى هذه الرحلة الى شفشاون وتطوان الى جانب شيخهم شيخ الجماعة (علي ابن هارون) (20) وينقل عن شيخه أبي عبد الله محمد اليسيتني أنهم فى هذه الرحلة الى تطوان كانوا يدرسون على شيخ الجماعة علي ابن هارون (خزرجية العروض) وسنلاحظ فيما بعد أن بعض هؤلاء العلماء السالفي الذكر كان ممن وقع على عقد زواج السلطان بالست الحرة حاكمة تطوان .

هذا ولقد أثار زواج السلطان احمد الوطاسي بالاميرة الحرة حقد الاوربيين وضغائنهم حسبما تصرح به بعض الوثائق ، جاء فى عمدة الراوين : «ان

---

(16) اسرة بني راشد بشمال المغرب ص : 27 .
(17) فهرس احمد المنجور ص : 44 ط. الرباط 1976 ، تحقيق الاستاذ محمد حجي .
(18) المــرآة ، ص : 216 .
(19) انظر عن هذه القبائل : مجلة البحث العلمي موضوع : اصول المغاربة ، للاستاذ التقي العلوي العدد : 27 السنة : 14 ص 201 .
(20) ترجم صاحب الدوحة لهذه المجموعة من العلماء وتوجد تراجمهم بالصفحات الآتية : 42 ـ 43 ـ 41 ـ 40 ـ ط. حجرية فاسية .

ملك اسبانيا ـ فلب الثاني (كذا) ـ (21)) اغتاظ من تزوج احمد الوطاسي بالست الحرة ، لان هذا يربط أواسر الصداقة والمودة بين مجاهدي تطوان وشفشاون وبين السلطان فيتحدون ضده ...» (22) وسبقت الاشارة الى ان بعضهم شبهه بزواج الملكين الكاثوليكيين فردناند وايسلابيلا (1451 ـ 1516 م) ملكا اسبانيا .

والحقيقة هي ان هذا الزواج كان سياسيا بالدرجة الاولى خاصة وان السلطان احمد الوطاسي كان يجد نفسه في موقف حرج جدا وذلك نتيجة قيام السعديين بالجنوب الذين اصبحت تشرئب اعناقهم لامتلاك المغرب كله ، وكان قيامهم يعتمد على الدعوة الى الجهاد وتوحيد صف المغاربة ضد الاجنبي الدخيل ...

وكانت سياسة الوطاسيين منذ ظهورهم على مسرح السياسة بالمغرب هي مهادنة العدو تارة ، ومقاومته في بعض الاحيان ، وهذه السياسة لم يكن الجمهور المغربي في مجموعه راضيا عنها بل كانت منتقدة من طرف زعماء الجهاد ومن طرف العلماء ... (23) .

جاء في الدوحة في ترجمة احد العلماء المجاهدين ـ الشيخ محمد البهلولي الذي لفظ انفاسه وهو يتحرق شوقا الى الجهاد . قال بعضهم : « يا سيدي اخبرك ان السلطان امر بالغزو (وبرح به) وامنت الناس عليه والمسلمون في شوق لذلك ، ففتح الشيخ عينيه وهلل وجهه فحا وحمد الله واثنى عليه ففاضت نفسه وهو مسرور بذلك ... » (24).

فالسلطان الذي امر بالغزو (وبرح به) وفرح الناس بأمره هو السلطان احمد الوطاسي وذلك بعد موت أبيه محمد الشيخ (البرتغالي) وتنحيته لعمه ابي حسون سنة 932 هـ .

الا ان السلطان احمد بعد ذلك تبع سياسة ابيه وجده في المهادنة والمناوشة احيانا .

وفي سنة (948 هـ / 1541 م) كان السلطان احمد الوطاسي قد خسر عدة معارك مع السعديين(25) وكان يريد ان يحافظ على ما بقي له من شمال المغرب.

فكان عليه ان يتفقد هذه الجهات وان يستوثق من حكامها وان يمتن صلاته بهم ... ولو عن طريق الزواج .

ولهذا فزواج السلطان احمد الوطاسي بحاكمة تطوان كان زواجا سياسيا بالدرجة الاولى ، ومما يؤكد ذلك ان السلطان لم يصحب عروسه معه بعد بنائه بها بل تركها في تطوان تحرس الثغور وتنظم عمليات الحصار على سبتة وعلى غيرها من الثغور المحتلة بالشمال .

وفي هذا الظرف بالذات كان الخرق قد اتسع على الراتق وكان السلطان احمد الوطاسي قد خاض مع السعديين عدة معارك لم يخرج منها بطائل وكان في هذه الاثناء يحاول ان يهدء الاوضاع في الجزء الذي بقي له من المغرب .

وبهذا يبدو ان غايات الزواج واهدافه كانت هي الوصول الى تهدئة الاوضاع باقصى شمال المغرب .

وبهذا ندرك أن الزواج من الست الحرة كان تحالفا مع ابرز شخصيات شمال المغرب في هذه الفترة العصيبة من تاريخ الوطاسيين ...

الست الحرة حاكمة تطوان :

وهكذا نرى الحكم الوطاسي كان يعمل من اجل استقرار الاوضاع وتثبيت مركزه ونفوذه في مناطق الشمال .

تؤكد الوثائق العربية والاجنبية ان الست الحرة حكمت تطوان ونواحيها فترة طويلة من الزمن،

---

(21) الملك فليب الثاني (1556 ـ 1598) وهذا لم يكن على عهد الست الحرة (1510 ـ 42) بل الذي كان على عهدها ملكا لاسبانيا هو الملك شارل الخامس ، كارلو كينطو (1516 ـ 1555) ولعله سهو او سبق قلم .

(22) عمدة الراوين : ج : 4 غير مرقم مخ. م. ع. تطوان .

(23) لقد بدأ عهد الوطاسيين بعقد هدنة طويلة الاجل بين الملك الوطاسي محمد الشيخ ابن ابي زكرياء (1470 ـ 1504) وبين الملك البرتغالي الفونسو الخامس (1438 ـ 1481) .

(24) الدوحة لابن عسكر ص : 45 ـ 46 . ط. ح. فاسية .

(25) لقد لخص الكلام عن هذه المعارك الاستاذ عبد الوهاب بن منصور في تعليقاته على (عروسة المسائل) للقاضي محمد الكراسي المطبعة الملكية 1963.

فاذا اعتبرنا انها شاركت زوجها محمد المنظري في الحكم ــ وهذا هو الراجح ــ تكون هذه السيدة قد حكمت تطوان ونواحيها ما يزيد عن ثلاثين سنة ، اي منذ زواجها بالقائد المنظري سنة 916 هـ / 1510م الى زوالها من الحكم سنة 949 هـ / 1542 م .

والغريب في الامر هو انه خلال هذه المدة الطويلة من حكومة الست الحرة نرى المصادر العربية تكاد تكون ساكتة عن الاحداث اللهم الا اذا استثنينا بعض الاشارات العابرة هنا وهناك فمن ذلك مثلا ما اشار اليه ابن عسكر في الدوحة عند ترجمته للجاسوس المجهول) حيث قال : « وأتوا به الى تطوان في ولاية الست الحرة بنت علي ابن راشد وذلك في حدود الخمسين » . (أي من القرن العاشر) وتعرض لزواجها من السلطان أحمد الوطاسي ابن القاضي في لقط الفرائد ، ومحمد العربي الفاسي في مرآة المحاسن وغيرهم ... الا ان كل ذلك اشارات عابرة لا اقل ولا اكثر ... وهكذا نرى بكل اسف أن مصادرنا الوطنية لم تعتن بالحديث عن هذه السيدة عناية تناسب مركزها الاجتماعي والسياسي ... ونجد على العكس من ذلك ان المصادر الاجنبية تحدثت عن الست الحرة حاكمة تطوان في مناسبات عديدة ... الا انه مما يلاحظ في هذا الموضوع أن كتابات الاجانب عنها بالرغم مما لها من الاهمية فانها لا تخلو من اخطاء فادحة .

فمن ذلك مثلا ما سبقت الاشارة اليه من انها كانت تسمى (عائشة) ومن ذلك ايضا ما ذكره الكولونيل هنري دي كاستري من أن الست الحرة هي والدة ابن عسكر صاحب الدوحة (26) .

ولقد رد عليه مقالته هذه كل من الاستاذ عبد الرحيم جبور في كتابه (أسرة بني راشد بشمال المغرب) والاستاذ محمد داود في كتابه تاريخ تطوان (27) .

ومن ذلك ايضا الادعاء بان حياة السيدة الحرة انتهت بالقصر الكبير ، وأنها دفنت خارج باب سبتة من هذه المدينة ... (28) وربما كان مصدر هذا الادعاء هو اعتقاد بعض الكتاب الاجانب بانها والدة صاحب الدوحة التي ربما يكون ذلك صادقا في شأنها

مع أن المتواتر عند الشفشاونيين هو ان السيدة الحرة انتهت حياتها بشفشاون حيث كانت في رعاية أخيها الامير محمد ، وأنها دفنت برياض الزاوية الريسونية بهذه المدينة حيث ما يزال قبرها معروفا وحاملا لاسمها الى اليوم .

الا انه بالرغم من كل هذا فان كتابات المؤرخين الاجانب تظهر عنايتهم بالحديث عن الاسرة الراشدية وبخاصة حديثهم عن الامير ابراهيم بن راشد ، والاميرة الحرة . .

فعن الحرة مثلا يقول الكاتب سبستيان بركاز : « انها كانت شديدة الانفعال : ففي احدى المناسبات تشاجرت مع حاكم سبتة (الفونصو دي نورنها) فلجأت الى العنف والحرب لانها كانت شديدة الاندفاع وميالة الى الحروب .. وانها كانت مهتمة بتجارة الرقيق من المسيحيين على مستوى عال ، وكانت سفنها دوما تجوب البحار ، وكانت المراكب الجزائرية تلقى حفاوة بمرسى تطوان ... » (29) فمثل هذا النص لا نجده عند كتابنا الوطنيين ، وهذا النص بالرغم من ظهور الانفعال على صاحبه فهو يعطينا فكرة عن بعض الجوانب من سياسة الست الحرة حاكمة تطوان فهو يقول : انها لجأت الى الحرب مع حاكم سبتة والحقيقة ان اللجوء الى الحرب من طرف المغاربة كان يثير المحتلين الغاشمين ، لانهم يريدون من السكان المجاورين لمراكز احتلالهم أن يلتزموا الهدوء وان يرضوا بالامر الواقع ... !! وهذه سياسة كانت ترفضها الست الحرة كما كان يرفضها الشعب المغربي برمته .

والغريب ان الاوربيين المحتلين كانوا يرون مقاومة احتلالهم ما هو الا اندفاع وحب للحرب ...!

---

(26) السلسلة الاولى المجلد الاول ص : 133 بالفرنسية نقل مقالة هذه الى الاسبانية الاستاذ عبد الرحيم جبور في كتابه (بنو راشد بشمال المغرب) ص : 25 .

(27) تاريخ تطوان للاستاذ محمد داود ج : 1 ص: 120 .

(28) تابع لمقالة دي كاستري السالفة ..

(29) (بنو راشد شمال المغرب) ص : 24 .

ويذكر هذا النص ان الست الحرة كانت لهـــا عناية بالتجارة فى الرقيق من المسيحيين ... وكانت تجارتها هذه « على أعلى مستوى » !!

وكان الاوروبيين بهذا المنطق يريدون أن يتجروا وحدهم فيما عدا هم من الشعوب ، اما ان يتجر غيرهم فى المسيحيين فهذا مما يسجل ويستهجن ويشهر بـــــه ... !!

ويتعرض النص للجفاوة التي كانت تلقاها السفن الجزائرية من طرف الست الحرة بمرسى تطوان .. ومن المعلوم ان حفاوة المغاربة بالجزائريين كانـــت سياسة متبعة من قديم الزمن .

والنص هنا يشير الى وحدة خطة الجهاد بين المغرب والجزائر ضد المسيحيين المحتلين . وهو فى نفس الوقت يشنع على الست الحرة حفاوتهـــا بالسفن الجزائرية لان تضامن ووحدة شعوب المغرب العربي كان مما يحـــز فى نفـــوس المستعمريـــن واذنابهم ... وهذه سياسة ما تزال متبعة ـ بكـــل اسف ـ الى يومنا هذا .

ويشير النص كذلك الى ان اسطول الســـت الحرة كان يجوب البحار دوما وهذا كان مما يهـــدد المصالح الامبريالية والاستعمارية فى ذلك الوقت ..

ونرى الكاتب هنا بالرغم من قصر النص يتعرض لذكر نقط حساسة بالنسبة لذلك العصر ...

1) محاربة المحتلين للثغور المغربية ومقاومتهم من طرف المغاربة ، وهذه كانت قضية تشغـــل بال الجمهور المغربي .

2) خطورة العمليات القرصنية ومخر سفنها للبحـــار .

3) التجـــارة فى الرقيـــق .

وبطبيعة الحال تعد هذه القضايا من ابرز احداث القرن السادس عشر الميلادي .

وهناك عدة لقطات من هذا النوع ، سيطول بنا الحديث ان نحن تتبعنا ذلك فى هذا التعريف الموجز بالســـت الحـــرة .

الا أن النص فى مجمله يعطينا نظرة عـــن تأزم الاوضاع بين المغاربة والبرتغاليـــين ولا شـــك أن عمليات المقاومة فى هذه الفترة كانت مما يقلق بال المحتلين وفى الفترة الاخيرة من حكم الست الحرة لتطوان ونواحيها نجد المقاومة المغربيـــة يقظـــة وحـــذرة ...

ومما يستفاد من كلام ابن عسكر فى ترجمـــة (الجاسوس المجهول) ان الناس فى هـــذا الظرف بالذات كانوا حذرين مترقبيـــن ، وان العمليـــات الجاسوسية كانت على اشدهـــا ... (فالسيـــد الجاسوس) الذي ترجم له ابن عسكر (30) بالرغم من ان امره لم يكن واضحا تماما بل ربمـــا كان جانـــب (الجذب) ارجح فيه من جانب الجاسوسية فانـــه بالرغم من ذلك فان الشكوك كانت تـــدور حولـــه ، والقي عليه القبض وقدم لحاكمة البلاد الست الحرة بتهمة الجاسوسية ... ونرى ان هذه الحادثة مثلا كانت بعد زواج السلطان من الست الحرة فى حدود الخمسين من القرن كما صرح بذلـــك ابن عسكـــر والراجح انها كانت سنة 949 .

ونـــرى انه فى هذا الوقت بالذات كان افراد من اسرة المنظري ـ المتنقلين بين فاس وتطوان ـ يعملون ضد الحكم الوطاسي بكل ما اوتو من كيـــد وحيـــــل .

ولقد نجح محمد الحسن المنظري فى الانتقام من السلطان احمد الوطاسي حيث استطاع ان ينجح فى ثورته ضد زوج السلطان وعاملته بتطوان .

ولعل من اهم اسباب نجاحه هو ان الناس فى هذا الظرف الحرج من تاريخ المغرب كانوا يسمعون عن السعديين وعن انتصاراتهم على البرتغاليين فى الثغور بالجنوب ولا شك ان مثل هذه الاخبار كانـــت تخلق موجة من السخط ضد الوطاسيـــين وضـــد حكامهم والموالين لهم ...

وفى هذا الجو المفعم بالدعاية ضد الوطاسيين قضي على حكم الست الحرة بتطوان .

ولعل انسياق الست الحرة مـــع السياســـة الوطاسية الى النهاية هو ما كان محمد ابن راشـــد بشفشاون ينعيه على اخته حاكمة تطوان .

---

(30) ابن عسكر فى الدوحة ، ص : 45 . ط. ح. فاسيـــة .

ومهما يكن من أمر فان القضاء على حكم الست الحرة كان نتيجة انسياقها مع السياسة الوطاسية الى النهاية .

وتحدثنا المصادر : « انه فى 20 أكتوبر 1942م اختفى من فاس محمد الحسن المنظري الباجي الاندلسي بسبب خلافات عميقة مع السلطان احمد الوطاسي وتوجه الى تطوان مرفوقا بأسرته وبعض فرسانه تاركا متاعه وأملاكه ... وطرد الست الحرة بعد ان جردها من املاكها . وفى 22 أكتوبر أعلن استقلاله عمليا عن ملك فاس ... » (31) .

وهكذا نرى ان الثائر محمد بن الحسن المنظري استطاع ان يستغل ضعف السلطان احمد الوطاسي فاستقل بحكم تطوان وطرد الست الحرة ... وكانت هذه الاحداث سنة : 949 هـ / 1542 م .

(يتبع)

---

(31) اسرة بني راشد بشمال المغرب لعبد الرحيم جبور ص : 26 .

اقرأ فى عددنا الممتاز الخاص بذكرى وادي المخازن

- حول وقعة وادي المخازن .... عبد الله كنون
- احمد المنصور الذهبي كرجل دولة .... ابراهيم حركات
- انتصار المغرب فى وادي المخازن أنقذه من حرب صليبية عارمة ... عبد العزيز بنعبد الله
- وثيقتان جديدتان عن ذيول موقعة وادي المخازن ... محمد المنوني
- وثيقتان هامتان عن موقعة وادي المخازن ... محمد بن تاويت
- العلماء وراء معركة وادي المخازن ... حسن السائح
- موقعة وادي المخازن واندحار الصليبية بالمغرب ... سعيد أعراب

نظامنا الخير والقرآن منهجه

للشاعر الاستاذ وجيه فوزي صلاح

عيد الشباب هدى الالباب يا قلمي ... فاسعف بشعرك نشد اعذب النغم

لصاحب العيد نبراس القلوب متى ... اطل فاض النهى فى الطرس والقلم

لماهل بدد الديجور متشحا ... بالعلم والنور والاقدام والكرم

للامجد المرتضى مصباح وحدتنا ... تيار وثبتنا للعز والقيم

لمن له فى جبين المجد الوية ... ابقى على الدهر من نيل ومن هرم

انار للجيل افاق العلى فمضى ... يبني الحياة بماضي العزم والهمم

انى بدا سربل الاسلام نظرته ... ولغة الدين بالاجلال والشمم

من جده المصطفى فى روحه قبس ... يذكي الكرامات فى الانوار والظلم

تراه يستلهم القرءان معتكفا ... كأنه القطب مشدود الى الحرم

حتى اذا ما استخار الله فى عمل ... الفى المقاليد قد جاءته من عدم

حبيبه الله لا ينفك يذكره ... روحي فدا ملك بالله معتصم

ان صام عن سحق أعداء الحمى كرما ... فكفه عن سخي البذل لم تصم

ارنو لطلعته الغراء مرتقبا ... فيها الدواء الذي يشفي من السقم

فالمس العطف فى ابعاد نظرته ... والمس الرفق يقصيني عن الالم

تاج الاشاوس عين الله تحرسه ... فى ساحة الحرب او فى ساحة الحرم

وحوله الشعب اكباد مصفقة ... قد طوقته بحب غير مكتتم

ترى الجماهير والاشواق تدفعها ... تسعى لرؤيته ساقا على قدم

تعلو الهتافات ان مرت مواكبه ... كما تعالت لدى ابائه القدم

سل العيون التي غنت سواجعها ... بذكره عن ظلال الخير والنعم

سل الرمال التي فاحت ازهارها ... فى عهده عن سيول الغيث والديم

سل المحافل تصغي وهي مطرقة ... لقوله عن سنا العرفان والحكم

سل القلوب التي اهتزت بنبرته ... فوق المنابر يلقي أطيب الكلم

ترتاد آفاقها من نطقه لمع ... كأنها السحر أو ضرب من النغم

نظامنا الخير والقرءان منهجه ... سما على كل معتز من النظم

عبر القرون تجلى كالضحى ألقا ... ومد ظلا من الاخلاق والكرم

من عهد ادريس روضنا عزائمنا ... على التحدي وحفظ العهد والذمم

حتى بلغنا من الآفاق ابعدها ... فاستنجدتنا دهاة الارض والامم

قد عودتنا على الاقدام انفسنا ... فاذعن النصر للاقدام والشيم

شمم الانوف ليوث جند عاهلنا ... من شمه سربلوا بالعزم والشمم

اذا أجرنا صديقا عند محنته ... فقد اجرنا بجيش غير منهزم

شابا وسيناء فى ابطالنا راتا ... ما يذهل العقل من حزم ومن همم

ومن ثبات غداة الروع فوقهم ... على العدا بين محتد ومضطرم

رشادهم فى الوغى من نور عاهلهم ... من عز مغربهم من رفعة العلم

من روح قرآنهم من وحي سنتهم ... من حسن طاعتهم فى اصدق النعم

فكيف يجهل حساد الحمى علما ... قد ظل منتصرا فى شامخ القمم

* * *

ابا المكارم يا سبط الرسول ويا ... نور العقول ومجد السيف والقلم

لكم مقام سما يا سر نهضتنا ... جئنا نقدسه بالشعر والنغم

يا أصلح الناس فى ايامنا بكم ... قد اعتصمنا وانتم خير معتصم

اهل التصوف القوا فى سريرتكم ... وجدا فامسيتم نارا على علم

لقد مددتم يدا فى فاس طاهرة ... ففجر النبع رقراقا لكل فم

لو عاد ابن مشيش ما راى احدا ... الاك قطبا ينال السر من علم

لم لا وان بكم من شمس جدكم ... ما تستنير فتجلو حالك الظلم

* * *

مولاي يا حسن الدارين ما خفقت ... قلوبنا لسواكم بالهوى العرم

فامر بما شئت وارسم ما بدا لكم ... ما خط فكرك الا قاهر الازم

تمضي الثلاث وتمضي فى تقدمنا ... ضرنا لو عصبنا البطن عن تخم

ما بين تدبيركم يا سيدي شبه ... وبين ما دبر الصديق من قدم

تغدو العجاف سمانا ان رسمت لها ... يزدهي سوقنا فى معرض الامم

ان اعين الشعب نامت فى حمايتكم ... فعينكم فى سبيل الشعب لم تنم

فاسلم منارا مشعا فى تألقنا ... ودم حفيظا لهذا الشعب والعلم

وجيه فهمي صلاح

محاولة القضاء على وظيفة المرأة الأساسية

حقيقة "المساواة"

للأستاذ أنور الجندي

هناك محاولة استهدفت هدم الاسرة وتدمير المجتمع ووضع المراة فى غير موضعها الطبيعي تلك هي القول بالمساواة بين الرجل والمراة فى التركيب الجسمي والبيولوجي للادعاء بأنها يمكن ان تقوم بعمل الرجال وان تتحلل من وظيفتها الاساسية. هذه المحاولة من بين الخطط التي رسمتها القوى التلمودية الصهيونية لتدمير المجتمع الانساني وقد كان الاسلام قد كشف منذ أربع عشر قرنا عن تلك الفوارق فى الطبيعة والتركيب بين الرجل والمراة . وأبان عن الوظيفة الطبيعية للرجل والمراة وقد تنبه الى ذلك بعض العلماء المشتغلين بالطب والعلوم البيولوجية أمثال « اليكس كاريل » الذي اعلن « ان الاختلافات بين الرجل والمراة ليست فى الشكل الخاص للاعضاء التناسلية وفى وجود الرحم والحمل بل هي ذات طبيعة اكثر اهمية من ذلك ، ان الاختلافات بينهما تنشأ من تكوين الانسجة ذاتها ومن تلقيح الجسم كله بمواد كيماوية محددة يفرزها المبيض ، وقد ادى الجهل بهذه الحقائق الجوهرية عن الانوثة الى الاعتقاد بانه يجب ان يتلقى الجنسان تعليما واحدا وان يمنحا سلطات واحدة ومسؤوليات متشابهة . والحقيقة ان المراة تختلف اختلافا كبيرا عن الرجل فكل خلية من خلاياها تحمل طابع جنسها والامر صحيح بالنسبة لاعضائها ولجهازها العصبي . والنساء وحدهن – من بين الثدييات – هن اللائي يصلن الى نموهن الكامل بعد حمل او اثنين كما ان النساء اللائي لم يحملن لسن متزنات توازنا كاملا كالوالدات . فالامومة لازمة لاكتمال نمو المراة . ان على النساء ان يمتن اهليتهن تبعا لطبيعتهن ان يحاولن تقليد الذكور فان دورهن فى تقدم الحضارة اسمى من دور الرجال فيجب الا يتخلين عن وظائفهن المحددة » .

وهكذا كشف الغرب الحقيقة ولكنه عاجز عن الاستجابة لها فعلى المجتمع الاسلامي ان يكون قادرا على ان يحتاط دون السقوط فى نفس الهوة الخطيرة، وعليه أن يعرف ان هناك مؤامرة مدبرة حملت المراة حملا الى اوضاعها التي تعيش فيها الآن وكان من ورائها قوة تريد أن تستغلها اقتصاديا واجتماعيا وانها لم تكن راغبة فى ذلك ، وقد ساقت المراة سوقا الى المصانع والاسواق . هذه الحملة تتمثل الآن فى تلك الدعوة المسمومة المسعورة التي تحملها الصحف ويحملها عدد من كتاب التخريب تهلل لكل عمل يخرج المراة عن الفطرة او تؤدي الى تدمير الاسرة ، تحت ذلك الاسم المثير « تحرير المراة » .

ان الهدف من وراء هذه الظواهر البراقة هو خلخلة البناء الداخلي للاسرة وتقويض دعائمها . واخراج المراة من رسالتها ومهمتها الطبيعية واعدادها لمهمة اخرى ذات بريق أخاذ ولكنها لا تحقق الا تدمير المجتمع .

وقد جرت المحاولة أساسا على تمييع التعليم وخلطه بين الذكور والاناث فلم يقم تعليم متصل خاص للمراة يوجه اساسا لتكوينها كام وزوجة وصاحبة بيت ومسؤولية عن الاسرة وحامية لنظامها فى المجتمع واقتصرت الانظمة الواحدة على اخراج عدد من حاملات الشهادات . فكانت وجهة المراة ان تعمل لتكون صاحبة مورد دون ان تبحث ما اذا كان ذلك مطابقا لطبيعتها أم مناقضا لها ولذلك فان من اكبر المحاذير بقاء التعليم على النحو الذي يجري به الآن دون .... المراة وتكوينها واعدادها لمهمتها.

ويجب ان توضع الحقائق الخاصة بالفوارق بين الرجل والمراة هذه الحقائق التي اثبتتها الدراسات العلمية والاحصائية والتجارب الاجتماعية. اما المجتمع المسلم ليكون على بينة من امره من ان هناك ثمة فروق واسعة فى استعداد جنسي المراة والرجل حيال امور الحياة وشؤونها ، هذه الفوارق التي تكفل تحقيق كل منها لرسالته . ولقد كشف الاسلام عن هذا المعنى واقر كلا من الرجل والمراة لمهمته الطبيعية التي اعد لها فحصل من مهمة الرجل كسب العيش ووسائله فى ادارة المصانع والمتاجر والمزارع وغيرهما مما ينحو منحاها وجعل مهمة المراة ادارة المنزل وتهيئة لوازم الاسرة والحمل والوضع والرضاع وتربية الاولاد والحنو عليهم ، الرجل للكسب والكد وتدبير الحياة الخارجية وللمراة المهمة المنزلية وتدبير حياة الاسرة ، وليس فى ذلك انتقاص لاحدهما وانما هي القسمة العادلة بينهما ولهذا خلق الرجل قوي الجسم قوي العضلات قوي الفكر واسع الحيلة . وخلقت المراة لينة الجسم لينة الشعور عاطفة كلها واذا كان الاسلام قد انتقص من حق المراة فجعل شهادتها بنصف شهادة الرجل فهو مجاراة لطبيعتها ، فالمراة تعيش بعاطفتها لا بعقلها ، وتمتاز المراة لعاطفتها ولا تمتاز بعقلها ، وهي مع ذلك سريعة النسيان ، لهذا لم يسو الاسلام بينها وبين الرجل فى الشهادة وعلل ذلك بقوله تعالى : (ان تضل احداهما فتذكر احداهما الاخرى) فهو اعتبرها انسانا ولكنه لاحظ الفرق بينها وبين الرجل وجعل الميل اليها امرا غريزيا لما يترتب عليه من عمار الكون والميل اساس النسل ، والدنيا لا تقوم لغيره وليس الميل مقصود لذاته وانما هو وسيلة لغيره وقد نظم له (النكاح) الكامل الصحيح وحد له الحدود وأمر المراة ان تستتر وان لا تبدي مواضع الزينة ، فلا يليق بها ان تلبس ما يكشف العورة ولا ما يعيقها فضلا عما يكشفها ويبديها ، وقد اجمعت الامة على ذلك ، اما كشف الوجه واليدين فان امنت الفتنة جاز لها ذلك والا فهو حرام ايضا ، وكما حرم الاسلام ذلك حرم الاسراف فى الزينة ، فالمراة التي تلبس ثوبا رقيقا يصف جسمها ، والمراة التي تغير من خلق الله ملعونة (لعن الله الواصلة والمستوصلة والواشمة والمستوشمة والنامصة والمتنمصة والمتفلجات للحق المغيرات لخلق الله) .

(النامصة : الناتفة لشعر الجبين) .

(المتفلجة : التي تفعل الفلج فى اسنانها) .

كذلك يحرم عليها الخلوة مع ذي محرم لقوله : (ما خلا رجل بامراة الا كان الشيطان ثالثهما) . ووقف الاسلام من هذه المسالة موقفا محددا فحرم ابداء الزينة والاسراف فيها وحرم الخلوة والاختلاط لانه يؤدي اليها . اما اذا باشرت المراة حقوقها فى حشمة ووقار من غير خروج على الحد المشروع فلا مانع فى ذلك من غير خلاف ، اما الذي عليه الآن من غشيان الحفلات ودور السينما والتمثيل وشواطىء البحار وما اليها عارية متهتكة فهو أمر لا يعرفه الاسلام ولا يرضاه الدين ، فمهمة المراة ان تكون زوجة صالحة ، واما صالحة تلزم تدبير بيتها وتدبير شؤون منزلها وتصلح من شأن زوجها واولادها . ان رقي المراة يعتبر نهضة للامة ولكن ليس اهميته كأهمية اصلاح الاخلاق وتربية النفوس فليس معناه الخلاعة والاباحة والتهتك ولكن معناه التهذيب الصحيح والتربية الفاضلة والعلم النافع .

ان مسؤولية المراة التي تفرضها عليها طبيعتها ويحددها قانون الاسلام انما هي حماية الاسرة والقيام بالواجبات الاجتماعية ومن هنا يكون من المسؤولية الاجتماعية البالغة اعداد المراة المسلمة ثقافيا وخلقيا واجتماعيا بما يؤهلها لان تكون (أما) صالحة لتحمل المسؤولية التربوية المنوطة بها وان يكون ذلك فى اطار كريم للتربية والزي صيانة لحرمتها وحفاظا على تكريمها .

ولقد كان منطلق الشريعة الاسلامية هو حماية الاسرة حماية تامة من ان تكون تحت ضغط الحاجة مهددة فى شرفها وعرضها ، ومن اجل ذلك اعطاها نصيبا واضحا فى الميراث وجعل لها حقا واضحا فى المعاش وملكية واضحة للمال بما لم تستطع ان تصل اليه المراة الغربية حتى اليوم وما وصلت الى

القليل منه بعد نزول القرءان باكثر من أربعـــة عشر قرنا ؛ ولقد كان الاسلام يقصد بذلـــك الى حمايـــة شخص المراة وكيانها بحيث تكون الظروف كلهـــا صالحة لكي تكون عفيفة طاهرة ، وبذلك حـــال دون تطلع بعض القوى المضلة الى السيطرة على المـــراة واستغلالها على نحو جنسي رخيص فاعلن سلامـــة المراة فى سلامة كيانها وفى حماية عفتها لان دمـــار نفسية المراة من شانه ان يهدم حياتها ويجعلها خاضعة لاهواء الرجل ومطامعه ، وهذا ما استطاعت هـــذه القوى المضلة ان تحققه فى المجتمع الغربي حين اذلت المراة وجعلتها أداة متعة وعرضتها للاستغلال الجسدي والاقتصادي وقد أحست المراة الغربيـــة بعد مرارة التجربة انها تجري ضد الفطرة ، وتتمنى عودتها الى الاسرة والبيت .

وقد جعل الاسلام العفة هي قمة وجود المراة والعفة ان تكون المراة للزوج وحده ، دون غيـــره روحيا وجسديا وجعل ايما امراة استعرضت مفاتنها على قوم ليجدوا ريحها معصية ، كما انكـــر تشبـــه الرجال بالنساء والمتشبهات من النساء بالرجـــال وحرم عليها ان تسافر سفرا يكون ثلاثة أيام فصاعدا دون محرم ودعاها منذ أن تبلغ المحيض أن يـــرى منها الا وجهها وكفيها واشترط لها البعد عن مظاهر الزينة ودعاها الى ستر الجسم واحاطة الثياب به فلا تصف ولا تشف وحرم الخلوة بالاجنبي مهما كانـــت الظـــروف .

وفصل الاسلام القول فى المساواة على نحـــو يختلف عن أهواء البشرية الذي تحاول به الدعوات الهدامة تحطيم الاسرة وتدمير المجتمع .

فالمساواة فى مفهوم الاسلام تقتضي توزيـــع الحقوق والواجبات بين الرجال والنساء على سبيل التكافؤ او المماثلة الواضحة فى قول الله تعالـــى : (ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف) وبذلك يرفض الاسلام مفهوم المساواة التي تقـــوم على تجاهـــل الفروق الواضحة بين الجنسين فى الخلق والتكوين والموهبة والاستعداد ، حيث اختص كل جـــنس بمواهب خاصة وقدرات معينة لا يقدر عليها غيره .

وقد اكدت الابحاث العلمية والتجارب الصحيحة فى مجال المجتمعات خطا القول بالمساواة فى كل أمر يتم بين الجنسين فى القدرات والاعمال ، ذلك لانه امر لا دليل عليه فى تكوين الفطرة ولا فى تجارب الامم بل قام الدليل على نقيضه فى صحيـــح هذه الاعتبـــارات .

ولا ريب ان « الازمة » التي تمر بها المجتمعات العصرية بالاضافة الى الاخطاء وسوء التصرف ترجع الى التجاهل لفردية رسالة كل من الرجل والمـــراة والخلط بينهما ، وعدم تقييم الفوارق من حيـــث ان كل جنس له وظيفة لا يصلح لها الجنس الآخـــر ، وخاصة فى مسالة انشاء الاسرة والطفل والامومـــة والزوجة الحامية الراعية للنفس الانسانية للرجل .

هذا بالاضافة الى ان الرجل قد تفـــوق فى الاعمال التي تخصص فيها الرجال كالطبخ والازياء .

وان التفرقة بين الرجل والمراة هي تفرقـــة عضوية اقتضتها حكمة الله لضمان استدامة حيـــاة البشر وتكاملها وليست تفرقة من حيث الجوهـــر والمعدن والعمـــل .

القاهرة : انور الجندي

الشباب المسلم ومسؤولية بناء المجتمع الإسلامي

للأستاذ عبد الفتاح إمام

الشباب ، فتيان وفتيات ، درع الامة ، وحصنها ، وزهرتها وأملها ، والامم فى كل العصور ، تعقد آمالها ، وتضع رجاءها فى شبابها ، لما فيه من القوى الدافعة ، والروح التقدمية ، والطموح الى العلا ، فما فتحت الحصون ، ولا شيدت القلاع الا بسواعد الشباب ، ...

اما الشيوخ فقد انقطعت من الحياة آمالهم ، واغلقت ابواب المستقبل امامهم ، ودب اليأس الى عقولهم وقلوبهم ، بعد ان أدوا رسالتهم فى عصرهم الغابر ، والقوا القيادة الى ابنائهم ، وقد الفوا الحياة الرتيبة ، فالاغنياء الفوا حياة البذخ والترف ، كما الف الفقراء منهم ، شظف العيش ، وخشونة الملبس.

وهؤلاء وأولئك لا ترجو الامة من ورائهم نهوضا او توثبا الى الامام ، حيث ماتت فى نفوسهم الثورة التقدمية ، وخمدت جذوة الشباب التي كانت تتقد فيهم ، اللهم الا من عركتهم الحياة ، وتصارعوا معها ، فخرجوا بنتائج التجربة التي قد يأخذ منها الجيل ، ما يتفق وشؤون عصره ...

ومن المأثور الا تعودوا ابناءكم على طباعكم فانهم خلقوا لزمان غير زمانكم .

وقال حبر هذه الامة عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ، الخير كله فى الشباب ... والشباب فى سماحة نفسه ، ونقاء فطرته ، وطموحه الى الاصلاح ، وتشوقه للمثل العليا ، نزاع الى الخير ، مندفع نحو الكمال النفسي ، ما وجد التوجيه الصالح ، والارشاد السليم ، والقيادة الحكيمة ، والقدوة الطيبة ، فهو يقتحم عقبات الحياة ، ويندفع الى ما يصبو اليه من كمال تتطلع اليه نفوس الشباب ...

واذا رجعنا الى ماضينا المجيد ، وجدنا أن الشباب هو الذي صنع تاريخنا الحافل بالمفاخر والعظمة ، وانواع البطولات ، وهو الذي رسم طرق العزة والكرامة ، بمواقفه المشرفة الرائعة ، التي وقفها فى كل عصر ، وتعرض فيها لصنوف الاذى ..

والشباب هو الذي دافع دفاعا مجيدا عن حقوق شعوبنا فى حريتها وفى عزتها وكرامتها ، وحمل عبء القيادة الى الطريق القويم ، وهناك صنف من الشباب خانع مائع ، تستحيي منه الفضيلة ، ويندي

من انفعالهم الجبين ، فلا فتوة ولا رجولة ، بل خلاعة وميوعة ، مشية متخاذلة ، والفاظ نابية ، وتشبه بذوات الحجال ، واذا كان الشباب على هذا الحال ، فلا خير فيه ، ولا نفع يرجى منه ، فهؤلاء ضلوا الطريق ، وخابوا وخابت فيهم الآمال ...

شباب قنع لا خير فيهم
وبورك في الشباب الطامحينا

واذا اصيب القوم في اخلاقهم
فاقم عليهم ماتما وعويلا

فأين هؤلاء من الشباب الناهضين العاملين ، الذين تفخر بهم بلادهم واقوامهم ، لانهم يعرفون انفسهم ، ويدركون واجبهم ، ويفقهون تاريخهم ، ويتوجون ذلك كله – بالاعتزاز بدينهم ، والفخر بقوميتهم ، والوفاء لمليكهم وبلادهم ، فيعملون – ويجددون ، ويتسابقون في هذا الميدان ، فلا تطيب نفوسهم ، حتى يروا بلادهم – تسير مع ركب الحضارة – الى الامام .

* * *

ان الظروف التاريخية الراهنة ، التي تدفع العالم الى ارساء اسس الحياة المستقلة ، وبناء المجتمع الجديد ، بعد ان تخلصنا من نير السيطرة الاستعمارية ، هذه الظروف تحتم علينا عقد سلسلة من المحاضرات والندوات ، تهدف الى زيادة الاتجاه نحو سلوك طريق الاستقلال ، والعمل البنائي – الذي يتناسب مع واقعنا ...

وكذلك نحن بحاجة الى عقد المحاضرات والندوات – للتعرف على النتائج الايجابية لجهودنا – الرامية الى بناء الحاضر والمستقبل ، انطلاقا من المبادىء الاستقلالية ، والتي تعين المكافحين على توسيع مدى ادراكهم الصحيح لقضايانا ، ودور الشباب في دفع عجلة التاريخ الى الامام ، واسهامهم في ترسيخ الاتجاه الاستقلالي ، حتى نظهر على مسرح التاريخ بصورة مستقلة ، بعد ان ظلت الامة الاسلامية قرونا وقرونا تعيش على هامش التاريخ ، بل وهدفا لمآسي التاريخ وفواجعه ...

اننا نعيش في عصر الاستقلال ، وهو عصر يتميز بالاعتماد على النفس ، ومعارضة كل تدخل وخضوع ، وكل انواع السيطرة وعدم المساواة ...

وفي مطلع هذا القرن كما تعلمون ، شهد العالم تغييرات واحداثا تاريخية ، تكتسب اهمية بالغة في طبيعتها ، ومضمونها ، بفضل الكفاح المصيري ، الذي خاضته الشعوب المضطهدة ، في سبيل تحقيق الحرية والاستقلال ، وقد برز العالم الثالث قوة ثورية جبارة ، معادية للامبريالية في عصرنا ..

وقد بات يلعب دورا حاسما في عملية التطور التاريخي ، ونهض نهضة لم يسبق لها مثيل ، بفضل الحركات التحررية ، المناهضة للاستعمار – حتى ذهب الى غير رجعة ، واصبح الشعب يتمتع بالوعي الرفيع ، والاحساس القوي ، بانه سيد مصيره ، وهذا يعني ان عصرنا هذا عصر جديد ، يرفرف علينا ، ونعيش في ظلاله ..

وهذا العصر الجديد – يلقي علينا تبعات وواجبات ، وهي خلق فكرة جديدة ، للثورة والبناء في اذهاننا ، حتى نحقق اننا مستقلون ، نعمل على تطوير نضالنا ، لنشعر باننا احرارا ، واننا اهل للمجد والرقي ، ونرسم للشعب الطريق القويم – الذي يتيح له ان يصنع مصيره ، على نحو مستقل ، كما صنعت الامم التي نهضت بشعوبها الى مراقي العز والكمال ...

والشباب باعتباره – قوة الشعب ، وعماد رقيه ونهوضه ، يستطيع ان يعطي للشعب درسا عمليا ، فيطور افكاره ، ويضطلع بكل ما يستطيع من الاعمال الفنية وغيرها ، فيبدع ويخترع ، ويعطي للمجتمع الذي يعيش فيه نظرة ثابتة ، انه سيد نفسه ، ومن هذا المنطلق التحريري ، يسير الشعب على هذا النحو – فتتغير طبيعة المجتمع ، وتتطور افكاره ، الى ما يحتاجه البشر في هذا العصر – من نهضات تقدمية ، وبذلك يبدأ الشعب في مرحلة جديدة ، فيكافح ليصنع مصيره بنفسه ، ويمارس ما تمارسه كل الشعوب المعاصرة ، ليدفع عجلة التقدم والازدهار ، للامة الذي هو عضو في مجتمعها ، حتى تسير في ركب الامم جنبا الى جنب ، فلنا عقول خصبة ، وارض غنية بمواردها ، ومعادنها ، التي لم تسعد بمثلها أمة من الامم ، ولا ينقصنا الا ان نطرح الجمود الفكري الذي عشنا فيه اجيالا واجيالا ، ونطور افكارنا الى البحث في مجالات البناء ، والابداع ،

والاختراع ، معتمدين على أنفسنا ، مشمرين عن ساعد الجد ، فى جميع الميادين العلمية والعملية ، لنحيا حياة كريمة ، مستقلة ، وخلاقة ، شعارها الاكتفاء الذاتي ، والثورة على اسباب التخلف ، الذي عاش فيه المجتمع الاسلامي فترة غير قصيرة من الزمن ...

وحيث تحررت افكارنا ، وخرجت من الركود الى التخطيط ، والتنظيم ، لبناء مجتمع جديد ، يسهم اسهاما عمليا فى تكوين امة قوية ، تصون استقلالها ، وتحترم مبادئها ، وتقف كتلة واحدة امام أعدائها .. فما الذي يقعدنا ؟

واذا اردنا ان نخطط لهذا النهوض المرتقب ، فعلينا ان نستنهض العديد من المفكرين ، والباحثين المجددين ، ونهيب بهم ان يجتمعوا ، وان يفكروا ، وان يخرجوا نتائج دراساتهم الى حيز الوجود ، ودنيا العمل ، وان يكون لهم برنامج للتجربة والاختبار ...

وفى رايي أن الشباب بما فيه من الطموح ، والثورة التقدمية ، لا يقعده عن الانتاج العملي ، والظهور على مسرح التاريخ ، الا فقد المادة ــ التي اصبحت فى حوزة الرجعيين ، الذين يعيشون لانفسهم ، ولا يفكرون فى مستقبل أمتهم ، بل ربما يتمنون ان لو دامت أمتهم على ما هي عليه ، من الركود والجمود ، ليظلوا هم سادة المجتمع ، بما لديهم من اسباب الترف والنعيم ، حيث نشأوا فى الانانية وحب الذات ، وماتت فى نفوسهم أسباب المعالي والطموح ، وهؤلاء داء الامة ، ومن عوامل تأخرها وانحطاطها ...

ولو وجد الشباب من هؤلاء من يدفعهم الى العمل التقدمي ، ويمدهم بما يحتاجون اليه من أجهزة المختبرات ، والانفاق فى سبيل الابداع والاختراع ، لو أتيح للشباب ــ أن يجدوا جماعة تتعهد بالانفاق ، لكنا الآن فى طليعة الامم المتقدمة ، فان لدى الشباب ثروة فكرية ــ تحتاج الى من يخرجها الى التطبيق العملي ، وان المال كما يقولون عصب الحياة ، وهو العنصر الذي يخرج المعجزات من خزينة الافكار ــ الى عالم الوجود ، فهو يسخر الماء والتراب والهواء ــ وان ما تنتجه عقول المفكرين من مخترعات ومنشآت كونية ، مظهر من مظاهر القدرة الالهية ، فالله جلت قدرته يقول : « وسخر لكم ما فى السموات وما فى الارض جميعا منه » ، ويقول سبحانه : « قل انظروا ما ذا فى السموات والارض » . فاعمال الفكر لانتاج ما ينفع الناس ، ويعلي شانهم عبادة يرضاها الله تعالى ، ويحث عليها ، « وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله » ...

وان الله تعالى جعل المال وسيلة للانتفاع به عند الحاجة اليه ، فيصرف فى وجوه الخير ، سواء لصاحبه او المحتاجين اليه ، أو لمصلحة الوطن ، فحبسه عن الصرف فى الخير ، وعن الانتفاع به جريمة منكرة ، لا يرضاها الله تعالى ، وحبسه عن الاولاد وحرمانهم منه مبعث فسادهم ، والبخل به على الوطن ، وعدم اطلاقه فى مجال الاستثمار ، وتعميم النفع به جريمة مزدوجة ، وقد ندد الله تعالى بهذا الصنف من البخلاء فقال تعالى : « الذي جمع مالا وعدده ، يحسب ان ماله اخلده » . وقال تعالى : « وتأكلون التراث اكلا لما ، وتحبون المال حبا جما » . فمن لنا بقانون يحتم على هؤلاء ان يخرجوا اموالهم المكدسة فى المصارف والبنوك ، لتنتفع بها الامة فى مرافقها ، ومشروعاتها التي لا تقف عند حد ، والتي هي بحاجة الى هذه الاموال لتخرج الافكار الى دنيا العمل ، فتزدهر الحياة ، وينتعش المحتاجون وان الفكرة التي تنير الطريق للتقدم والنهوض ، لا تنشأ تلقاء نفسها ، فهي فى حاجة ملحة الى عقول قوية ، تستوعب متطلبات هذا العصر ، وما يحمله من منشآت ، ومبتدعات مستحدثة ، تبرزها عقول المفكرين ، ويشهد لها الواقع التاريخي ، وان أنواعها لا تقف عند حد ...

اما هذه الحياة الخالية من التجديد والتطور ، فليست بحياة ، بل الموت خير منها ، لان أحداث العصر تملي علينا أننا لا زلنا فى ركود ، نغط فى سبات عميق ، وكاننا نتمثل حياة أهل الكهف .

وان الاستقلال ليصرخ فى اسماعنا ــ ايها النوام ويحكمو ، هبوا ــ فماذا تنتظرون ؟ ان المستعمرين يرتقبون ، وينظرون ، ويعجبون من اعراض الكثيرين منا ، وتخلفهم عن الاخذ بأسباب التطبيق العملي لسياسة التقدم ...

لقد عاشت امتنا العربية من قبلنا قرونا فترت فيها العزائم وخمدت فيها الافكار ، وجمدت القرائح ، فلم يخلقوا جديدا ولم ينشئوا طارفا ولا تليدا ، ولم

يخرجوا على الناس بمجهود يبررون به استحقاقهم البقاء فى هذه الحياة ، والانتساب الى شرف البشرية المنتجة ، والانسانية المثمرة ، التي ما خلقت الا للانشاء والتعمير ، والابتكار والتشمير ، وهكذا كانوا اشباحا تدب على الارض ، وتتنقل فى ربوعها ، بين الظل الظليل ، والخضرة والسلسبيل ...

ان للمجد وسائل ومقومات . هي العلم والعمل. ولا يمكن ان يتحقق المجد ، او تتحقق العزة الا لمن هيأوا هذه الوسائل ، واعدوها لانفسهم ، وليست هذه المقومات وقفا على جيل من الناس ، ولا عصر من العصور ...

اننا نرى العلم فى تطور ، ونرى الفكر الانساني لا يقف عند حد ، والعالم يستقبل كل يوم لونا جديدا من النظريات العملية ، والابتكارات الفكرية ، والانسان امام ذلك يتطور ويتجدد ، والعصر نفسه يتحول ، ويتابع هذه التطورات ، فاين نحن من هذه العمليات الانشائية ، والنظريات العقلية والاجتماعية ، واين انتاج شبابنا فى هذا الخضم الزاهر بالعظمة ، والمثل العليا ...

ومن الملاحظ اننا نتهافت على تقليد الغربيين ، او التشابه بهم فى عاداتهم وتقاليدهم ، وغايتنا من ذلك ان نلحق بركب الحضارة الزاحف الى الامام ، وبهذا تذوب شخصيتنا ، ونفقد كياننا ، فيزيد احتقارهم لنا ، وهذا التقليد لا يطبعنا بطابع القوة التي هي عماد نهضة الامم ، انما القوة بالعلم الصحيح، والخلق الفاضل ، والتفوق فى الصناعة المهنية ، والاستعداد العسكري ، ولا شك ان هذا ليس وقفا على امة دون اخرى ، ولا هو كذلك قاصر على جيل من الاجيال ، ولكنه ميدان مفتوح لبني الانسان ، وانما تتفاضل الامم ، وتتفاوت الاجيال — بما يجددون ويحدثون ، فى هذه الآفاق — المادية ، والصناعية ، والعسكرية ...

ولذا فان الاسلام يوجه ابناءه — الى الاحتفاظ بشخصيتهم وتقويتها ، وابرازها قوية عصامية ، وان يقتدي كل مسلم بهذه الشخصية ، ويحافظ عليها ليخرج للمجتمع الانساني ، جيلا قويا ، وشبابا فتيا ، سلاحه للعلم والعمل ، والفضيلة .

والاسلام يحث على تعليم الشباب فنون الحرب، يقول الله تعالى : « واعدوا لهم ما استطعتم من قوة» كما يحث على تعليمهم الدين والقرءان ، وذلك لانه يريد ان يجمع بين تهذيب النفوس بالعقيدة والعمل الصالح ، وبين سلامة الابدان ، وتهيئة الانسان للحياة، كما يحرص على ان يخرج شبابا من فتيان وفتيات ، على مستوى النضال والجهاد ، والاضطلاع بالمهام الجسام ...

واذن فتبعة التخلف الذي نعانيه اليوم ، تقع على الجامدين الذين كانوا سبب ما ابتلينا به من تدهور وانحطاط ، وما أصبنا به من جهل وفقر وفاقة ...

ومن المعلوم ان تاخر الامم يرجع الى الركود الفكري ، والانحلال الخلقي ، والى تفشي الجهل ، والقناعة بشظف العيش ، وبؤس الحياة ، والوقوف على ابواب التقليد ، والقناعة بالقديم الموروث — قال الطغرائي فى لاميته :

يرضى الذليل بخفض العيش مسكنة
والعز عند رسيم الانيق الذلل

حب السلامة يثني عزم صاحبه
عن المعالي ويغري المرء بالكسل

فان جنحت اليه فاتخذ نفقا
فى الارض أو سلما فى الجو فاعتزل

ودع غمار العلا للمقدمين على
ركوبها واقنع منهن بالبلل

واذا كانت العزائم قد فترت فيما مضى ، فان علينا ان نجدد تاريخنا ، وان نبعث المجد والبطولة من جديد ، وان نوقظ العقول من سباتها ، وننبهها من غفوتها ، وان نلهب المشاعر حتى نسترجع مفاخرنا التي عفا عليها الزمن ، فلا يهدأ لنا بال ، ولا يطمئن لنا خاطر ، حتى نرى الارجاء تدوي بأعمالنا ، ونسمع الدنيا تتحدث بنهوضنا وعزائمنا ، وقد قال شاعر العروبة :

اذا غامرت فى شرف مروم
فلا تقنع بما دون النجوم

فطعم الموت فى أمر حقيـــر
كطعم الموت فى أمر عظيـــم

فلنحدث فى كل يوم مجدا جديدا ، ولنترك فى كل بقعة من الارض أثرا حميدا ، فنحن أبناء الفاتحين، واحفاد الابطال الميامين ، الذين مسحو الكسرويـــة الفارسية ، ودوخوا القيصرية الرومانية ، وليكـــن سعارنا قول الاوائل :

لسنا وان احسابنـا كرمـت
يوما على الابـــاء نتكـــل

نبني كما كانـت أوائلنـــا
تبني ونفعل فوق ما فعلـــوا

ان فى الشباب قوة كامنة فى نفسه ، تزخر بها كيانه ، وان فى صدره حماسة تتأجج ، وفى قلبـــه وفكره شعلة تتوقد ، ومن الواجب علينا أن نساعد على انطلاق تلك القوى الى سبلها التي تنتظرها ، وأن ننمي فيه تلك الروح التقدمية ، التي تتحفز للوثوب.

نعم من الواجب علينا الا نضع الاشواك والعقبات فى سبيل عزيمته للقضاء على التقاليد البالية ، والا نقف فى طريق ثورته على الركود والجمود ، واجب علينا أن نولي الشباب من عنايتنا ما يشجعـــه على المضي بمواهبه ، ومضاء عزائمه الى الغاية التـــي يصبوا اليها من الرقي والازدهار ، حيث نشأ هـــذا الجيل المعاصر بين أمم خلاقة ، تقذف من آن لآخر بالآيات الكونية تترى ، وبالمعجزات الفنية تتوالى ، حتى ادهشت العقول ، وحيرت الافهام ...

ومع هذا فاننا متفائلون بمستقبل زاخر بالآمال، مليىء بالتطورات التصاعدية للشعوب العربيـــة ، اذ نرى فى رحابها قوى تتفاعل ، وفى أرجائها طاقـــات فنية تتعاظم ، ولا شك أن تطور الشباب فى القـــرن العشرين سيتقدم بأمتنا العربية الى الامام بخطـــى سريعة ، حتى يغير وجه التاريخ ، ويصعد بالمجتمع الاسلامي الى الغاية التي ننشدها ...

ويساعدنا على هذا التفاؤل ، ان العقول قـــد تنبهت بعد أن كانت مغلقة ، وتفتحت بعد ان كانت مغلقة ، وانطلقت حرية الفكر والراي والقول ، وحرية العمل للفتيان والفتيات على السواء ، واقبل الجيل المعاصر – ينهل من العلوم والمعارف ما يشـــاء ، واخذ يعالج المشكلات الموروثة ، ويحـــل العقـــد المزمنة ، وبدأ يلعـــب دوره الايجابـــي فى رفـــع المستويات ، والنهوض بالافراد والجماعات ، لتتطور الشعوب الاسلامية ، وتساير عصـــر المدنيـــات الحديثة ، وتتمشى جنبا الى جنب مع الدول الناهضة وتحاول التغلب على متطلبات الزمـــن ، ورغبـــات التجديد فى العصر الحديث ...

ومن هنا تبدأ الامة فى كتابة صفحـــات مـــن التاريخ ناصعة البياض ، تبدد بها ظلام القرون الغابرة، ولا يدحر الظلام الا النور ، ولا يمحـــو الســـواد الا البيـــاض ...

ومن يمن الطالع أن جعـــل الله تعالى على راس هذه الامة المغربية ملكا قوي العزيمة ، أعطاه الله من الخصائص والمزايا – ما لم يتوفر لغيره فى هـــذا العصر ، فهو سياسي بارع ، وخطيب لامع ، ومفكر مبدع ، وعالم المعي ، ومسلم من طراز متفتح ، يجمع بين شرف الماضي وترف الحاضر ، وصرامة الحكام، وسماحة الاسلام ، حريص على النهـــوض بأمتـــه ، دائب السهر على مصالحها ، فهو ينفخ فيها من روحه الفتية ، وعزمه الوثاب ، ويوجهها بعقله الراجـــح ، وآرائه الســديدة ، وهو من الملـــوك المجدديـــن ، البنائين ، الذين يثبون بأممهم الى العلاء ، ويسيرون بها الى آفاق المجد والازدهار ، حتى تنهض ، وتلحق بركب الحضارة الزاحف الى التقدم ...

وذلك الذي نأمله ونرجوه ، وانا لمنتظرون .

والليالي من الزمان حبالـــى
مثقلات يلدن كـــل عجيـــب

الجملة القرآنية

د. محمد رجب البيومي

للتعبير القرآني سحره في النفوس فقد أنزله الله بلسان عربي مبين مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله وقد كان الشرك يلتهب حقـدا على محمد صلى الله عليه وسلم ويصد عن دينه ما استطاع وهو مع ذلك يهتز لاسلوب القرءان يذهب مستخفيا لسماعه فاذا جوبه بالمؤاخذة قال في مرارة ان له لحلاوة وان عليه لطلاوة وان أعلاه لثمر وان أسفله لمغدق وما هو بقول البشـر .

وقد ظلت العربية في مدها الطويل ذات بهاء أسلوبي رائع مرده الى كتاب الله حيث جعل المتأدبون وجهتهم القرءان يحفظونه صغارا ويتدارسون روائعه كبارا فاصبح كتاب الله نمطا رائعا يحاول الكاتب العربي ان يستفيد من روائعه وهو بذلك يعصم البلغاء من اسفاف القول وركاكة التعبير وانـى والانموذج البارع يتردد على الالسنة المؤمنة صباح مساء فيضع المثل الاعلى للقول العربي ويجعل بلاغـة التعبير وفصاحة الاسلوب مطمح ذوي البلاغات ممن يحرصون على تسنم المنابر وامتشاق اليراع .

ثم جاءت النهضة الادبية المعاصرة فشاء الله أن يتزعم كتابتها الفنية امام مصلح من ائمة الدين هـو الاستاذ الامام محمد عبده رحمه الله مفسر كتاب الله ودارس أسرار البلاغة ودلائل الاعجاز وقـد سارت الصحف اليومية والمجلات الاسبوعية حافلة بمقالاته الاصلاحية الرائعة وهي قبس من وحي الذكر اذ جعل الامام كتاب الله نمطه الاعلى الذي يحاول أن يستفيد من معجزه البياني فتوارت الجمل القرآنية الكريمة على اسلات يراعه اقتباسا واستشهادا فسنت طريقا مبينا للكتابة الادبية ونشأ جيل من مدرسة الامام يحتذيه منهجا وتعبيرا فعادت البلاغة العربية مـرة اخرى قشيبة زاهية تذكر بعصور البلاغة في دنيـا أمية وعصر الرشيد وساعد طبع التراث الادبي على رواج هذا النمط الرائع من البيان العربي ووجـد الاسلوب يحتفي به ائتلاقا ونصاعة وقـوة تصـرف وبراعة احتجاج وعادات ثمرات ابن المقفع والجاحظ وابى حيان تتساقط من افنان مصطفـى صـادق الرافعي واحمد حسن الزيات والبشري وعبد الرحمن البرقوقي والمنفلوطي والمويلحي من تلاميذ الاستاذ الامام ، وهكذا كان القرءان مصدر فصاحة اسلوبيه كما هو منار هدى تفكيري وشعاع اصلاح اجتماعي ومعجزة حية للمؤمنين .

ولكن قوما يحقدون على القرءان تأثيره الباهر في النفوس ويرون في بلاغته الاسرة حائلا دون ما يبتغون من توهين العروبة وانتكاس الاسلام وقـد تستروا بالدعوة الى اللهجات الاقليمية في كل دولة عربية لتتمزق عرى أحكمها القرءان وشدت قواهـا فصاحة الضاد فتعاوى العاوون في كل مكان بالدعوة الى لغة محلية تجعل العامية مصدر التفكير والتعبير وبذلت الاموال الدافقة لتعضيد هذا العبث الممسوخ

وما أسرع ما نشط ادعياء وهتف وصوليون وتزعم اغوار ولكن سحر القرءان لا يقاوم فقد ارتدت كل السهام الى صدور أصحابها ووضحت الاغراض الدخيلة وضوحا كشف عوارها وهتك استارها وشاء الله للعربية ان تنتصر لانه شاء للقرءان ان يخلد تصديقا لقوله عز وجل « انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون » .

واذا كان نابغة البيان العربي المعاصر الاستاذ مصطفى صادق الرافعي رحمه الله من ابرز البلغاء فصاحة وجزالة ، وللكلمة القرءانية فى بيانه وهج والتماع اذ يستشهد بها فى كل مجال فان اعداء العروبة قد حاولوا أن يغمزون بيانه من ناحية ابداعه وهو عمى معرض ضرير يجعل الزين شينا ، والنهار ليلا . فقال قائلهم فى مجلة مشبوهة لو ترك الرافعي التزامه بالجملة القرآنية لكان ذلك اجدى وانفع وطار القول الى الرافعي فنهض للرد عليه بما اشتهر به من اقناع وقال فيما قال . لقد ظهر لي من نور الجملة القرءانية ما لم اكن اراه من قبل حتى لكأنها مكرسكوب يفصح عما يخفى من صغار الجراثيم مما يكون دقيقا فيستعظم وخفيا فيستعلق ، وبلغ موضع النفاذ المصيب حين قال :

« واذا تركت الجملة القرءانية وعربيتها وفصاحتها وسموها وقيامها فى تربية الملكية وارهاف المنطق وصقل الذوق مقام نشأة خالصة فى افصح قبائل العرب وردها تاريخنا القديم الينا حتى كأننا منه وصلتنا به حتى كأنه فينا وحفظها لنا منطق رسول الله صلى الله عليه وسلم ومنطق الفصحاء من قومه حتى لكأن السنتهم هي عند التلاوة تدور فى افواهنا وسلائقهم فى تقيمنا على اوزانها اذا انا فعلت ذلك ورضيته افترائي اتبع اسلوب الترجمة فى المجلة الانجيلية واسف الى هذه الرطانة الاعجمية المعوجة واعين بنفسي على لغتي وقومي واكتب كتابة تميت اجدادي فى الاسلام ميتة جديدة وتنقلب كلماتي على تاريخهم كالدود يخرج الميت ولا يأكل الا الميت وانشىء على سنتنس المريضة نشأة من الناس يكون ابغض الاشياء عندها هو الصحيح الذي يجب أن يكون احب الاشياء اليها » .

وقد قرن الرافعي رحمه الله الجملة القرءانية بالجملة الانجيلية لهدف واضح اذ أن القرءان كما نعلم ارفع نمط بياني نجد سطوره فى اللغة العربية ولبلاغته وهو ساحر لا سبيل الى النيل منه . اما مترجمو الانجيل الى العربية فقد حرصوا على رداءة لغته حرصا متعمدا ليضعوا الحوائل بين فصاحة الاسلوب ونصوص الانجيل واهمين ان الارتفاع بأسلوب كتاب النصرانية الى مستوى بياني مقبول قد يدفع الى الاعجاب بأسلوب القرءان وهو الخطر كل الخطر على من يريدون أن يطمسوا نور الله بأفواههم ويأبى الله الا ان يتم نوره ولو كره الكافرون ولعل مما يؤكد هذا الحرص الضرير على الرداءة التعبيرية لترجمة الانجيل ان كلا من الشيخ ابراهيم اليازجي واحمد فارس الشدياق قد حاولا أن يعيدا ترجمة الانجيل الى صورة ترتفع عن صورتها الراهنة باصطناع اسلوب بياني مصقول فقام القسس فى وجه هذه المحاولة بهبة صارخة ان رجعت فى بعض أسبابها الى جهلهم بنصاعة البيان العربي فقد رجعت فى اكبر اسبابها الى خوفهم من الارتقاء بأسلوب الانجيل الى مستوى يجعل للضاد منه حصنا عاليا وموئلا كريما ، واذا لاذت العربية بكتاب فقد مهدت السبيل لاسلوب القرءان وذلك ما يكرهون على ان الرافعي رحمه الله قد وفق كل التوفيق حين كشف هوى المستعمرين فى النيل من لغة العرب كيدا لاسلوب القرءان فقال فى صراحة آخذة :

« على اني لا اعرف من السبب فى ضعف اساليب الكتابة والنزول باللغة دون منزلتها الا واحد من ثلاثة ، فاما مستعمرون يهدمون الامة فى لغتها وآدابها لتتحول عن اساس تاريخها الذي هي امة به، ولن تكون امة الا به واما النشأة فى الادب على مثل الترجمة فى الجملة الانجيلية والانطباع عليها وتعويج اللسان بها واما الجهل من حيث هو الجهل او من حيث هو الضعف ، فانه ليس كل كاتب ببليغ ولا كل من ارتهن نفسه بصناعة نبغ فيها وان نسب اليها وعد فى طبقة من اهلها والكتابة صناعة لها ادواتها » .

وقد كان لمقال الرافعي دوى رنان حيث نشر فى اكثر من صحيفة يومية وتوالت التعقيبات عليه من اقلام مختلفة تسير فى طريق الحق ومن اظهر من اوسعه تحليلا وتعقيبا امير البيان الامير شكيب ارسلان رحمه الله حيث نشر بحثا مستفيضا تحت عنوان : (ما وراء الاكمة) نقل فيه من عبارات الرافعي جملا ذات اهداف ثم راى أن يخالف الكاتب الكبير فى رده اسباب الضعف الاسلوبي والحرص

عليه الى ثلاثة اسباب (معلنا أن السبب الاساسي واحد . وهو اصيل جوهري تتعدد ظواهره وتتشعب روافده ولكن النبع واحد لا يتعدد اذ أن هذه الحملة الموجهة اليه فى البلاغة العربية لا تعني البلاغة فى ذاتها ولكنها تعني القرءان الكريم وتضمر الاضطغان على الاسلام بدليل ان هؤلاء المتبرمين بالبيان الاسلوبي يروون الشعر الجاهلي والادب الاموي والتراث العباسي دون أن يتنكروا لما يحمل من البلاغة ولكن بلاغة القرءان تقف فى حلوقهم لحاجة فى نفس يعقوب وقد عبر الامير شكيب عن ذلك بوضوح حين قال :

(ان الوجوه الثلاثة متوفرة ولكن الوجه الاول اقواها ، واصحاب هذا الوجه منهم من يريدون هدم الامة فى لغتها وآدابها خدمة لمبادىء الاستعمار الاوربي ، ومنهم من يشير باستعمال اللغة العامية بحجة انها اقرب الى الافهام ولكن منهم من لا يحاول هدم الامة فى لغتها وآدابها لا حبا فى اللغة ولكن علما باستحالة تنصل العرب من لغتهم وآدابهم ولذلك ترى هؤلاء دعاة الى اللغة والآداب على شرط الا يكون ثمة قرآن ولا حديث وأن تكون الصبغة لا دينية) .

ثم قال الامير رحمه الله :

(ان هذه الفئة تريد حربا وتورى بغيرها فهي تبغي نقض قواعد القرءان التي هي السد الامنع الحائل دون الاستعمار والثقافة الافرنجية وتأتي ذلك من طريق نبذ القديم والبالي والاخذ بالجديد والحالي ومن جملة هذه الاشراك ان القرءان حائل دون القومية العربية لا يفصح لها مجالا فتراهم يغصبون له العداوة وأمراض العقول كثيرة كأمراض الابدان وتلك لا حيلة فيها) .

ان هذه الفئة تحارب القرءان والحديث وجميع الآثار الاسلامية وتريد أن تتبدل بها كلام الجاهلية وكلام فصحاء العرب حتى من المخضرمين والمولدين وكل كلام لا يكون عليه مسحة دينية وهذه الفئة قد تعددت غاياتها واتفقت فى الوسائل فمنها من لا يجهل بلاغة القرءان وجزالته وكونه من العربية بمنزلة القطب من الرحى ولكنه يدس الدسائس من طرف خفي لاقصائه عن دائرة الادب حتى اذا تم لهم ما يبتغون من غض مكانة القرآن فى صدور الناس يكونون قد طعنوا الاسلام طعنة سياسية فى احشائه على حين يزعمون ان الموضوع موضوع أدب لغوي لا مدخل للسياسة فيه) .

وقد اوقعتنا الايام فى تجربة عملية تنطق بأثر البيان القرءاني فى ارتقاء الاسلوب الفكري نطقا تقوم على صحته الشواهد الناطقة بما لا يقبل المراء واللجاج فقد مر الادب المعاصر بفترتين متعاقبتين كانت أولاهما وتقع ما بين الحربين العالميتين فترة ازدهار فكري تتنوع ثماره ويغزر انتاجه ويرتقي شكله ومضمونه وكانت الفترة الثانية وتبدأ بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية بطيئة مملولة فى خطا طريقها المتطاول حتى تصل بنا الى يومنا الراهن وهي فترة تدهور ادبي تضطرب فيه القيم الفنيـة وتضحل المعطيات الفكرية ضحولة تورث العقم والامحال ومهما اختلف الباحثون فى تعليل الازدهار الرائع فى الفترة الاولى والامحال الجديب فى الفترة الثانية فلن يهملوا جانب الثقافة الاسلامية فى العهدين ثباتا وزوالا ، حيث كان امثال طه حسين ومحمد حسين هيكل وعباس العقاد وابراهيم المازني ومصطفى الرافعي واحمد امين واحمد حسن الزيات وعبد العزيز البشري ممن يحفظون جميعا كتاب الله ويرون فى اسلوب القرءان نمطا رائعا للتعبير الممتاز مع ما اضافوا اليه من ثقافة معاصرة تلاقت مع الثقافة الاسلامية لا لتطغى عليها بل لتزيد فى أثرائها وتضاعف فى انمائها فكان القراء يجدون فى ثمارهم الرائعة ما يرفدهم بالغذاء الجيد والصحة الفتية وكان من الرائع أن تظهر لهؤلاء الكبار مؤلفات بارعة تدور حول الاسلام مثل وحي القلم وضحى الاسلام وفجره وحياة محمد وعبقريات محمد وصحابته وعلى هامش السيرة وعلي وبنوه والشيخان والوعد الحق الى ما لا أعد من الآثار التي تزدحم بالآيات القرءانية والاحاديث النبوية ولم يكن هذا الاتجاه الديني سوى استجابة لهواتف صادقة تنطق بها حناجر مسلمة ترى فى كتاب الله آية الآيات وكنز الكنوز ولا أظن هؤلاء الاماثل قد وجدوا صعوبة فى التأليف وقد انطبعوا على الديباجة المشرقة اجمل انطباع فنسجوا من الثياب الرائعة ما يجلو عرائس افكارهم فى احلى الابراد ، ثم تفرق هذا الرعيل ليحتل القيادة الفكرية خلف لا يقرأ القرءان ولا يرد مورد الاصالة الادبية تفكيرا وتعبيرا فأصبحت مقالاتهم شبيهة بأحاديث العامة وافتن كل كاتب فى يوميات يسجلها فى صحيفته المختارة فكانت فى أكثرها فضولا لا يحلق

فى افق ولا يرتقي بجناح ولن تعود للادب العربي هيمنته الأسرة الا حين يجد قادة كفاءة العهد الاول يصلون الجديد بالقديم ويستمدون من القرءان الهاما حيا يوقظ الارواح ويحيي النفوس ولعل ما طرأ من النكسات فى عهود الضياع ينادي التائهين فى الشعاب أن أقبلوا ، فقد استبان الطريق بعد اعصار عاصف ابهم العالم واضل القافلة فتاه الحادي وسقط الدليل ولن نلتفت بعد الان الى اصوات الضغينة ممن كشف دخائلهم امثال الرافعي وشكيب فقد ادرك المنصفون ما تستر من عوار ، وتضمر من عداء أما المخدوعون الاغرار فمن الاسف المرير ان تجد هذه الاقوال المدخولة بعض الصدى لديهم اذ انصرف شذاذهم الى بواعث الهدم والتجني وراوا فى مترجمات الادب الافرنجي والهابطة منها بالذات ما يوافق اهواءهم العليلة ثم تصدروا الكتابة فى الصحف فكانوا مثالا للركاكة المسفة والانحدار المخجل ومنهم المسلمون الذين رانت عيونهم الاغشية على حين نجد نفرا من عقلاء العرب المسيحيين يؤثرون القرءان باستظهار والحفظ فتضح عليهم بيانه وكانوا من كبار ادباء العصر وشعرائه ومن هؤلاء خليل مطران وشبلي الملاط وامين نخلة وامين الريحاني وكان المحامون من نصارى مصر الى عهد قريب من ذوي البلاغة العالية اذ قرؤوا القرآن ودرسوا روائعه واعترفوا بذلك مباهين وفيهم مكرم عبيد ووهيب دوس وويصا واصف ممن سار لهم فى بلاغة الدفاع وقوة الحجاج ذكر بعيد وأذكر أن الدكتور زكي مبارك قد سأل فى بعض مقالاته بالرسالة عن السر فى بلاغة أسلوب مكرم عبيد وركاكة مقالات سلامة موسى فوضح اثر القرءان فى ارتفاع الاول لانه يحفظ آياته الشريفة ، أما ركاكة سلامة موسى فناشئة عن عداوته الوغلة لروائع الذكر الحكيم وهذا كلام لو اطلناه لامتد دون انتهاء فحسبنا أن نكتفي بالهادف المصيب .

د. محمد رجب البيومي

احصائية حول الاهتمام بالدراسات العربية والاسلامية فى اسبانيا

● اهتم قسم التعاون بمعهد الدراسات الاسبانية العربية فى مدريد بانشاء قسم خاص يحصر جميع نشاط الاشخاص والهيآت التي تعمل فى اسبانيا وانتاجها سواء من مجلات أو مطبوعات أو منشورات .

وقد ثبت من واقع هذه الاحصائيات ما يأتي : —

— يصل عدد المستشرقين والمهتمين بالدراسات العربية فى انحاء اسبانيا الى 290 شخصا .

— توجد فى انحاء اسبانيا من المؤسسات والمعاهد المعنية (59) مؤسسة ومعهدا .

— تصدر فى اسبانيا من المجلات التي لها اتصال بالدراسات العربية (10) مجلة ، ومن اهم هذه المجلات (الاندلس) العلمية ، ومجلة معهد الدراسات الاسلامية بمدريد ●

من تاريخ العمارة الدينية في عصر الأشراف السعديين - 2 -

أضرحة الأشراف السعديين بمراكش

للدكتور عثمان عثمان إسماعيل

وتعرف كذلك بروضة السعديين ذات الشهرة الواسعة فى فنون العمارة والزخرفة والنقوش والكتابات العربية ، وتقع قبلى جامع المنصور من القصبة بمراكش .

وتضم تلك الروضة عددا من قبور الملوك العظام فى تاريخ الاشراف السعديين واولهم ابو عبد الله محمد القائم بأمر الله المعروف بالشيخ والملقب بالمهدي (896 ـ 964 هـ) .

ويغلب على الاعتقاد بأن روضة السعديين قد شيدت من اجله على يدابنه وخليفته أبى محمد عبد الله الغالب بالله (رمضان 933 ـ رمضان 981 هـ). وممن دفن بها كذلك السلطان العباس احمد المنصور بالله المعروف بالذهبي (955 ـ 1012 هـ) وهو أخ أبو محمد عبد الله مؤسس الروضة (المقبرة) وابن ابى عبد الله محمد الشيخ ، وقد امر المنصور الذهبي بدفن الحرة للا مسعودة الوزكيتية زوجة السلطان ابن عبد الله محمد الشيخ بروضة السعديين بعد وفاتها 27 محرم سنة الف هجرية .

وعلى الرغم من أن بعض المؤرخين يسمونها قبور الاشراف ، غير أن بعض الاشارات توحي بانها كانت مكانا سابقا للدفن منذ عصر الموحدين ثم المرينيين من بعدهم . الا أن تاريخ عمارة تلك الروضة يتضح ابتداء من عصر الاشراف السعديين بحيث تعتبر القبة الشرقية اقدم أثر جنائزي تاريخي يعكس اسلوب المقابر المغربية التقليدي (1) .

وتشتمل قاعة الدفن الرئيسية على قبر السلطان محمد الشيخ المتوفى فى العشرين من ذي الحجة سنة 964 هـ (1557 م) بحيث يمكن تاريخ بنائها من عصر ابنه مولاي عبد الله المتوفى سنة 981 هـ (1574 م) ، وقد نقشت على رخامة قبر السلطان محمد الشيخ ابيات شعرية ذكرها صاحب الاستقصا ومنها :

حى ضريحا تغمدته رحمات
وظللت لحده منها غمامات

يا مهجة غالها غول الردى قنصا
وأثبتت سهمها فيها المنيات

دكت لموتك اطوار العلا صعقا
وارتج من بعدك السبع السموات

كما نقشت على رخامة قبر السلطان ابي محمد عبد الله ابيات ذكرها السلاوي فى نهاية سيرته نذكر منها :

(1) G. Marcais. Larchitecture Mus. P. 393 et fg. 241 p. 394

ايا زائري هب لي الدعاء ترحما
فانني الى فضل الدعاء فقيـــر

وقد كان امر المؤمنين وملكهم
الى وصيتي في البلاد شهيـــر

فها انا قد صرت ملقى بحفـــرة
ولم يغن عني قائد ووزيـــــر

تزودت حسن الظن بالله راحمي
وزادى بحسن الظن فيه كثيـــر

وفي عصر السلطان احمد المنصور السعدي تم توسيع البناء الذي أحيط من جوانبه الثلاثة بقاعـــة داخلية وممرين للدخـــول بمناسبـــة دفن الحـــرة للا مسعودة الوزكيتية المتوفاة (2) فاتح سنة الف هجرية (1590 م) حيث أقبرت على مقربة من قبر زوجها محمد الشيخ بأمر ولدها احمد المنصـــور ، ولهذا تعرف تلك القبة الى اليوم بقبة للا مسعودة .

اما المنصور السعدي ، فقد قام على غـــرار سلاطين المماليك بمصر ببناء مقبرة لنفســه في حياته تشتمل على البناء الغربي بقاعاته الثلاث وخاصـــة القاعة الوسطى ذات الاثنى عشر عمـــودا حيـــث يتوسطها قبر المنصور بعد ان نقله ولده على اثـــر وفاته بفاس سنة 1012 (3) هـ (1603 م) ، ومما نقش على رخامة قبره :

هذا ضريـــح من غـــدت
بـــه المعالـــي تفتخـــر

احمـــد منصـــور اللـــوا
لكـــل مجـــد مبتكـــر

يا رحمـــة الله اسرعـــي
بكـــل نعمـــى تستمـــر

ثم دفن ابنه مولاي زيدان بدوره الى جانبـــه وتبع ذلك دفن بعض الشخصيات العلمية داخل تلك القباب او في نطاق التخطيط العام للروضة حيـــث يمكن اليوم ملاحظة ما يزيد عن خمسين شاهد قبـــر منشوري الشكل من الرخام وعددا كبيرا من قبـــور ذات غطاء خزفي (كسوة من الزليج) .

وهكذا تبرز داخل اسوار قبـــور السعديـــن مجموعات للبناء اصغرهما بنـــاء جانبـــي (قبـــة للا مسعودة) يعتقد جورج مارسيه أنه سبق البنـــاء الرئيسي بنحو ثلاثين او اربعين عاما . وهـــو بنـــاء صغير يشمل على قاعة صغيرة جنوبا وقاعة اخـــرى شمالا اقل سعة تعتبر النواة الاصلية للبناء .

وقد ارتأيت بعد مقارنة التخطيطات المحفوظـــة بمصلحة الآثار بالرباط التي نقل عنها جورج مارسيه وبعد دارستي المباشرة لقبور السعديـــن بمراكش وتصحيح الاخطاء الواردة في تلك التخطيطات ان اقدم وصفا موجزا لهيئة العمارة والفنـــون التطبيقيـــة المتصلـــة بهـــا .

ففيما يتعلق بقبة للا مسعودة الواقعة غرب قبة المنصور نجد ان النواة الاصلية للبناء وهي القاعـــة المربعة الشمالية تنحصر بين رواقين شرقا وغربا بينما تتصل جنوبا بالقاعة الاكبر مساحة . ويتفق كل من الرواقين المذكورين مع الآخر تمام الاتفاق مـــن حيث التخطيط والمساحة والعناصـــر المعماريـــة والفنـــون الزخرفية .

ويتقدم كل رواق مدخل من فتحـــة كبيـــرة الارتفاع يحف بها من كل جانب عمود رخامي فوقـــه تاج ثم كتف مستطيل الى أعلى تغطيـــه النقـــوش الجصية ثم عقد مستقيم من الخشـــب المنقـــوش

بزخارف متنوعة تبرز وسطها النصـــوص الدينيـــة (اعوذ بالله ...) ويعتبر هذا المدخل كأهم عنصر معماري وزخرفي بكل واجهة .

غير انه يتضح من التخطيط الذي نشره جورج مارسيه نقلا عن مصلحة الآثار بالرباط وجود بـــاب

(2) راجع اصلها ونسبها واعمالها الصالحة كبناء مسجد باب دكالة وغيره بالاستقصا ج 5 ص 126 .
(3) مرض المنصور بمحلته خارج فاس الجديد ودخل الى داره بالمدينة البيضاء (فـــاس الجديـــد) فتوفى هناك ودفن بازاء مقصورة الجامع الاعظم ثم نقل الى مراكش حيث دفن بقبور الاشراف قبلى جامع المنصور من القصبة ، انظر تفاصيل ذلك بالاستقصا ج 5 ص 186 – 187 .

واحد هو الباب الشرقي وغياب الباب الغربي الذي وضع حائط بدله يسد الرواق الغربي وهو خطأ يتعارض مع واقع الآثار حيث يوجد بابان شرقا وغربا يتقدم كل منهما رواق على المحور الافقي للقاعة الصغرى الشمالية .

وتتميز زخارف الرواق خلف كل من البابين بحزام من الخط النسخي المقشر في الزليج الاسود يدور حول جدران الرواق ويستمر في القاعة الشمالية الصغرى كما يدور حول جدران القاعة الكبرى الجنوبية مع خلاف واحد وهو ان حزام الخط النسخي المقشر في الزليج يعلوه بشريط آخر من الخط الكوفي المحفور في الجص بكل من الرواقين ، بينما يوجد اطار آخر من الخط النسخي الاندلسي في الجص يعلو شريط الكتابة النسخية المقشرة بالقاعتين الشمالية والجنوبية .

وبعد الولوج من الباب الغربي وعبور الرواق تصل الى فتحة في الجدار الغربي للقاعة المربعة الشمالية ويواجهنا على محور الباب دخلة في الحائط معقودة بقوس مقرنص حوله شريط كتابي بينما يتوسط الجدار الشمالي دخلة اكثر عمقا على هيئة المحراب تغطيها قبة مقرنصة يقابلها جنوبا فتحة اخرى تصل هذه القاعة بالقاعة الاخرى الجنوبية الاكثر منها مساحة ، وتغطي القاعة الصغرى الشمالية المشتملة على عدد من شواهد القبور الرخامية المنشورية قبة مقرنصة .

واذا ما تقدمنا جنوبا الى القاعة الكبرى نجد فتحة اخرى على المحور الطولي للفتحة الواقعة بين القاعتين كما نجد فتحة في كل جانب بالحائط الشمالي للقاعة الكبرى احداها تتصل بالرواق الغربي والاخرى تتصل بالرواق الشرقي . وتشتمل هذه القاعة على عدد اكبر من شواهد القبور الرخامية منشورية الشكل ويغطيها سقف قوامه برشلة من اربعة جوانب . ويستمد البناء في القبتين والرواقين روعته الزخرفية ورقته الجمالية من انعكاس الاضواء على الزوايا والسطوح المتعددة لتظهر ثراء النقوش السعدية في الزليج والجص باتساع مساحة الاسقف والجدران .

وبالنسبة لبناء العمارة الرئيسية في اضرحة الاشراف السعديين حيث دفن المنصور السعدي ، فاننا عن طريق ممر متعرج يدور حول محراب المسجد نصل الى الداخل حيث الصحن الفسيح والقباب القائمة لصق حائط مسجد القصبة . وهذه المجموعة المعمارية تتكون من ثلاثة عناصر رئيسية تتوسطها العمارة المركزية الممثلة لقاعة الدفن الكبر . وهذا العنصر المركزي يتصل جهة الجنوب بالعنصر الثاني وهو بيت للصلاة كما يتصل من جهة الشمال بالعنصر الاخير وهو عبارة عن قاعة قليلة العمق ولكن بنفس اتساع القاعة الرئيسية للدفن .

فاذا بدانا ببيت الصلاة جنوبا وهو اقل الاقسام احتفالا بالزخرفة في مجموع البناء نجد مساحة مستطيلة يزيد اتساع قبلتها عن العمق . ويتصدر هذه المصلى محراب مضلع الجوانب محفوف بكل من جانبيه بمجموعة من الاعمدة الرقيقة الملونة تغطيه قبة ذات مقرنصات ويفتح على اسكوب القبلة بعقد منكسر على هيئة حدوة الفرس يرتكز على الاعمدة النصفية . وتخطيط هذه المصلى ينقسم الى ثلاثة اساكيب وثلاثة بلاطات عن طريق اربعة اعمدة وضعت على صفين تحمل عقودا متقاطعة من النوع المتجاوز المنكسر .

وعن طريق باب على محور المحراب يتصل هذا البناء شمالا بالقبة الرئيسية المشتملة على قبر المنصور والتي تتصل بالممر الرئيسي عن طريق بابين مستقلين . وهي ذات تخطيط مربع وقائمة الوسط على اثني عشر عمودا متجمعة في مجموعات من ثلاثة اعمدة . وتفتح مجموعة من العقود بكل جانب من الجوانب الاربعة المحيطة بالساحة الوسطى المحصورة بين الاعمدة . وتتكون كل مجموعة من ثلاثة عقود اوسطها اكثر اتساعا وارتفاعا وكلها عقود متجاوزة منكسرة BRISE وذات مقرنصات وتذكر بنظام عقود الخصة الشرقية لصحن جامع القرويين . اما الساحة الوسطى بنفس القاعة فقد غطيت بقبة مقرنصة ذات زخارف هندسية ينساب اسفلها افريز من المقرنصات وشبكات المعينات المحفورة في الجص والكتابات النسخية الكبيرة . وقد اكتسبت جدران هذه القبة البالغ ارتفاعها 11.50 مترا حلة رائعة من الخزف الملون متعدد الاشكال يستمد روعته من التكوينات الهندسية . وتختتم التكوينات الهندسية في الزليج بشريط كتابي يدور حول القاعة بالخط النسخي الملوكي المقشر

فى الزليج . واعلى الشريط الكتابي المذكور تبـدأ الخطوط النسخية المملوكية فى الجص واعلاها كسوة فريدة تغطي بقية جدران القاعة كغلالة من الدانتيل ذات عناصر دائرية مذهبة متصلة ترتفع الى الازار الخشبي اسفل الاسقف . وباعلى كل من الجدارين الشرقي والغربي نلاحظ مجموعة من ثلاثة نوافذ من الجص المخرم والزجاج الملون مما يمنحها منظـراً خلابا عندما تسلط الاضواء على تلك المـواد فتعكس الوانها الذهبية الزاهية الى اليوم وتبرز تفاصيـل عناصرها الزخرفية المنحوتة فى الجص والخشب والزليج والرخام .

واذا ما واصلنا الاتجاه شمالا من القاعة الكبرى الرئيسية عبر بابين مقرنصين شرقا وغربا نصل الى العنصر المعماري الثالث وهو قاعة بنفس الاتسـاع ولكنها اقل عمقا لتقابل بنهايتها حائطـا قسـم الى ثلاث دخلات RECESS مسطحـة على هيئـة المحراب وذات عقد مقرنص وقبة مقرنصة . ويبـدأ هذا الجدار الشمالي بالزليج فى قسمه الادنى ثـم تبدأ اشغال الجص بالقسم الاعلى حيث التقسيمات الهندسية والنجمية وشبكات المعينـات باتسـاع مساحة الجدار العليا كما تدور اشرطة من الكتابـة النسخية حول فتحات الدخلات الثلاث الموزعة على ذلك الجدار ، وينقسم سقف القاعة الى ثلاثة اقسام وقد صنع من الخشب المضفر مع وجود منور علوي للاضاءة بكل من ناحيتيه الشرقية والغربية .

الرباط د. عثمان عثمان اسماعيل

> **« العدل والانصاف يختلفان . فالعدل هو القانـون ، والانصـاف هـو الايمـان التـام الـذي يؤمـن به القاضـي حينما يحكـم . واذا اجتمـع العـدل والانصـاف اجتمعـت المقومتـان الضروريتـان الصالحتـان للحكـم ثـم لتنفيـذ الحكـم » .**
>
> جلالـة الملـك
> الحسن الثاني

الغد الباسم

للشاعر الأستاذ محمد بن محمد العلمي

وجهنا المشرق في عيد (الحسن) … من بقلب الشعب والروح سكن !

صاحب الصولة ، من يحمي الحمى ، … قد فداه الروح منا والبدن

شحن الطاقات منا للعلا ، … فتبعناه على اهدى سنن

صولجان الملك والعلم له ، … وصلاح الدين والدنيا ذعن

ذلك الشهم الاصيل المرتضى ، … خير من صان عهودا للوطن

وبه التاريخ يزهو عزة : … انه الحاضر بالماضي اقترن

ينصت الدهر الى أقواله ، … ويغني باسمه الكون الاغن !

ملأ العقل بحب صادق ، … وتفانى في عطاء للمنن .

عشقه فطرتنا الاولى التي … قد رضعناها جميعا في اللبن

عن أبيه ورث السر الذي … كان رمزا للمعالي في الزمن

وحد الامة « ادى حقها » … رفع الصرح على أسمى القنن

عرشنا يزهو بأوفى قائد … عربي ، دأبه قهر المحن

وطد استقلالنا في همة ، … بهرت في بأسها اهل الفطن

فبه عشنا اباة سادة ، … حيث عنا أذهب الله الحزن

وبه الصحراء عادت للحمى … حيث فاقت عندنا كل ثمن

لم يفوتها لنا مغتصب ، … فهناك المجد دوما مختزن

وهي منا ، والينا .. نزعت … من فلول البغي اضنافه الشجن

لم تكن قط ممر للعدى ، … فلهم فيها فناء وكفن !

و (عيون العز) فيها حور ، وفؤاد الشعب بالحسن افتتن

يخطىء الواهم فى وحدتنا ، فهي لم تخضع لريب أو لظن

فمن الاوطان نحمي وحدة ، نحن لولاها بحق لم نكن !

وحقوق الجار نرعاها ، فلم ننكث العهد ، وما فينا احن

ان رب البيت يحميه ، فما فى حشانا من عداء او درن

نحسم الزيف ، ولا نرضى بما يفتريه اي قرد او وثن

والدخيل المعتدي نطرده من حمانا .. الف كلا ! لم نهن !

عجبا ممن تجلى حقده ، فهو من وحدتنا الكبرى يجن !!!

عصبة البغي تناهى كيدها ، وهي فى اللعنة تشقى وتئن ،

ويحها من ثلة ماكرة ، خسرت اذ قلبت ظهر المجن !

حجة الحق عليها ظهرت ، فأزالت كل حدس وزكن

غرها ما طمعت فى نهبه ، ويل من يهفو لخضراء الدمن !

وسراب الغدر وهم خادع ، واليه المعتدي الوغد ركن ..

حسد الحساد ازكى شاهد لذوي الفضل بفضل لا يمن

حقنا الكامل أغلى مكسب ، ما رضينا أبدا أدنى غبن

فى حياد ، واتحاد ، صفنا ثابت الخطوة فى خير السنن .

امتي فيها شباب دائم ، فهي كنز بالمعالي قد شحن :

منجزات (الحسن الثاني) لها نفحات أطربت كل فنن

و (التحدي) رمزه فى ثقة : صانع المجد الى الامجاد حن !

جده خير الورى يضمنه ، وهو يرعاه بسره وعلن

والكرامات شهدناها ، فقد شمل اللطف المليك الممتحن

والمسيرات هنا ماضية ، تبعث النور ، وتحيي كل فن

واب الشعب على ابنائه حدب ، يحنو عليهم ، ويحن !

* * *

حفظ الله امامنا بطلا ، ينصر الاخوة ، لا يخشى الوهن :

فسل (الجولان) عن نجدته ؛ تلك (شابا) صوته فيها يرن !

مشرق الوجدان ، يقظان الحجى ، فهو حر ، كيس ، عاف الوسن

وحد الصف ، فهذا حقنا فى يد العرش الوفي المؤتمن !

وفلسطين رعاها دائما — فهي فى الذمة عهد مرتهن

وخلاص (المسجد الاقصى) له — من (صلاح الدين) تجديد الزمن !

(حرب اكتوبر) انتصار باهر — يحسم الشر ، وأسباب الفتن

قوة الايمان سر ظاهر ، — وبها (المغرب) مشدود الرسن !

* * *

بارك الله لنا فى عرشنا ، — فهو تخطيط حكيم متزن :

واكتفاء الذات ما يسعى له ، — فى اقتصاد ، ونماء ومؤن .

قوة العزة فينا فطرة : — اننا شعب كريم ، لم يهن !

والغد الباسم اذ نرسمه ، — فبجد وضمير مطمئن !

امرنا شورى .. فكنا امة — وسطا ، تزهو بتدبير حسن :

فالقطاعات هنا زاهرة : — الف مرحى للذي أحيا المهن !

ان دور (المغرب الاقصى) لقد — بهر الدنيا بتشييد الوطن

فى ظلال العرش يبني مجده ، — وهو يدري ذلك الفضل لمن ؟ !!

وعلى مفرقه تاج العلا ، — كامل الاوصاف ، مولانا (الحسن) !

الرباط : محمد بن محمد العلمي

الشيخ ابن القرشي
لدى حضرة أسد الجزيرة العربية

للأستاذ أحمد البوعياشي

في موسم حج سنة 1936 كان يبدو واضحا مدى الاستقرار الذي يخيم على المملكة السعودية بعد حربها مع اليمن ، وقد وضعت أوزارها قبله ، وكان ملحوظا اغتباط العاهل عبد العزيز ءال سعود ، فبعد حضوره الى مكة المكرمة لاداء مراسيم الحج وبعد استقراره في قصره ، دعى الى حفلة عشاء ذوي الحيثيات من مختلف الاقطار الاسلامية مع حاشية رجال دولته ، ومن ضمنهم كان وفد المغرب برئاسة الشيخ الوزير سيدي عبد الرحمن بن القرشي يضم كاتبه هذا والسيد مصطفى بن غبريط .

وقد سبق حفلة العشاء حفلة شرب القهوة العربية التي كان موعدها بعد المغرب مباشرة ، وكان على المدعوين أن يحضروا قبل صلاة المغرب لان العاهل يصلي ثم يخرج الى الحفلة ، وكان يتعذر على المدعوين الذين يبلغ عددهم ثلاثة مائة أن يؤدوا صلاة المغرب في الصالون الذي يضمهم ، فما كان من الشيخ ابن القرشي الا ان تنحى الى زاوية من الصالون يتبعه المغاربة وبعض الجزائريين فأم بهم صلاة المغرب وكان لصوته الجهوري أثناء الصلاة في اللحظة التي حضر فيها الملك صيت ملحوظ لفه صمت رهيب ، فلما سلم بنفس الصوت تقدم ياور للاخذ بيده والذهاب به الى منصة الملك حيث قام وصافحه ثم أقعده معه ، وبعد برهة من المحادثة أبلغه فيها الشيخ عواطف وتمنيات جلالة محمد الخامس والشعب المغربي المسلم الذي ينظر الى حامي حمى الحرمين الشريفين بالاعجاب والتقدير .

وبعد حفلة العشاء ، والانتقال الى أعلى القصر الذي ازدحم بالمدعوين بمن فيهم الصحفيون والشعراء أعطى العاهل الاشارة للخطباء والشعراء فكانت القصيدة العصماء التي ألقاها شاعر نجدي تعكس ذلك الاستقرار والتي جاء مطلعها :

قر في غمده الحسام الفرند ... سيد العرب ان عيشك رغد

وقد استعادت حاشية الملك ووزراؤه كثيرا من المرات الابيات التي تضرب على وتر النهاية المحمودة لتلك الحرب .

من هو الوزير الشيخ الامام سيدي عبد الرحمن بن القرشي ؟

لا أعني هنا تحرير ترجمة الشيخ مثل تراجم الاعلام ، فان ذلك قد يكون تكفل به ولده الروحي العلامة المدرس الفتي الشريف مولاي أحمد الشبيهي رحمه الله ، حسبما علمت منه قبل وفاته ، انه جمع مخطوطا في ترجمته الكاملة ، وعسى ان نقراها مطبوعة بعناية عائلته .

وانما اعني هنا نشر مشاهـدات تاريخيـة محدودة ، وما رافقها من محادثـات في ندواتـه وملاقاته في مختلف الحالات ، وقد يكون تعبيرا عن حياة فترة معينة ، خلال حياة رجل عاش تلك الفترة المغربية المظلمة فاستطاع ان يحافظ على مثاليـة الشيوخ الذين نقرا سيرتهم في كتـب التراجـم والفهارس ، ونتلمس من ذكرهم بركات صلاحهـم وتقواهم ، ونكبر صلابتهم في الحق والدين ، حيث لا يخافون في الله لومة لائم ، رغم عدم توفر المناخ لشيخنا الذي يكون توفر للآخرين .

واذا كان من حقي أن انفض الغبار عن كناشتي، التي سجلت فيها ما سجلت ايام دراستي بجامعـة القرويين خلال الثلاثينيات ، وبالاخـص بمناسبـة رحلتي معه الى شمال المغرب وجنوبه ، اللتين كانتا بمثابة اختبار لقدرته على تكبد مشاق الرحلة الطويلة الى الديار المقدسة عن طريق القاهرة ، فانما ذلك قد يكون فيه من الطرافة والعبر ما يستحب تسجيله وقد يكون ايضا من العقوق ترك تلك الملابسات في طي الكتمان او الاهمال ، مع انه قد يكون فيها ما يدل على واقع عربي في وقت محدد عرف فيه المغرب ضمن الاقطار العربية صدمات صمد لها مـن رزق الثبات واليقين ، ممن اعتاد المغرب ان ينجبهم ، من بين من يؤهلهم للذود عن الاسلام ، ونصر السنـة النبوية غير متاثرين الا بتعاليم الشريعة السمحـاء يقفون عند حدودها ، وفي اطارها يناصرون القضايا الوطنيـة .

كان الشيخ ابن القرشي في فترة الثلاثينيات مسنا بلغ من العمر عتيا كنا نحزر عمره بما ينيف عن تسعين سنة ، ولا يعرف بالضبط تاريخ ولادته ، الا انه يقدر انه ولد في عهد السلطان مولاي عبد الرحمن ابن هشام السابع عام 1238 والمتوفى عام 1276 هـ.

ولم يكن في امكان اي أحد كيفما كانت حيثيته ان يتجرا بسؤاله عن سنه ، لما في السؤال عن السن من سوء الادب ، لانه مظنة تكذيب صاحبه ، وبالاخص ان الشيخ شديد التمسك بالجادة حتى ان الجالس معه يشد أنفاسه ، خوف ان تبدر منه بادرة تثيـر كوامنه عند استفزاز تلك الملاحم الالهية التي يشع منها النور الرباني في هدوء ورضى ، ثم حـذار ان تقطع عنه حديثه المسلسل الرزين ، المطبوع من عبر الزمان ، وهدى السنة النبوية والتاريخ الاسلامـي عامة ، والمغربي خاصة ، يحيط بما له وما عليه ، من دون ان يتشيع الا عن اعتقاد راسخ مستوحى من نظريته النابعة عن أصول فلسفة التاريخ .

وبذلك كانت مجالسه حلقات مترابطة ، يحادث جلساءه كأنه في عمر مقتبل ، وفي عنفوان الذكاء ، ويستظهر النصوص بحرفيتها في شتى الميادين المطروقة ، ويضفي على سامعيه ما شاء اللـه مـن الجاذبية الحلوة ، التي تبهرهم في حديث المجرب الخريت الذي يحمل على اكتافه بعد ما تحمل مسؤولية العلم مبكرا عهود ستة ملوك علويين من محمد الرابع الى محمد الخامس .

أصله من تافيلالت ، يوقع على الاجازات التي كنت اتولى تحريرها في رحلاته وبالاخص رحلـة المشرق الحسني الادريسي ، ورد على فاس لمتابعة الدراسة في القرويين ، عاشر جمعا من الشيـوخ المرموقين امثال الشيخ سيدي أحمد بن الخيـاط والشيخ سيدي محمد كنون والشيخ سيدي امحمد القادري والشيخ سيدي احمد البلغيثي والقاضـي العراقي وغيرهم ، وحياته اليوميـة في فتـرة الثلاثينيات ، كانت رتيبة هكذا يصلي الفجـر في جامعة القرويين رغم كبره يركب من داره على دابته المسرجة بمعية خادم له ، وكان قبل ذلك يصلي في مسجد ضريح مولاي ادريس ، فقصـد الجمهـور الصلاة هناك اقتداء به فلما رأى ذلك خاف ان يعتقد الناس ان لمولاي ادريس التاثير في فضل الصـلاة هناك فانتقل الى القرويين ، ويقال انه داوم صـلاة الفجر فيما بين جامع مولاي ادريس والقرويين مدة أربعين سنـة .

ولكبر سنه في هذه الفترة كان لا يستطيع ان يلقي اكثر من درس واحد ، يلقيه بعد صلاة العصر ما عدا يومي الخميس والجمعة ، ودروسه في موضوع صحيح البخاري أو صحيح مسلم ، وكان يقول انـه يريد ان يلقى الله وهو في حالة الاشتغال بالعلـم ، وكان يحكي عن احد الشيوخ الفضلاء ، انه لما مرض مرض موته دعى عائلته وهو طريح الفراش ليدرس لها في الاجرومية ليلقى الله وهو في هذه الحالة .

استعدادا للدرس كان يطالع مظان درسه اما بعد الضحى او بعد الظهر او فيهما معا وكان يطالع بالعين المجردة ، ولم يلبس على عينيه قط النظارات المكبرة، الا أنه كان يقترب من الاوراق حتى تكاد تلمس عينيه؛

وكان يداوم عند ما يريد ان ينام مباشــــرة على ان يتطبب عينيه بماء فاتر يلقي فيه نقطة من دواء يضعها في كاس طبية ، كما احتفظ باسنانه الاصلية الى آخر عمره رحمه الله رحمة واسعة .

وما عدا أوقات المطالعة ينكب على تلاوة القرآن في المصحف الكريم ؛ وغالبــا ما كان يجــلس على « فرتلة » بباب داره الكبيرة التي تسامت بانحراف شيئا ما البوابة الخلفية لمسجد ضريح الشيخ الامام سيدي التاودي رحمه الله ، وفي الليل عندما يأوي الى فراشه يتلو القرءان سرا الى ان ياخذه النوم .

كانت ادعيته كثيرة ، وكلها ماخوذة من المأثور عن السنة ، متبعا في ذلك السلف الصالح من العلماء الاعلام . ويرى مثل سابقيه ، ان الوسيلة المثلى هي في اتباع السنة مع الاعراض صفحا عن تهافت المتفقهة الذين يتلمسون طرائق موضوعة محتوية على الغث والسميــــن .

له تعلق مدهش بالجانب النبوي الكريم وكنـــا معشر الطلبة في حلقته الدراسية تشفق عليه اذا وصل به الدرس الى حياته (صلعم) الاولى مع قريش ، وبالاخص حول قضية ذهابه الى الطائف ، وما قوبل به (صلعم) هناك ، فانه تبدو رحمه الله ذاته ترتعش، وكذلك بالنسبة لما عليه جمهور المحدثين من احياء أبويه (صلعم) للايمان به اكراما له ، وفي هذا المعنى بلغه ذات مرة ان احد المدرسين من مدينة الصويرة تكلم في القضية بما يخالف ما ذكر ، فكان رحمه الله عند ما يطرق هذا الموضوع ، يكاد يسقط مــن على الكرسي تاثرا بمقولة المدرس ، وكان يصف الذيــن كانوا في حلقة ذلك المدرس بالمخذولين حيث لــم يضربوه بنعالهم على كرسيه حتى يسقطوه انتصــارا للجانب النبوي الشريف . تولى رحمه الله قضــاء جامع الرصيف بفاس في عهد مولاي عبد العزيــز ، وكان على فاس خليفة للسلطان عمه مولاي عرفة ، وكان القاضي لا يقبل من الخليفة السلطاني ، شفاعة لديه في بعض القضايا الشرعية وربما أغلظ القاضي القول في مكتوب الى الخليفة ، مثل لا أسمع لك قولا ولا أرفع لك راسا في الشؤون القضائية ، الامر الذي ادى بالحاجب ابا احمد بن موسى ان يعمل على نقله (القاضي) من فاس الى مراكش لا كقاض ولكــن كمحدث دارس للعلم ، ويبدو ان ترحيله من فاس كان من وحي الخليفة السلطاني الذي قد يكــون تذرع بخوف هيجان الاهالي الذين كانوا يرون فيه القاضي العدل الذي يستعدونه في قضاياهم ، امام امثــال الشريف الوزاني بوشنافة الذي كان لا يرضخ للقضاء الى ان ارغمه القاضي بالحضور بنفسه امام خصمه رغم الحاج الخليفة السلطاني باعفائه من الحضور فلم يسمع منه ذلك .

وقد تعجب سكان حي دار بوعلي ، من القاضي غداة رحيله حيث عمد الى رهن مرشته عند بقال حيه المدعو بنيس في ثمن الصابون البلدي لغسل ثياب العائلـــة .

وقد سار على هذا المسلك الصلب رحمه الله عند ما تولى وزارة العدل ايام السلطان مولاي يوسف ابن الحسن الاول ، فعندما بدا الافرنسيون يدقون المسمار في نعش حمايتهم بالمغــرب باستصـــدار الظهير البربري (16 ماي 1930) امتنع ان يزكي الظهير باصدار المرسوم الوزاري بتطبيق الظهيــر حسب البروتوكول المعهود في مثل الحالة ، وقد كان يحكي رحمه الله ، انه راودته الاقامة العامة بكــل اساليب الضغط ادى به الى حوار خشن مع الكاتب العام للاقامة في مكتبه (الوزير) قائلا له ان الــذي بيدي هو القلم فقط اما الاقامة العامة فبيدها القوة العسكرية ، ان شاءت تطبيق الظهير فلتطبقه بالقوة، اما انا فلا اغير الشريعة الاسلامية بالاعراف ولو طبقت السمــاء على الارض .

وهنا وصلت الحالة الى منعرج خطير ، حيث لم ينفع فيه الا ان اشعر بأن له رخصة ليذهب الى فاس ليستريح ، واقيم مقامه نائبه ، الذي امضــى المرسوم ، الا ان الرخصة لم تنته ، ولم يسأل هــو كيف ؟ ولا متى تنتهي ؟ .

ومع ذلك فقد بقي حرا معززا لدى المواطنيــن وحتى عند الحكام الافرنسيين فكان لا يحضر الى فاس اية شخصية مغربية او فرنسية الا وكان أول مهامه ان يزور الشيخ في داره ، وكان يحكي رحمه الله انه زاره ذات مرة المرشال اليوطي في داره ، وأجرى معه حديثا عن المبادىء الاسلامية ، التي بينها لــه الشيخ على نصاعتها ، فلما اعجب بها المرشال قال له « ان الاسلام على هذا البيان لم اسمعه من غيرك ، وانه اقتنع الان بأن الاسلام دين سماوي صحيــح » قال الشيخ فقلت له اذن أسلم فــورا ، ثم يردف تعجبا « ومن يضلل الله فلا هادي له » .

على ان قضيته مع الظهير البربري لم تنته عند حد امتناعه عن توقيع المرسوم ، بل شارك كمواطن مسؤول لمقام مركزه العلمي ، ازاء مجتمعه وأمام الله، وذلك عند ما وضعت قضية الظهير البربري فى محك الامتحان الوطني ، فكان اول من تراس الوفد الوطني، الذي سافر من فاس الى الرباط للمثول امام السلطان مولاي يوسف بتاريخ 1930 للاحتجاج لدى جلالته (1) اذ القى امامه موعظة نصوحة مستمدة من اصول الاسلام ، قائلا ان هذا الملك لم يصل الى جلالته الا بمحافظة اسلافه على الشريعة الاسلامية ، الامر الذي تاثر به مولاي يوسف ايما تاثر حتى بكى فلم يعبا الشيخ بالسلطة الاستعمارية رغم تعقبها لاعضاء الوفد وزجت بهم فى السجون ما عدا الشيخ الذي لم تستطع ان تمد اليه يدها نظرا لسنه ومقامه عند الجمهور كما لم يقعده عجزه السني عن القيام بواجبه الوطني الاسلامي .

كانت الدوائر الوطنية ، وجمهور المغاربة قاطبة يرون فى مدرسته المدرسة السنية ، اذ ادرك شعبية قل نظيرها حتى ان المارين اذا سمعوه يعلعون نعالهم فى الشارع ليمروا حفاة احتراما لمقامه السني، بل ادى ببعض النساء والرجال انهم يدلفون الى خرسة باب داره يتعلقون بها للتبرك والتمسح بها ، ويقولون انها دار السنة ، وذلك لمقام تمسكه بالمسلك الامثل فى شؤونه الدينية والدنيوية .

* * *

يعود بنا الحال الى دراسة بعض ظواهر الحياة العلمية فى فاس بين الاتجاهات أثناء فترة الثلاثينيات

ويمكن ان نرتب تلك الاتجاهات فى المناحي ، كلها مستمد اصولها من تعاليم القرويين ، ولكن يميز بعضها عن بعض ، الاسلوب المنطقي ، الذي يصبغ كلا على حدة .

فالاتجاه المفاجيء الذي ابهر الاهالي بالاغتباط ، والاستعمار بالامتعاض ، كان يتمثل فى المدرسة العصرية الحديثة ، التي اندلعت من القرويين ذاتها ، بالدروس الملتهبة شواظا عن لسان صدق ينفثها عالم شاب حديث التخريج من القرويين حاد النظر فصيح اللسان ، سلس الالقاء ، قلب ميزان الدروس ، من اعلى منابر المسجد الجامعي ، تلعج القلوب المتعطشة ، تلك الدروس التي أحدثت انقلابا فجائيا فى صيفة الالقاء ، وفى محتوى الدروس ، التي يدعو فى مضمونها ، الى الثورة العارمة ، باسلوب تعليمي ، من خلال السيرة النبوية التي لا يمكن لمتعاونين ان يطعنوا فيها جهارا ، والا رجموا بالحجارة من الجمهور الماخوذ بسحر البيان ، الذي يسترسل مسلسلا من القاء الاستاذ علال الفاسي زعيم هذه المدرسة التي بلا شك كانت نتيجة تلقي مبادئها على السلفي المتحرر الشيخ سيدي محمد بن العربي العلوي ، والتي طعمت فيما بعد بعناصر اخرى تسير على نهجها .

مدرسة ابن القرشي السلفية :

أما الدرسة المتميزة للشيخ الامام سيدي عبد الرحمن ابن القرشي ، فهي امتداد للمدرسة السلفية المتوارثة لعلماء السنة بالمغرب والتي جاءت مسلسلة محفوظة من شيوخ سلفيين فالشيخ ابن القرشي فى حياته فى هذه الفترة ، كان يعتبر قيما على المدرسة السلفية ، التي درج عليها شيوخ العلم بالمغرب ، وبالاخص شيوخ العلم بفاس ، الذين عمروا جامعة القرويين ، واستمدوا حياتهم العلمية ، والدينية ، من السنة المثلى ، ولم يتلمسوا وسيلة غير وسيلة الهدى النبوي ، فكانوا ينافحون نفاح المتضلعين من فحول الاستقلال الفكري ، والتجربة فى أصول التشريع الاسلامي ، واذا اردنا استعراض نظائر الشيخ ابن القرشي فى هذا المضمار بفاس ، فان الاقرب بحياته ثلاثة نظائر.

1) الشيخ الامام سيدي حمدون بن عبد الرحمن بن الحاج السلمي اصلا المدراسي نسبا : الفاسي دارا ومنشا ، (1176 — 1232 هـ) .

فمن خلال وصف الشيخ وأمثاله فى كتب التراجم ، نجد ان المدرسة السلفية هذه بقيت محفوظة من ائمة العلم والشريعة تركوها تركة لمن بعدهم وكان على القيام عليها ان يوصف بانه انتهت اليه الرياسة فى العلوم ، وانه القائم بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم المد بالمنح الالهية والمواهب

(1) كتاب الحركات الاستقلالية فى المغرب العربي للاستاذ علال الفاسي ص : 146 .

الإختصاصية وانه انتسب للتدريس وخصوصا فى الحديث والتفسير .

وكذلك كان الشيخ حمدون ، فقد انتصب للتدريس فى القرويين ، وهو ابن نيف وعشرين سنة، وكان يستحضر حديث الصحيحين وجل الكتب الستة ، لا يغرب عن باله من صحيح البخاري كلمة ولا حرف ، وكان فى آخر عمره يقرأ صحيح البخاري بعد صلاة الصبح ، وفى العاشرة مختصر الشيخ خليل ، وبين الظهرين تلخيص المفتاح بالمطول او المختصر، وبعد صلاة التفسير بالبيضاوي ، وبين العشاءين التفسير ايضا ولا يتقيد بتفسير ما .

وكان متصفا بمكارم الاخلاق شجاعا جوادا مقداما ، فى الصدع بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، محبا للشرفاء .

وكان له جاه فى الدولة ، فولى خطة الاحكام بنواحي المغرب ، واقعده السلطان فى ثغر العرائش، واشتهر فى سائر النواحي ، ثم استعفى منها بقصيدة فاعفي رحمه الله (2) .

2) الشيخ الامام المؤلف القاضي سيدي المهدي ابن الطالب ابن سودة المتوفى 3 رمضان 1292 هـ .

كان يوصف بانه عالم المغرب فى وقته ، اذ فاق اهل زمانه ، علامة فصيح ، عارف بصناعة التدريس متقن حسن الايراد فيه ، تولى قضاء مكناس (3) .

اختاره مولاي الحسن الاول من بين جم من علماء وقضاة المغرب لختم صحيح الامام البخاري برباط الفتح يوم 29 رمضان عام 1290 هـ .

3) الشيخ الامام ابو عبد الله محمد المدني كنون المتوفى فى فاتح ذي الحجة 1332 هـ ، كان فى وقته اذا قيل الفقيه فى فاس لا ينصرف الا اليه ، انتهت اليه رياسة العلم والفقه فى المغرب ، متضلع قوال بالحق صادع به لا يهاب فى ذلك صغيرا ولا كبيرا (4) شديد التمسك بالسنة النبوية قيم على مدرستها اختصر حاشية الشيخ الرهوني على الزرقاني اختصارا كان مرجع المتناول بيد المدرسين والطلبة ، كان يشنع على من يبحث عن وسيلة غير السنة النبوية ، التي هي الاصل الاصيل للوسيلة الى الله لعبادته .

ففي خضم الحياة الدراسية فى هذه الجامعة من 8 الى 11 صباحا ومن 15 الى 17 مساء عندما تكون حلقات الدراسة معقودة هنا وهناك فى زوايا المسجد الفسيح ، وعند اساطينه .

هذه حلقة الشيخ سيدي محمد بن الحاج لتفسير ابن كثير ، وهذه حلقة الشيخ سيدي الحسن مزور بشرح القسطلاني عن صحيح البخاري ، وتلك حلقة الشيخ سيدي الطايع بن الحاج فى الاصول بمجمع الجوامع ، وهذه حلقة الشيخ سيدي الحسين العراقي بشرح الزرقاني لفقه خليل ، ثم حلقة الشيخ سيدي العباس البناني فى الجغرافية وفلسفة التاريخ، وحلقة الشيخ سيدي محمد العلمي فى علوم الفلك وحلقة الشيخ سيدي محمد الاعرج فى اللغة والادب، وحلقات اخرى للشيخ سيدي عبد الرحمن العراقي، وسيدي الحسن الزرهوني وسيدي عبد العزيز بن الخياط وسيدي محمد الطاهري وسيدي ابن سعيد المكناسي وسيدي ابي الشتاء الصنهاجي الى غيرهم.

وذلك مدة خمسة أيام من كل أسبوع يتوج الاسبوع بدرسين اثنين يلقيهما احد فحول تلك النخبة صباح يومي الخميس والجمعة فى الاصول وفى فقه الشيخ خليل بالزرقاني ، ذلك هو العالم المحقق رئيس المجلس العلمي الشريف الشيخ مولاي عبد الله الفضيلي العلوي ، حيث يتابع تلك الدروس فى الزرقاني لمدة ثلاثين سنة ولم يختمه حتى عندما كنت ساردا له آخر دروسه فى الوصية الى القسم الاول من الفرائض كما كانت دروسه فى تنقيح القرافي فى أصول الفقه كذلك .

كانت دروس الشيوخ المشار اليهم عدا رئيس المجلس العلمي ضمن التنظيم الذي أدخل حديثا على القرويين ، والذي حبذه بعض الجمهور دون البعض الآخر ، وبالاخص الطلبة الافقيين مما أدى الى الاضراب عن الدراسة لايام محدودة .

---

(2) الاعلام بمن حل بمراكش واغمات من الاعلام ج. 3 ص : 117 ، المطبعة الملكية بالرباط .
(3) الاستقصا ج. 7 ص : 163 — والاعلام ج. 3 ص : 174 .
(4) نفس المصدر ص : 178 .

حتى اذا هدأ هدير الدروس عشية كل يـــوم اشرابت الاعناق الى شيخ رضى بهي فى بياض البشرة والقلب واللباس ، يدخل من احدى البوابات الجنوبية للقرويين يهد الارض هدا متكئــا على ذراع احــد معاونيه ، وبعد تحية المسجد يعتلي منبر العنزة : ذلك المنبر الذي لا يقتعد عليه الا فحول العلمـاء ، امثال شيخنا ابن القرشي .

فى حلقة تجمع شتات الطلبة والتجار ، وعشاق الحديث النبوي ، وقد لا تجد موضع قدم لجلوسك، وكان الطلبة يتهافتون على دروسه ، لاخـذ سنـد الحديث عن بقية السلف الصالح ، الذي ترجى بركته.

وكان موضعي أول الامر ملاصقـا بالقـارىء (السارد) وهو طالب من الصويرة ، وكان عليه ان يضبط متن الحديث ، والانتباه الى مراد الشيخ من فقرات الشراح الملائمة للنص ، ويعتبر مساعدا خاصا للشيخ فاذا قال الشيخ قال القسطلاني او ابن حجر او العيني مثلا وارتج على الشيخ مبدأ الفقرة ، فعلى القارىء ان ينتبه للفقرة فى احد هـؤلاء الشراح الذي يكون قد استحضرها معه ، ويحكي اولها ، وبذلك كانت وضعية السارد صعبة للغاية ، فى موضعه امام شيخ سريع الانفعال ، وعندما يغيـب السارد فان مهمته تنتقل الى لانوب عنه لمكان قربي منه ، ثم لما استكمل تحصيله فى القرويين ، واخذه الاجازة ، سافر الى بلاده ، فلم يكن بد من ان احل محله ، بأمر من الشيخ ، وهنا توطدت علاقتي معه .

رحلـة الجنـوب والشمـال :

من عادة علماء فاس ، وبطبيعة الحضارة المدنية، التي ترعرعوا فيها موروثة لهم ، انهم كانوا يقومــون مرة فى كل سنة على الاقل برحلة داخل المغرب او الى الجزائر ، ويحسبون لهذه الرحلة حسابها مــن حيث رصد ميزانية لها مخصومة من الصائر اليومي المعاشي طيلة السنة .

وتكون الرحلة ممتعة ، ذلك لان علماء فاس بما يقومون به من بث العلم فى صدور طلاب العلم يقتبلون اينما توجهوا فى جهات المغرب من طرف اولئـك الطلاب الذين ما اكثرهم ، والذين اصبحوا هم ايضا شيوخ العلم فى مساقط رؤوسهم ، فيجتمع الاصل والفرع ، ويلتذ اللقاء والحديث وتكثر الضيافـات والندوات ، والدروس الحديثيـة فى المساجـد العظمى من مدينة .

الا ان الشيخ كانت له فلسفة اخرى فى رحلاته، اذ كان قر عزمه على اداء فريضة الحج ، فكان عليه ان يجرب قدرته على تكبده مشاق الرحلة .

يتبع

طنجة : احمد البوعياشي



الإمام المغيلي وآثاره
في الحكومة الاسلامية في القرون الوسطى في نيجيريا

تأليف : آدم عبد الله الالوري
عرض : الاستاذ زين العابدين الكتاني

توصلت من أخ نيجيري كريم بنسخة من كتاب جديد بعنـــوان : (الامام المغيلي وآثاره فى الحكومة الاسلامية فى القرون الوسطى فى نيجيريا) من تاليف الاستاذ آدم عبد الله الالوري مدير المركز العربـــي الاسلامي بافيجي بنيجيريا .

والكتاب الجديد طبـع بالقاهرة سنـة 1974 بالحجــم مــا دون المتوسط ، يقع فى سبعين صفحة ،يتناول بالاضافة الى الاهداء والمقدمة القاء نظرة على المغرب العربي ومظاهر الحضارة العربية بنيجيريا .

وبخصوص موضوع الكتاب يحدثنا المؤلف عن الامــام المغيلـــي ومؤلفاته ، وكراماته ، وغيرته على الاسلام ، ولقائه مع الامام السيوطـــي ونص (رسالته) ومناظرته معه ، وتآثر الاخضري بــه ، مقارنـة بيـــن المنظومتين وتأثر ابن فودى باتجاهه ، ومدينة (كانو) ووصية المغيلي فيما يجوز للحكام فى درء الناس عن الحرام ، ومجموعة فى شؤون الامارة التي تناولها باقسامها الثمانية .

وينتهي الكتاب بالحديث عـن مملكة (سنغاى) واسئلة سلطانهـا وأجوبة المغيلي عليها .

وبما ان الكتاب يكتسي اهمية علميـــة بالغـــة خصوصا بالنسبة للمغرب الافريقـــي وبالـــذات فى الظروف الراهنة ، فقد اخترت ان ابتديء الحديث عنه بنقل نص (اهداء) المؤلف الوارد فى بدايـــة الكتاب ، لان الاستاذ الالوري أدرك أبعاد رسالة الامام المغيلي فى نيجيريا فاوضح باللفظ بانه « احياء لآثار العلماء المغاربة فى الســودان ، وتذكيرا بالصـــلات الثقافية بين المغرب العربي والسودان الغربي ، وبين الديار المصرية وبلاد السودان الغربيـــة أهـــدي رسالتي هذه الى :

علماء جامعة القرويين بـ « فاس » لانهـا اول جامعة انجبت الاساطين والاراكين ، الذين خدمـوا العربية والاسلام فى « مـراكش » و الجزائـر » و « تونس » و « طرابلس » وغيرها من بلاد المغرب، ثم امتد نفوذهـم الى « تمبكتـو » و « جنـى » و « كاشنة » و « مالي » و « غانة » و « سنغلـي » و « كانو » و « برنو » وغيرها من بلاد السودان .

كما أهدى ضمن رسالتي هـذه : (رسالـة السيوطي الى بلاد التكرور) الى علماء جامعة الازهر الذين فتحوا رحاب التعليم والارشاد لكل من قصدهم من العالم الاسلامي حتى امتد هـذا الى السودان الغربي ، اهديها لهم جميعا تجديدا للعلاقات السابقة بين البلدين (1) .

وتجديدا ايضا لهذه الصلات ، وتنويها بدورها فى نشر رسالة التوحيد والايمان نتناول الحديـث حول هذا الكتاب مؤمنين بأن الحديـث فى هـذا الموضوع له اهميته البالغة فى وقت نجد فيه قارتنا الافريقية المكافحة تعمل بكل امكانياتها للتخلص من الاستعمارين القديم والحديـث ، ومـن اذنابهمـا والمتسلطين عليها ، منطلقة من نفس الايمان ونفس الرغبـة .

ولذلك نجد مؤلف الكتاب يرتكز « على القـول بأن شمال افريقيا مرتبط بغربها منذ عهد قديم على صلات ثقافية او اقتصادية » ، وهو قول لا يختلف فيه اثنان من علماء التاريخ ، اذ لا يفصل شمال افريقيـا عن غربها حاجز طبيعي غير الصحـراء الكبـرى ، وليست هذه الصحراء خالية من قوافل المجتازين من الشمال الى الغرب ، أو العكس ، ذهابا وايابا .

وترجع هذه الصلات الى ايـام الفينيقييـن والقرطاجنيين والرومان ، فقد ادت هذه الصلات الى امتداد الثقافة والحضارة والسياسة والديانة مـن شمال افريقيا الى غربها وهي التي سهلت السبيـل لسرعة انتشار الاسلام فى تلك الجهات .

ولقد ظل المغاربة ينقلون البضائع من تونس وطرابلس لبيعها فى عواصم السودان الغربي مثـل « غانا » و « مالي » و « كاشنة » و « كانو » و « برنو » وغيرها من بلاد غرب افريقيا ، كما كانوا يعودون منها الى بلادهم ، والى جانبهم دعاة ومرشدون ومعلمون وائمة ينتشرون فى ارجاء غرب افريقيـا لنشـر الثقافة العربية الاسلامية فى سائر تلك الارجـاء ، فانطبعت غرب افريقيا بما فى شمالها من العقيـدة والمذهب والطريقة والمشرب (2) ... بفضل الذين اخلصوا عملهم لله ولرسوله الايمـان والتوحيـد والمعرفـة .

ومن أولئك الرجال « الامام المغيلي » الـذي نخص هذا العرض للحديث عنه ، وعن آثاره تخليدا لمقومات حضارتنا الاسلامية ، التي لعبت دورا هاما، وبالخصوص فى افريقيا وفى نيجيريا حيث ابتدات منذ القرن العاشر الميلادي ، وامتـدت الى زمـن الاحتلال الاروبي ، وتمجيدا لآثار « المغيلي » وآثره الذي يعترف به من يحـون به وينوهـون بـدوره وفعاليته فى انعاش تلك الحضارة التي ازدهرت فى البلاد الشقيقة المؤمنة باسلامها واصالتها .

مـن هـو الامـام المغيلـي ؟

واذا كان هذا الكتاب قد ارتكز على احياء جانب من الآثار التي خلفها العلماء المغاربة فى عدة جهات افريقية ـ كما يقول المؤلف ـ وتذكيرا بالصـلات الثقافية بين المغرب العربي والسـودان الغربـي بالخصوص ، فان الاهمية التي يكتسيها موضوع هذا الكتاب تجعلنا نتوقف قليلا للتعـرف بشخصيـة « الامام المغيلي » اعتمادا على ما ورد فيه تعميمـا للفائدة ، وتنويها برسالة التوحيد والوحدة التي عمل لها بكل اخلاص ووفاء ممـا دفع بالاستاذ الالـوري مؤلف الكتاب لتذكيرنا به وبدوره واهميته ، هـذا الدور الذي قام به فى هذه الجهة من القارة الافريقية المسلمة ، فمن هو الامام المغيلي اذن ؟

الامام المغيلي هو الشيخ محمد بن عبد الكريم الذي وصفه الشيخ أحمد بابا التمبكي (3) فى كتابه (نيل الابتهاج) (4) بأنه خاتمة المحققين ، وأحـد

(1) نـفـس الكتـاب : صفحة : 3 .
(2) نـفـس الكتـاب ، صفحـة : 6 .
(3) سنـة 1032 هـ ـ 1624 م .
(4) طبع بفاس سنة 1317 هـ وبالقاهرة سنة 1329

اذكياء العلم الذين اوتو بسطة فيه ، والتقدم فى فهمه .

واذا كنا لا نعلم اي شيء لحد الآن عن تاريخ ميلاده (6) فالذي نتوفر عليه هو انه توفي عام 909 هـ ـ 1503 م وهو ينحدر من قبيلة مغيلة احدى القبائل البربرية فى المغرب من جيران قبائل حمير امثال صنهاجة وكتامة .

ولقد درس بالمغرب على عدد مهم من اعلامه ، فمنهم الشيخ عبد الرحمن الثعالبي علامة المغرب الشهير ، والشيخ يحيى بن بدير ، كما عرف كثيرا من اقطاب العلم والمعرفة ، كذلك اخذ عنه اعلام كثيرون من المغاربة والسودان منهم الفقيه قاضي « كاشنة » وابن احمد الشاذلي ، والشيخ العاقب الانعمي المسوفي الاقدمي ، ومحمد بن عبد الجبار الفجيجي وغيرهم ...

اما آثاره فنشير اليها كما تعرض اليها المؤلف وهي كما يلي :

— (البدر المنير فى علوم التفسير)

— (مفتاح النظر فى علوم الاثر)

— (مصباح الارواح فى أصول الفلاح)

— (ملخص تلخيص المفتاح وشرحه)

— (شرح جمل الخونجي) (6)

— (منمح الوهاب) المشهور بـ (رجز المغيلي) وله ثلاث شروح (7)

— (وتنبيه الغافلين عن فكر الملبسين بدعوى مقامات العارفين)

— وله (ميمية) على (وزن البردة) (8) وهذه القائمة تختلف عما أورده الاستاذ عبد العزيز بن عبد الله فى (معلمة الصحراء) .

ويتحدث المؤلف عن (مجموعته فى شؤون الامارة) التي كتبها الى السلطان محمد رنفا فيما يجوز للحكام فيقول عنها : (ويمتاز المغيلي فى مجموعته هذه بايجاز من غير خلل ، وتفصيل من غير ملل ، بأسلوب ادبي جذاب يغلب عليه السجع المطاوع المنسجم ، وطابع النثر الفني من غير تكلف ولا تعسف، وذلك مما يترجم عن شخصية المغيلي الادبية ، ورسوخ قدمه ونضج علمه وبلورة فهمه لاصول الشريعة الاسلامية ، وتمكنه من اصول المذهب المالكي الذي امتاز به على سائر المذاهب بالمصالح المرسلة ، وسد الرذائع ، وبالاضافة الى نصوص الكتاب والسنة وللاجماع والقياس) (9) .

وسيرى العلماء الواقفون عليها قدرته الفائقة ، براعته البالغة وثورته العلمية وفيضته الفزيرة ..(10)

ويتحدث الاستاذ الالوري اخيرا عن جانب آخر من جوانب حياته الخاصة وهو سبب رحلته الى افريقية ، وما قام به ، وما خلفه من آثار ، فيقول عنه :

« ولما سمع المغيلي بقوة الاسلام فى السودان، وشدة تمسك اهلها بالقرءان ، ومحبة سلطانها للعلم والعلماء ، اتجه اليها ... ليتمكن من التأثير على تلك الناحية ولينشر فيها الدين والعلم والثقافة والادب .

فلما وصل اليها استقبله الملوك والعلماء استقبالا باهرا ، ويقول بعض المؤرخين الاجانب أن « اسكيا محمد » سلطان (سنغاي) هو الذي استقدمه الى بلاده ، والصحيح أن المغيلي نفسه هو الذي اتجه الى السودان باختياره ، والا لما تيسر له ان يتنقل من بلاده الى بلاد مثل (كانو) و (كاشنة) و (اقدس) و (تكدة) لينشر بها افكاره وعلومه وآثاره ، ولما تسنى له أن يمكث فى مدينة (كانو) و (كاشنة) اكثر من مكوثه فى مدينة (غاو) عاصمة (سنغاي) .

---

(5) انظر (الاعلام) للتعارجي الجزء الرابع ـ صفحة : 125 .
(6) فى علم المنطق
(7) فى نفس العلم
(8) راويها فى مدح النبي
(9) نفس الكتاب ، صفحة : 40
(10) نفس العدد والصفحة .

ولقد تأثر بالمغيلي جميع العلماء الذين اجتمعوا به ، أو الذين أخذوا عنه العلوم ـ يقول المؤلف ـ عن تلاميذه حتى امتازوا عند علمائها بمعاصري المغيلي ، وامتاز عصرهم بعصر المغيلي .

ولقد احتفظوا برسائله ومؤلفاته ، وحفظوها في صدورهم ، وخزنوها في مكتباتهم حتى توارثها خلفهم عن أسلافهم .

ومن المشاهير الذين تأثروا بفتاواه وسيرته وغيرته الشيخ البكري (البرناوي) الذي أخذ عن تلاميذ المغيلي ، وكان يحتج بفتاواه في تكفير من صدر منه ما لا يصدر الا من الكافر ولو لم يعتقد الكفر .... (11) .

وينتهي المؤلف الى القول بأنه « لم يخلد التاريخ أثرا لعالم عربي ، غربي او شرقي مثل ما خلد للامام المغيلي في غرب افريقيا عموما وفي نيجيريا خصوصا ... (12) من تأثير » ، وطبع بالطابع الأصيل الذي عرف مؤلف الكتاب كيف يبلوره وينصفه ولو باقتضاب .

رضي الله عن المغيلي وعن رجال الوحدة والايمان من امثاله ، وتهانينا لمكتبة المغرب العربي بمثل هذا الكتاب .

زين العابدين الكتاني

---

(11) نفس المصدر ، الصفحات : 31 و 32

(12) نفس المصدر ، صفحة : 31 .

« ... انني مؤمن بوحدة هدف الامة العربية ، مؤمن بأن لغتها ودينها هما المقومتان التي تنبني عليهما ، المسابقة أو التسابق الى وحدة الهدف » .

جلالة الملك
الحسن الثاني

قضايا أدبية

للأستاذ عبد العلي الوزاني

— 1 —

تجديـــد بيعـــة شوقـــي :

عشاق البيان ، ابشروا ، فقد بويع شوقي من جديد اميرا للشعراء .. وحضرت البيعـــة رعيـــة الشاعر ، ومحبوه الذين طووا صدورهم على حـــب عميق عقودا من السنين .. لا يجرؤون على البـــوح به .. خشية ان يتهموا بانهم شيعة لجمال اللفـــظ .. ومنحازون لاناقة الفن ..

كرمة ابن هانيء التي كانت ذات يوم روضا من رياض عبقر .. آل امرها الى الصمـــت والكآبـــة ، ونعقت فوق اطلا لها الغربان .. ورجمت بالحجـــارة والنعال البالية .. تتالق اليوم بالف نجم من نجـــوم العين والاذن .. ويبعث فيها شوقي لياخذ مجلســه العتيد .. يوزع على الحاضرين كلماته الرقيقة .. ويضيء لهم شموع الادب والفن .. وياخذ عنهـــم الايمان بأن ينصبوه دائما اميرا عليهم ، لا ينكثون له عهدا مهما تراخى بهم الزمن ..

من زمن غير قصير على كرمة ابن هانيء وهي تجتر ذكرياتها الجميلة الحزينة .. غارقة فى صمت ثقيل ، ووحشة قاتلة ، لا يرن فيها وتر .. ولا يشدو صوت ، ولا ينساب قصيد ، ولا يمرح خيال .. وكل جريمتها انها كانت يوما متنزلا للشعر الراقي ، والبيان الفاخر .. وانها كانت تعد للادب حلله القشيبـــة ، وللبلاغة حليتها المتالقة ، فلا تصدر عنها الكلمات الا وقد اخذت زينتها الكاملة .. وزخرفها البديـــع .. فيخطب ودها كل عاشق للجمال .. ويمشي خلفها كل مستهام بروعة الحرف .. وبذلك كانت الكرمة مثل ارقى دور الازياء فى أوربا اليوم .. تصنع الجمال ، وتخلق الفن ، وتتوالى بدائعها على النـــاس صـــورا ترهف لها المشاعر .. وآيات تزدان بها المحافل .. وطرفا تتيه بها دنيا العرب شرقا وغربا .. فى كرمة ابن هانيء كان شوقي يكتب التاريخ الشعـــري للهرم والوادي وعروس النيل .. ويستحضـــر الامجـــاد العربية الخالدة ، فتتهادى نحوه عبقـــة الثـــوب ، مشرقة الحميا ، موفورة الجمال ، فما ان يلمســـها بانمله حتى تغرقه فى فيوض من نور وهاج ، وتاخذه بفنون من سحر اخاذ ، فيقبـــس منها معاني لكلماته ، ويستوهبها شيات لبيانه ..

ومنذ اليوم اصبحت كرمة ابن هانيء اجمـــل جامعة فى البلاد العربية كلها .. تقف ببابها قصيدة نهج البردة ، الى جانب قصائد الحب والغزل والوصف لاستقبال الوافدين .. يسعى بين يديها نور وهاج .. وتتقدمها الطاف من روح الشاعر العظيم .. واضيفت مؤسسة اخرى الى المؤسســـات المصرية الممتازة .. هي مؤسسة شوقي لتصدير الكلمة الجميلة الى كافة الاقطار العربية .. ولا شك ان فرحة العرب ستكون كبيرة وهم يرون دار شوقي لانتاج الكلام الجميـــل تتحفهم بروائع خالدة تكون لهم فخـــر الا تطاولـــه الايـــام ..

لما ادينت بلاغة شوقي فى وقت سابـــق .. وعفر وجهها بالطين .. ورميت بالخيانة والعمالة .. وسجلت فى القائمة السوداء .. قائمـــة المقاطعـــة

الجماعية .. كان الادب العربي يندب حظه العاثر .. لان بلاغة شوقي كانت تمنحه الرواء والبهجة والجمال .. وتفرغ عليه كل يوم حلة جديدة .. وتحافظ له على اناقة هندامه .. وصفاء نضارته .. ورقته في تناول الاشياء .. فلما ابعدت عنه بلاغة شوقي تعرض للتشرد .. صار يتسول على ابواب المحسنين .. علهم يتصدقون عليه بفكرة .. او بكلمة .. او بشعار .. وتعري من كل ثيابه القومية الاصيلة .. وارتدى بدلها ثيابا مستوردة .. ليست على قدر قامته .. فبدا فيها على غير طبيعته .. يتكلف الحديث .. ويتكلف المشي .. واغترب في عقر داره .. بين اهله وذويه .. كان وردة زاهية على فنن شوقي .. ونغما عذبا يصدر عن شفتيه الشاعريتين .. فانقلب خادما في مقهى وضيع .. يغسل الكؤوس والاطباق .. ويبيت على الارصفة .. ويلتقط اعقاب السجائر .. وكبر قوم وملأوا الدنيا من فرحة وحبور ، لان الادب اصبح (واقعيا) .. يزحف على أربع ... بين أرجل الموائد .. ويقتات من القمامة .. ويشرب من ماء المستنقعات .. ويقاطع كل اسباب النظافة ..

والآن ها هو شوقي يرد اليه اعتباره ، وها هو صوته ينطلق هادرا من اذاعة القاهرة .. مساء يوم جمعة مضى ، ايذانا بأن البلاغة العربية التي تعرضت لصنوف الاهانة .. قد ردت اليها املاكها المنتزعة منها .. وعادت الى بيتها الذي طردت منه .. والى اهلها الذين حرمت عليهم رؤيتها منذ عهد ليس بالقريب ..

بعد الآن نأمل ان نرى الكلمة العربية كما عهدناها فتاة مدللة .. كريمة الجانب .. عزيزة المنزلة .. تملأ الدنيا حكمة ونورا .. متلقية أجمل الهدايا من صفوة ابناء العرب .. من أنبلهم نفسا .. وأكبرهم قلبا .. وارقهم طبعا .. فترد عليهم هداياهم فيضا من نخوة آسرة .. وفضلا من نعمة سابغة .. كفا الكلمة العربية انها جوعت .. وفرض عليها الا تستحم .. والا تغير ملابسها الداخلية .. ولا تجلس الى مائدة زينتها .. الى أن شاهت بشرتها .. وشاخت مفاصلها .. وانطفا في عينيها بريق العافية .. وغاض من محياها ماء الشباب .. حتى أصبحت جلدا على عظم .. ليس فيها ما يثير الخيال .. ويفتن العين .. ويغري الاذن .. كفاها ذلك . والآن ، وبعد تجديد البيعة بامارة الشعر لشوقي .. تشرئب اعناقنا الى رؤيتها كما كانت دائما ربيبة عز قديم .. وصاحبة شرف رفيع .. تروق من نقاء .. وتهاب من سلطان .. وتنتصب منارة للالهام والاشعاع .

وكل العرب يحبون شوقي .. ولكن فريقا منهم فتنهم عن حبهم صنيع الوشاة .. فقاطعوه .. وامتنعوا عن التأدب بأدبه .. ورفضوا الاكل على مائدته .. والاتناس بحديثه في مجالس المسامرة .. كل العرب يحبون شوقي .. ويتعطرون بكلماته .. ويتغنون باناشيده .. ويتجملون ببيانه .. لكن لائميهم في تعلقهم بالشاعر اخذوا يتكاثرون ويتوالدون .. زاعمين لهم ان هذا التعلق فقد مشروعيته .. ولم يبق له معنى على الاطلاق .. لان شوقيا في زعمهم اصبح حجر عثرة في طريق الادب العربي .. نسيجا باليا .. شيئا من مخلفات الماضي العتيق ... عنكبوتا ضخما .. فجازت الحيلة على الكثيرين ، وثاروا على شوقي .. ومزقوا كل الاسباب التي تصلهم به .. كلما بعث اليهم ببطاقة دعوة اتلفوها .. كلما هتف اليهم القوا السماعة بعنف .. كلما طرق ابوابهم اغلقوها في وجهه .. ومع ذلك فشوقي هو الذي رصعت كلماته سماء البلاد العربية .. وعومت فيها الاحلام الجميلة .. وجعلت آفاقها تردد رائع الصدى وعذب النغم ..

— 2 —

شيكات بدون رصيد :

اية ظروف هذه التي يمر بها الادب العربي في الوقت الراهن ؟ لقد اقفرت مائدته من الاطعمة الفاخرة .. والفاكهة الشهية .. كما خلقت ثيابه ونسلت خيوطها بعد ان كانت بهجة الانظار ، ومجتلى الجمال والفن .. يدخل يده في جيوبه ثم يخرجها فارغة او كالفارغة .. ويلوك لسانه في فمه ثم لا يقول شيئا ذا غناء .. ويوقع شيكات بدون أرصدة ضامنة . بينما نجده قد تراجع عن صدر المجلس .. الذي كان يدير منه دفة حديث شائق بارع .. يساهم فيه متحدثون ذوو فصاحة وفنون من القول تخلب الالباب وتبهر العقول .. ما ذا هنالك ؟ أهو مجرد كسل يسري في مفاصله سينتفض بعده من جديد ، ويعاود سيرته الاولى ، كقوة معنوية خارقة في البلاد العربية ، تشيع الدفء ، وتبعث على الثقة وتحمي القيم ؟ ام هو داء مستعص لا بد ان يطب له مهرة

وصحته المعهودة تان ؟ ان كانت الاولى فالهجعة قد طالت حتى أوشكت أن تكون سباتا ، والكسل استشرى حتى لتظن به القدرة على التمكن طويلا ، مع ضعف الامل فى اليقظة المرجوة . وان كانت الثانية فهو الشر اذن ، وهو العاهة الفكرية التي كثيرا ما تتربص لمسيرة الآداب والفنون على مدار التاريخ .

وايا ما كان الامر ، فالمحقق أن الادب العربي يقف اليوم فى أسماله البالية ، وفقره الفاضح ، وعاهاته البشعة ، حسير النظرات ، مضطرب الخطوات ، خافت الصوت ، زري الهيئة ، بعد ان كان غطريفا عربيا امتلأت خزائنه بالنفائس ، وفاضت على جوانبه الخيرات ، ومشى بين يديه ومن حوله الاعوان والانصار . بدأ بالتخلي عن اناقة مظهره ، وروائع شاراته ، واصول حديثه ، مزريا بموسيقية الاسلوب، ورشاقة الفواصل ، وثراء ما بين السطور ، زاعما انه بلغ سن التعقل الصارم ، متجاوز اطوار المراهقة ، مقبلا على مضمونه يمد له فى افق الرؤيا ، ويوسع له من مجال الحركة ، غير مستعد للانخداع ببريق اللفظ ، وسطوع العبارة ، وهمسات الحرف .. وانطوينا على مرارة اكتأبت لها النفس ، وانقبض منها الخاطر ، واعتكر المزاج ، اذ عز علينا ان تصاب البلاغة العربية بالتشويه ، وتنتشر فى محياها البثور، واحزننا ان يتخلى الشادي عن حصته من الجمال ، ونصيبه من البراعة ، وينبذ الفنان لهجته الرقيقة ، وحليته البديعة ، وهندامه الانيق . ونظرنا الى ادبنا العربي فاذا هو كمفلس بعد يسار ، ومسلوب بعد نعمة ، وذليل بعد صولة . ولكن لم نلبث ان اصبنا بخيبة أمل جديدة . فالمضمون الذي ضحى من أجله باناقة الهندام ، وهجر فى سبيله مجالس الانس ، وقاطع ليالي السمر ، قد أصابه الهزال وفقر الدم ، فصار أمره الى التهافت ، وآل أمره الى كساح اوشك أن يكون مزمنا ، ولم يعد يلبس اسمالا بالية على عضلات قوية ، ولم يستعض عن الحيلة الزخرفية بالمعمار الضخم ، ولم يستبدل الطعام الغليظ العسير الهضم ، بالفواكه التي تزدرد فى كسل ، وتبلع فى انتشاء ، وانما قارب امره ان يكون وجودا شبيها بالعدم ، اذ طارت عنه النقوش والزركشات ، وانسحبت منه الافكار والفلسفات ، فلا يده مزدانة بحلية ، ولا رأسه عامر بفكرة . وهذا أمر يبعث على الاسف ، ويدعو الى الرثاء فحرام ان ينتهي ادبنا العربي الى هذا المصير التعس ، لانه فخر امتنا ، وعنوان مجدنا ، هو الاغنية التي تربت على وقعها اذواقنا ، وائتلفت معها طباعنا . منه كان اشتقاقنا لشمم الانف ، وارتفاع الهامة ، وكرامة النفس . وعلى ضوئه عشقنا بعفة ، وحاربنا بشرف ، وخاصمنا بشهامة .. من حوله انعقدت أيدينا ، ومرحت قاماتنا ، وزهت ايامنا ، وسالت اغانينا . اليه يعود ما فى نفوسنا من ذوق ، وما على جباهنا من سطوع ، وما باخيلتنا من صور ، وما باعماقنا من اصداء . ولكل ذلك فنحن اليوم جد آسفين ، بل جد حزانى كاسفين .. بين ايدينا ذبل زهر كان اريجه يعطر الجو ، وامام ابصارنا تهاوى كوكب عهده بالتألق غير بعيد ، وفى حناجرنا اختنقت أغنية طالما سكر الناس على مقاطعها فى الخالي من الايام ..

لماذا حدث ؟ وكيف انتحر النبات فى مغرسه ؟ وانطفأت العين فى محجرها ، وماتت البلابل فى وكرها ؟ ان امة العرب ما زالت قائمة ، بل انها — زادها الله بسطة وبركة — قد استبحر عمرانها ، وتكاثرت اعدادها ، ووفرت خيراتها ، واشتهرت أخبارها . فما كان خليقا بأدبها ان يفيىء منها الى ركن ركين ، ويحل منها بحرز مابين ؟ كيف ارتفعت الشجرة ، وجفت الثمرة ؟ وتألقت الوردة ، واختنق العطر ؟ وتدافع الوادي وتجمدت عروق النبات ؟ أتكون هذه الامة قد ادمنت الادب حتى اتوت ، واتخذته مادة غذائها الوحيدة فى صباحها والمساء اجيالا وعصورا ، الى ان لفظته احشاؤها ، ولم تعد قادرة على اساغته ؟ أم يكون انحدارنا الادبي رد فعل هذا الذات ، فى عصر تربع فيه العلم طاغيا بآلاته ، معربدا بمخترعاته ، ذا مخالب حادة ، وايد حديدية تقبض على عالم اليوم بشدة ؟ قد نقبل ذلك لو اننا بلغنا من العلم أن نرود مجاهله ، ونرفع معالمه ، ولكن أمة العرب ما زالت تغازل العلم ولا تداخله ، وتأمله ولا تواكبه . لم تنل من بحره الا بعض الرشاش ، ولا من فيضه الا قطرات لا تطفىء الاوار . ام يكون انحدارنا الادبي راجعا الى اننا ناقصون فى الاستعدادا ، لم ننهض الى مسؤوليتنا الادبية مسلحين بعلم غزير ، ومحصول وافر ، وملكات راسخة ، فاحسسنا بالعبء يثقل كاهلنا ، وبالرسالة ترهق اعصابنا ، فالقينا بالعبء وتخففنا من الرسالة ، وبذلك استرحنا من عناء لا نتحمله ، ومن واجب لسنا له باكفاء ؟ ان كل نهوض ادبي لا بد ان يعتمد على معرفة تستجمع اشتات العقل ، وتستنهض عزمات الارادة ، وتستنفر طاقات النفس ، وتعبىء قوي الوجدان . وبهذه الخصال تفجرت حنجرةالمتنبي ،

وتألق عقل ابي العلاء ، وتبرج لفظ البحتري ، ومتنت لغة ابي تمام . ما من فكرة عبقرية تفتقت عنها اذهانهم ، او خاطرة ساحرة اختلجت بها انفسهم ، او حيلة لفظية ازدانت بها بلاغتهم ، الا وكانت ذات صلة باطلاع لا يعرف الحدود ، ونهم الى المعرفة لا يقنع بشيء . ولن يتهيأ لامة العرب ان تعيد الامجاد الادبية الماضية ، الا اذا عادت عاشقة للمعرفة كما كانت من قديم . فنحن من اصلاب قوم كان حب المعرفة مزاجا لنفوسهم ، وطبعا لعقولهم ومضمونا لاسفارهم وتنقلاتهم . ولذلك كان وردهم دائما ناضرا، وخاطرهم متفتقا ، وماء بيانهم مترقرقا . اقتعدوا من البلاغة قمم الجمال ، وصاغوا من اللغة روائع الكلم ، وشققوا من المعاني مذاهب الراي . لكي تتفجر العيون لا بد ان ترتوي الارض ، ولكي تزدهر الحقول لا بد ان تتحرك السواعد ، ولكي ينتج المصنع لابد ان تدور الآلة ، ولكي ينهض الادب لا بد ان يمتلىء الفكر ، ويرحب الافق ، ويتسع مجال الرؤيا . وبدون ذلك يبقى الادب كسيحا يشكو لين العظام وانحلال الخلايا .

لقد امتلأ ابو تمام بكل عصور الشعر العربي السابقة عليه ، قبل ان يبدع قصيدته في فتح عمورية .. وحول ابن زيدون كل بلاغة العرب الى عين تسجل ، واذن تلتقط ، وذوق ينتقي ، قبل ابتكار نونيته البارعة .. قارن ذلك بما يفعل الشباب المثقف في البلاد العربية . انه يريد شهرة بدون جهد ونباهة بغير عناء ، ونهايات ولا بدايات ، وغايات ولا وسائل . فهل رايت وردة تحمر من جفاف ، او ثمرة تكبر من عطش ، او ادبا يصدر عن فراغ في الراس ، وفقر في النفس ؟

— 3 —

ما مصير نظرية الخلود الادبي ؟

ارتبط الادب بالخلود في اذهان عشاق الكلمة الجميلة منذ ازمنة قديمة ، سواء كانوا منتجين مبدعين ، او متلقين ناقدين ، او هواة متذوقين . وكان الخلود أبرز مميزات هذا الكلام العذب البديع ، حيث يفرزه من الكلام العادي ، المتردي في هوة السوقية والابتذال والمستوى الدارج . واستمرت هذه الصلة الحميمة بين الادب والخلود قائمة في الاذهان الى ايامنا الحاضرة . ولكن يبدو انها قد بدأت في الاهتزاز . فذوق العصر يميل الى الوقت الآني ، وينفر من بعض الاشياء التي تفرض نفسها باستمرار، تريد أن تضمن البقاء الطويل ، دون ان تترك مواقعها لاشياء مستجدة ، خصوصا في عالم الادب والفن . فما كان فضيلة ادبية اوشك ان يتحول الى رذيلة . واذا كان ثبات بعض الانواع الادبية وارتفاعها فوق تناقضات العصور والمجتمعات ، لتحتفظ بالباقي من الجهد البشري المشترك بين المجموعات البشرية ، مما يثبت للادب والفن عامة صلاحية للانتقال مع الانسان في كافة المراحل التي يجتازها على امتداد الاجيال والازمنة ، فان هذا نفسه هو ما اصبح يبعث على القرف بل على الغثيان لدى اغلبية الجيل الجديد من محترفي الكلمة وهواتها في ايامنا هذه . اذ يضيق ذرعا بادب الامس والامس الذي قبله ، وربما ضاق ذرعا ببعض ما صدر من ادب في ايامه ولما يمض عليه الا بعض الوقت يستهويه الادب الآني، ابن اللحظة الحاضرة ، الصاعد من اخلاق الشاعر ، لا الهابط من منازل الالهام ، وسماء العبقرية . ومن هنا جاء ازدراؤه لجماليات الاشكال ، وتعلقه بالمعاني الوقتية المنتزعة من الظرف الصغير ، لا من الظرف الكبير الممتد عشرات السنين . انه يود ان يكون الادب في المساء على غير ما كان عليه في الصباح ، وان يتغير عطاؤه باستمرار . يرفض ان ياخذ منه نفس ما اخذه في مرة سابقة . فهو يكره الهدايا الادبية المكررة ، ويتوق الى ان تكون هدية الادب اليه دائما من صنف مختلف . وعلى ذلك فلا خير عنده في تمسك الادب بفكرة الخلود ، لان الخلود عنده لا يعني الا الاعادة والتكرار ، والقناعة بالتعامل بالعملة القديمة ، ولو ان قيمتها قد هبطت او آل امرها الى الافلاس الكامل . لا جدوى اليوم عند الجيل من الادب الذي يحلق ولا يقع ، ولا يجرب الارتطام بصخور الواقع ، والتنفس من خلال مشاكله وازماته . لا قيمة اليوم للادب الذي يحافظ على ثيابه من التلوث ، وعلى اخلاقه من الانفعال باخلاقيات العوالم السفلية والاوكار المشبوهة . لا اهمية للادب ما لم تشم فيه روائح الثوم والبصل ، والعرق المتلبد في مطاوي الجلد من مدة بعيدة .. وانت لا تعدم أن تجد صدى هذه الآراء هنا وهناك ، حيث اصبح الادب الخالد موضع تندر سخيف ، يحمل على الرثاء لكثير من الاشياء الثمينة التي ينظر اليوم الى نقائها وسموها على انه بلاهة وبلادة وتفاهة ..

وعندي ان تفسير ظاهرة الزراية بنظرية الخلود الادبي يتضح في اليأس المستولي على انسان

العصر . اذ الايمان بالخلود الادبي انما يكون من نصيب الواثقين بأنفسهم وبالمستقبل ، المحسنين ظنونهم بالآتي المنظور وغير المنظور . اما عندما تسود النظرة المتشائمة الى ما يحمله الغد من احداث وتقلبات ، فان الخلود الادبي تفقد كثيراً من اسباب سحرها ، وتصير غير منظور اليها بشيء من الارتياح ، بينما ينحصر الاهتمام فى الظرف الراهن ، ويكون الادب الاولى بالعناية ، هو ذلك الذي يكف عن الطموح الى الامتداد نحو الايام او السنين المقبلة ، مكتفيا بعكس قضايا الحاضر والتصدي لها بالتحليل المقترن بالاستجابة الواعية النافذة . ان اكثر الادباء اليوم لا يدخلون الغد فى حسابهم وهم يشاركون فى الحياة الادبية منتجين وناقدين ومتذوقين ، ولا تتملكهم فكرة انهم يكتبون حتى للناس الذين سوف يأتون بعد عقود من السنين ، او مئات من السنين . فلم يعد الطموح الادبي يتطلع الى هذه الغاية البعيدة. ذلك انهم يدركون جيدا ان الغد لن يكون امتدادا لليوم ، كما كان اليوم امتدادا للامس فى شيء غير قليل من الجهد الفني والادبي ، استنتاجا من معطيات حضارة الظرف الواعدة بتطورات خطيرة فى حياة الانسان على سطح هذا الكوكب . واشد ما يزرع بذور الشك والقلق فى عقول الادباء والمتأدبين ، أن الانصراف عن الروائع الادبية الخالدة قد بدأ من اليوم، اذ ان جل البيئات الادبية أصبحت تتضايق من الاعمال الادبية التي اثبتت صلاحيتها لتكون غذاء روحيا للناس فى كل زمان ومكان . بل ان بعض الاصوات ترتفع احيانا لاتهام هذه الاعمال الجليلة بأنها حجر عثرة فى طريق المواهب الادبية الواعدة ، وانها تصرف الجليل الحاضر من رجال الفكر والادب عن شق سبيلهم نحو ابداع حقيقي لا مجال فيه للتقليد او الانفعال بمراكز القوى التي تضعهم داخل امبراطوريتها وتفرض عليهم اداء الجزية ..

الى هذا المصير المؤسف صارت فكرة الخلود الادبي . وما اظن مستقبلها الا اشد ظلاما من حاضرها، نظرا لكون حضارة الكلمة الجميلة ربما اوشكت على الانتهاء ، لتدخل فى حضارة لا تتحدث الا بالارقام والرموز والاشارات والعقول الالكترونية وبقية الآلات البالغة التعقيد . وحينئذ تختفي كل الظواهر التي صاحبت الكلمة منذ ظهورها ، ولا يبقى منها الا ذكرى غامضة ، كذكرى النقش على جدران المغارات والكهوف بالنسبة الى اهل العصر الذي نحن فيه .

لقد تواضع اديب اليوم فى مطالبه ، وكف عن التطلع نحو المجد الذي « تتكسر دونه اعناق الرجال» وتبدد عنده الحلم بتأسيس امبراطورية ادبية يكون فيها الروح العظيم المشع من باسق الاعمدة ورفيع البنيان وآيات الفن والجمال . يكفيه اليوم ان يختلس من القارىء بضع لحظات ، ويلتقط اذنه — ولو الى حين — ليبثه حديثا مقتضبا تخفف من الزينة واعتاض عنها بنكتة تشرح القلب ، او نادرة تنتزع الابتسام ..

— 4 —

فاصلة بين كلمتين :

بين الكلمة التي قلناها والكلمة التي سنقولها بعد حين ، فاصلة حائرة قلقة ، ينحبس خلفها النفس ، لينطلق بعدها قويا مندفعا الى ان تواجهه فاصلة اخرى يعيد معها سيرته الاولى . واذا كانت الفواصل فرصة لالتقاط الانفاس ، وانتظام الاصوات ، وتنويع الطبقات الصوتية ، فهي من جهة اخرى خدعة فى مراوغات الالفاظ ، وتآمر على افكار الكاتب ، فقد تكون نشازا فى توارد الخواطر ، او عرقلة فى انسياب المعاني ، وقد تاتي مقحمة ، او فضولية ، عازلة بين لفظتين بينهما التحام وانسجام . وقد تسرق من الكاتب القدرة على امتداد الرؤيا ، وتسلبه القابلية للانسياب الحر ، والتدفق الطوعي عبر مجنحات المعاني والخواطر ..

وكل من تمرس بالاساليب البيانية يستشعر طبائع الفواصل ، ويقف على انواعها المختلفة . وفى ذلك ان الفاصلة كثيرا ما تكون شوكة تدمي من يتعثر بها ، وتقطع عليه متعة السير فى طريق محفوف بالوان الزهر ، وافانين الجمال . وكثيرا ما تكون كالانف الذميم فى الوجه الوسيم ، او كالكلمة النابية فى العبارة المستملحة ، تطفىء وهج العاطفة ، وتصدم طلاقة الخيال ، وتعترض بشاشة الطبع ، وتزكم الذائقة الفنية . وقد تجدها غليظة ، صلبة ، وقحة ، حتى ليخيل اليك انها جاوزت بكثير حجمها الطبيعي واستحالت الى مادة صماء ، توحي بالغباء ، وبتملكها العناد ، وحينئذ تجيء كالحصاة الحادة فى حنجرة عندليب ، او كالطعنة النجلاء فى جناح طائر .. وفى مقابل ذلك ، تجدها احيانا رقيقة ، خفيفة ، رشيقة ، كالايماءة فى سياق حديث عذب ، او كسكتة شاعر خلال انشاده قصيدة الجميل ، او كغمزة العين للعين ، اثناء التراسل بالنظرات ، والمناجاة باللمحات .

ولطالما دوختنا فواصل الادباء ، وتفجرت بين ايدينا بفيوض من الفتنة والسحر . اذ ترى هـذه الفواصل طيورا دقيقة ملونة تحلق في سماء المخيلة، او فراخا ناعمة دافئة في اعشاش الادب الرفيع ، او منى معسولة حائرة بين منازع الهوى ومطارح الاحلام الهفهافة . وتسمو الفاصلة احيانا الى مستوى التعبير من حيث تعجز الكلمات عن اداء ما تؤديه الفاصلة من خواطر وايحاءات . فكأن الفاصلة عندئذ كانت في الاصل كلمة ، ولكنها اختزلت وتناقصت اطرافها حتى لم يبق منها الا نقطة صغيرة خطفها القلم فكانت فاصلة .

وعشاق الادب يدركون جيدا متى تكون الفاصلة طاقة تعبيرية زاخرة بالمعاني عامرة بالصور ، وقارورة عطر دقيقة ما ان تلمسها حتى تضمخ اصابعك بأزكى الطيوب ، واروع النفحات . الفاصلة في الاسلوب البياني الرفيع اطراقة خفيفة للتأمل ، ونقرة رشيقة على الوتر ، اشعارا بقرب انهمار النغم ، وانسياب العزف .. انها علامة هربت من النوطة الموسيقية ، واستقرت بين جمل البلغاء ومبدعي الكلمة الجميلة ..

وغريب ان يقف نقدة البيان عند الالفاظ والعبارات والاساليب والاخيلة والعواطف ، دون ان يعيروا التفاتا للفواصل ، حاسبين انها مجرد عرض زائد ، او كعلامات المرور المنصوبة على جوانب الطرق .. ولم تهمل الفواصل هذا الاهمال ، الا لانها من دقة الدلالة ، ولطف الاشارة ، وبعد المرمى ، بحيث لا تملك الضجيج الذي تحدثه الالفاظ .. فحديثها همس ، ولغتها ايماء ، ووجودها رمز . فهي لا تقرأ ، وانما تعاش ، ولا تفرك ، وانما تشتم ، ولا تمسك ، وانما تناجى .. وما ظنك بشيء قريب كالبعيد ، حاضر كالغائب ، موجود كالمعدوم ، ممكن كالمستحيل . تحتال عليه بادوات الدرس ، وتراوغه بالاعيب الفن ، فيفلت منك ويستعصي عليك ، فلاتنال منه بعد جهد جهيد الا ما يسمح به من الرؤى والاطياف .. كآثار اقدام قوم مهاجرين ، او بقايا قوافل الراحلين ، او نفحات عطر مجهول المصادر ..

قف عند الفاصلة ، تشممها ، تحسسها ، استمع الى نبضها ، اندس بين قامتها وظلها على الورقة ، هب نفسك لايحائها ، انس ذكاءك وعلمك ، ولكن متواضعا ، واحلم بها لحظة من زمن ، فسوف ترى انها تقول اشياء كثيرة لا تقولها الكلمات ، لانها الطف وارق من ان تحيط بها الكلمات . قد تصل الى هذه النتيجة اذا كانت الفاصلة ذكية ، بارعة ، متفتحة ، ذات شفوف ورهافة احساس . ويخيب ظنك متى كانت بليدة ، صماء ، فضولية ، يلقيها صاحبها بين الكلمات كما يلقي الحجر الثقيل على مرجى غدير ، أو يقذفها كما يقذف سيء الادب اللفظ البذيئي ..

وان عجبي منها واعجابي بها ما لهما من حدود. فبينما تراها في موضع جادة وقورا تأمرك بمهلة لالتقاط الانفاس ، كالعصا المايسترو الدقيقة في ايقاعها ونقراتها اثناء العزف ، اذا بك تراها في موضع آخر مرحة لعوبا تداعبك وتدغدغ مشاعرك ، كأنها طفلة نزقة تدعوك لمشاركتها ما هي فيه من لعب وقفز ... فلا يسعك الا ان تترك سمتك وتسلمها قيادك عن طواعية . واحيانا يمتد بك النفس طويلا قبل أن تاتي فاصلة تهبك فرصة لضبط النفس ، واخذ دفعة من الهواء . واحيانا تتوالى عليك أسراب من الفواصل ليس بين الواحدة والاخرى من الفرق، الا بمقدار ما يكون بين غمضة عين وانتباهتها ، فلا تودع واحدة حتى تتلقفك اخرى ، لتسلمك الى التي تليها ، وكأنك واقف في وسط طريق يعدو به سرب من الاطفال ، ما ان يمر بك الواحد منهم حتى يشد ثوبك ، أو يصطدم بقدمك . ولا اكتمك اني احيانا احس الفواصل المتتابعة مطارق تهوي على راسي فتحدث لي الصداع والالم .. واحسها احيانا اجنحة خفاقة ترف من حولي فتنعشني منها نسمات رقاق . واحيانا احسها تدب في مفاصلي دبيب النمل. حركة دائبة مجتهدة هي حركة الفواصل ..

واجملها عندي ما كانت تحمل معنى المشقة ، وتوحي بالجهد ، ولها وخز يثير ولا يؤلم ، ويدفع بالدم ولكنه لا يحطم الاعصاب . وعلى ذكر الاعصاب لا يفوتني الاشارة الى تلك الفواصل العصبية الحادة، تاخذ بتلابيبك ، وتسطو عليك ، وتكاد تجلدك ، ولكنها رغم ذلك قد تكون محبوبة ولها روعة وفتون . والعناء مع هذا الضرب من الفواصل قد يكون احسن بكثير من الراحة مع فواصل اخرى ، اذ في ذلك العناء معنى التوتر ، والقلق ، والمكابدة ، والمعاناة ، وتصادم المشاعر ، ومفارقات الوجدان ، وتناقض الخواطر ، حتى لكأن الفاصلة مادة متفجرة ، او مصباح راقص بين اجسام متوثبة اخذها الجهد وسال منها العرق..

ودونك فواصل اخرى تلسع ، وتجرح وتسمم ، وكأنها أذناب عقارب ، او انياب افاع ، او سياط

جلادين . تخزو خز الابر ، وتنفرز في الاعصاب انغراز الاشواك ، وكأنها اسلاك شائكة ، او حواجز مكهربة مدببة الرؤوس . ويخيل الي احيانا انها ـ اي الفواصل ـ يد الكاتب تمتد الى من بين الالفاظ لتصفعني وتوجعني وتاخذ بمخنقي فتتركني ألهث وامسح عرقي واصلح ما فسد من هندامي . ولكن مع ذلك اعذر اصحابها . فهم قلقون ، عصبيون ، معقدون ، معانون ، اجهدتهم الحياة ، واضناهم الطبع، فحولوا غضبهم وميولهم الانتقالية الى قرائهم ، كي يرتاحوا ، ويهدأوا ، ويدخلوا في هدنة ولو قصيرة ، مع انفسهم واعصابهم . بيد ان نارهم اللاهبة ، وانفاسهم الساخنة ، كثيرا ما تحركنا بعد خمول ، وتشعلنا بعد انطفاء ، وترتفع بدرجة حرارتنا بعد ان كاد يقتلنا الصقيع ...

ومن الفواصل ما تكون متثاقلة واهنة ، كأنها عجوز تدب على عكاز . ومنها ما تكون مشدودة القامة، راسخة ، متعالية ، وكأنها شابة واثقة بنفسها ، جريئة . ومنها ما تكون حيية خجولا ، تلامسك على استحياء ، ولا تطيل التحديق فيك ، ولا تتصدى لمواجهتك . ومنها تكون وقحة ، ملحاحة ، تقفز اليك، وتلف من حولك ، وتحاصرك ، وتفرض نفسها عليك. ومنها ما تكون زئبقية الطبع ، حائرة لا تكاد تستقر .

بعض الكتاب يهملون الفواصل في كتاباتهم ، فتبدو اطرافها متداخلة،لايمتاز شيء منها من شيء ، الا اذا بلغ منهم الجهد كل مبلغ .. او كأنهم يجتهدون ليقولوا كل ما يودون قوله دفعة واحدة وبأسرع ما يمكن .. وكأن لا وقت لديهم للتريث وتقديم كلماتهم جرعة بعد جرعة ، او موجة في اعقاب موجة . فان هو الا تيار واحد لا يمهلك لحظة واحدة ، بل هو منصب انصبابا متدافعا . ومع ذلك فالفواصل موجودة في هذا الضرب من الكتابة ، تحسها مخنوقة بين الكلمات لا تكاد تهم بالظهور حتى يجرفها التيار المتدفق ، فتنكس اعناقها وتلملم اطرافها مغلوبة على امرها ، دون ان ينفي ذلك كونها موجودة بالامكان ، وان لم تكن موجودة بالفعل . فهي جزء طبيعي من اجزاء كل كلام يقال او يكتب ، ولا يوجد كلام بدون فواصل ، حتى عندما لا تراها ترفع رؤوسها الدقيقة بين فجوات السطور ، فكل كلام هو خليط من مواد مختلفة المعادن ، اذ هو بناء تداخلت فيه الحجارة مع الحديد مع الحصا والطين ، وتكون من المجموع هيكل متنوع المواد . هذا علاوة على ان كل جملة ذات طبيعة خاصة ، كأنها النغمة الموسيقية في لحن متكامل . وهذه الطبيعة هي التي تفرض لها نوعا من القابلية لان تمتاز مما قبلها وما بعدها بينما هي تؤلف معهما وحدة متماسكة الحلقات ..

اذا انت شئت الفاصلة الرصينة الهادئة ، تأتيك في الوقت المناسب ، ودونما عجلة او نزق ، فدونك فواصل طه حسين . واذا انت رغبت في الفاصلة الحادة القاطعة كحد الموسى ، لا تظفر بها الا اذا تعبت من الاجهاد والعناء ، فاليك فواصل العقاد . واذا تاقت نفسك الى الفاصلة المرحة ، الخفيفة الظل ، الفاصلة التي لا تكبر ابدا ، ولا تصل الى سن الرشد ابدا ، فالطفولة ملازمة لها على اية حال ، فاعمد الى فواصل المازني ويحيى حقي . اما اذا كان عندك شوق الى الفاصلة المترفة ، الناعمة ، المدللة ، لا يلذ لها الا ان تتبرج بين السطور ، وقد اخذت كامل زينتها ، فعليك بفواصل جبران خليل جبران ونزار قباني والزيات ..

ايكفيك هذا ؟ اذا لم تكن لك فيه الكفاية ، فعندك فواصل اخرى متغطرسة ، متعاظمة ، تكاد ترعف من اعتداد بالنفس ، هي فواصل ذلك الاديب الذي تعذب كثيرا وعذب به الناس ، انه زكي مبارك، زوبعة الادب العربي الحديث . ولك مندوحة عن ذلك في فواصل من نوع مختلف ، نوع يتحداك ، ويراهن على انك لا تستطيع فهمه بسهولة ، عنيد ، صعب المراس ، كلما اقتربت منه ازداد منك بعدا ، والتف بدخان كثيف من الغموض ، انها فواصل عازف الادب العربي الوحيد الذي يمتع ، في الوقت الذي يشرع وفواصل محمد شاكر ، صاحب ذلك الكتاب المثير : « اباطيل واسمار » فانها خشنة الملمس ، مهاجمة ، مقاتلة وخيمة العواقب ، فاذا كنت معجبا برؤية الاشلاء البشرية تتناثر وتمزق في غير رحمة ، واذا كنت من هواة رياضة القتل كالتي كانت تجري في ملاعب الرومان القديمة ، فانت واجد ضالتك في فواصل هذا الكاتب الرائع (اي المخيف) فهو الكاتب العربي الاصم : مصطفى صادق الرافعي . واياك فيه فواصله كمدى حادة الاطراف ، يمزق بها لحم من يقع تحت رحمته من الخصوم والمناوئين ...

فاس : عبد العلي الوزاني

جولـة تاريخية حولـ -2-

الدولة الفاطمية

للدكتور محمد كمال شبانة

— 1 —

نسـب الفاطميين :

ليس من المقطوع به تاريخيا ارجـاع نسـب الفاطميين الى اسماعيل بن جعفر ، كما انه لا ينعقد الاجماع على انحدارهم من نسل السيدة فاطمة رضي الله عنها . بل شاع بالعراق يومئذ انكـار نسـب الفاطميين ، وشاء الخليفة العباسي القادر (381 — 422 هـ) ان يستغل هذه الاشاعة فى النزاع الذي كان قائما بين العباسيين والعلويين ، فجمع طائفة من اهل السنة والشيعة ، حيث حرروا وثيقـة بهـذه الواقعة ومهروها بتوقيعاتهم عام 402 هـ ، وذكروا بها — على الاخص — شهادتهم بأنهم سمعوا بما تواتر بين الناس من ان الفاطميين لا يتصل نسبهم بعلي بن ابي طالب (كرم الله وجهه) ، وانما ينتسبون الى ديصان بن سعيد الخارجي (1) .

ولقد أعان على التشكيك فى نسب هؤلاء اتصالهم الوثيق بطائفة الاسماعيلية الذين لم يكونوا حينئـذ يتمتعون بنظرة دينية كما ينبغي على الاقل .. وحيث كانت معظم المبادىء الاسماعيلية محل الطعن مـن جمهور المسلمين دائما .. ، كما ان اختفاء الائمة فى ذلك العصر وظهور الدعاة والمدعين جعل معظـم المؤرخين لا يتفقون على تسلسل النسب بين جعفر الصادق وعبيد الله المهدي (2) .

---

(1) او الفدا ، فى « المختصر فى تاريخ البشر » ج 2 ص 150 .

(2) اورد ابن خلدون فى كتابه « العبر » ج 3 ص 360 نسـب الفاطميين حتى جعفر الصادق .. كما يلي :
جعفر الصادق — اسماعيل — محمد — اسماعيل — محمد — احمد — عبد الله — احمد — حسين — عبيد الله المهدي ، وهو رأس الفاطميين .

وللحقيقة فان كثيرا من المؤرخين لا يسلمون بالطعن فى نسب الفاطميين ، ولا يقبلون – بدورهم – التشكيك فى هذا النسب ، ويرون فى هذا نوعا من المضاربات السياسية ، وضربا من الاعيب الدعاة المناهضين ... ومن هؤلاء المؤرخين ابن الاثير (3) وابن خلدون (4) ، والمقريزي (5) .

وهكذا نرى ابن خلدون يتبري لتلك الشكوك – التي اثيرت حول نسب الفاطميين – بالتفنيد :

ا – فبالنسبة للكتاب الذي بعث به المعتضد العباسي (279 – 289 هـ) الى ابن الاغلب بالقيروان ، وابن مدرار بسجلماسة ، وفيه يأمر بالقبض على الثائر العلوي الذي سار من الشام الى المغرب ، وقد تم القبض عليه بالفعل، حيث زج به فى السجن ، ولم يطلق سراحه الا بعد ان تم النصر للداعي أبى عبد الله الشيعي ، ففى هذا الكتاب اعتراف صريح من الخليفة المذكور بأن هذا الثائر علوي .

ب – واما الوثيقة التي وقعها بعض علماء العصر فلا يعيرها ابن خلدون اهتماما بالغا،فهي – من وجهة نظر المؤرخ الباحث – شهادة على السماع ، يعتريها الجواز وعدمه كغيرها من الامور ، وهؤلاء العلماء كان يعوزهم التأكد من صحة النسب أو عدم صحته ، وكان أولى بهم أن يذكروا لنا النسب الصحيح للفاطميين بالتالي ... وعليه فمجرد السماع لا ينهض دليلا قاطعا .

جـ – يلاحظ ابن خلدون أن هذا المحضر – الذي امضاه اولئك العلماء – مؤرخ عام 402 هـ ، اي بعد مرور اكثر من قرن على ظهور الاسرة الفاطمية بالشمال الافريقي .. ، فلو كانت دعوتهم الدينية مشوبة بالكذب لنهض أعداؤهم العباسيون يدمغون حركتهم أواخر القرن الثالث ..

د – كذلك يقرر ابن خلدون « أن طبيعة الوجود فى الانقياد اليهم وظهور كلمتهم – ادل شيء على صحة نسبهم » ويردف هذا بقوله : « وأما من يجعل نسبهم فى اليهودية أو النصرانية .. كميمون القداح وغيره .. فكفاه اثما تعرضه لذلك » .

وهكذا نرى اننا لسنا فى حاجة ملحة الى أن نسوق الادلة والحجج التي استند اليها كذلك كل من ابن الاثير فى « الكامل » والمقريزي فى « الخطط » فى اثبات صحة نسب الفاطميين أو التسليم بصحة هذا النسب ، فكل ما أورده كلا هذين المؤرخين فى كتابيهما لا يخرج فى جملته – دفاعا عن هؤلاء الدعاة – عما فصله ابن خلدون واشرنا اليه ... وعليه فليس من المستساغ ان يكافح اصحاب دعوة كالفاطميين ، ويناضلون فى سبيل مبادئهم هذا النضال ، وأن يسعى رجل كعبد الله الشيعي بهذا الجهد لارساء قواعد دولة كبيرة ، ثم يسلم قيادها الى رجل يهودي او نصراني ، وكيف مضت فترة قيام الدولة غربا وشرقا ويظل سر غريب كهذا دون اكتشافه ، ولو اكتشف لكان مثل ذلك كافيا للقضاء على تلك الدعوة التي انتشرت بدءا من الشمال الافريقي حتى مصر ..

الدعوة الفاطمية :

لعل من المسلم به أن دعاة الاسماعيلية كانوا منكبين على نشر دعوتهم فى صبر وكفاح .. ، عاملين على بلوغ غايتهم فى اسقاط الدولة العباسية ، وهداهم تفكيرهم فى هذا الى أن يتجهوا الى مشاهد النجف وكربلاء بالعراق ، والتي كانت مراكز تجمع للشيعة من آل البيت ، والمتحمسين لهم ، وذلك بغية استقطابهم الى جانبهم ، كما كانوا يدركون أن من الخير لنجاح دعوتهم ان يكون انتشارها بمنأي عن مركز الخلافة « بغداد » ، وعليه فان فى ربوع اليمن وشمالي افريقية مرتعا خصيبا لذيوع الدعوة ؛ وهكذا كان لهم باليمن داعية معروف باسم « ابو عبد الله الحسين بن احمد » وشهرته « ابو عبد الله الشيعي »

---

(3) الكامل فى التاريخ ، ج 2 ص 17 .
(4) العبر ، ج 3 ص 360 ، ج 3 ص 31 .
(5) الخطط ج 1 ص : 348 – 349 .

كما كان لهم فى الشمال الافريقي داعية آخر يسمى « الحلواني » الى جانب آخر يدعى « أبو سفيان » .

وقد قيض للدعوة ان تنجح فى كل البقاع التي تركزت فيها ، الا ان مجال الانتشار كان افسح واهم فى الشمال الافريقي لاتساع الرقعة من جهة ولصلته الجغرافية بمصر من جهة اخرى .. ، الامر الـذي يبشر بمستقبل الدعوة ، وقد كان مرجع هذا النجاح المبدئي فى البداية الى ابى سفيان والحلواني اللذين تصدرا الدعاية ، وما ان توفيا حتى وقع الاختيار على « ابى عبد الله الشيعي » ليأخذ بناصية الدعوة فى نفس المنطقة ، وكان عبد الله هذا معروفـا بعلمـه وذكائه وطلاقة لسانه ، مع تعصبه لآل البيت بدرجة فائقة ، وقد حدث ان قصد الى الديار الحجازية ، وهناك فى مكة التقى بوفد من قبيلة كتامة بالمغرب كان قد قدم للحج ، ونتيجة لهذا الاتصال اقتـرح الوفد المغربي على « ابى عبد الله » أن يرافقهم الى بلادهم لاستئناف الدعوة ، فوافقهم ، وفى افريقية اعلن انه يدعو الى « ابى عبيد الله المهدي » من نسل علي بن ابي طالب .. ، وقد حالف التوفيق ابا عبـد الله فى افريقية بالرغم مما صادفه من عقبات واعتراه من مشكلات على الصعيدين الديني والسياسي .. ، اذ ما لبث أن بدأ مرحلة عملية ، حين كـون جيشا عرمرما من اتباعه زحف بوساطته على المدن الافريقية التي سقطت فى يده تباعا ، وقد اعانه على هذا النجاح المظفر فترة الضعف والانحلال التي كانت تمر بهـا أسرة الاغالبة تحت حكم سلطانها الاخير « زيادة الله الثالث » ، فقد كان لا يتوفر على شيء من الكفاءة ، بالاضافة الى سلوكه السيء ؛ فلم يتمكن من الصمود طويلا امام جحافل القوات الشيعية الزاحفة .

وتتوالى الاحداث فى خضم هـذه الانتصارات حين يموت « أبو عبيد الله المهدي » ويعقد لـواء الدعوة لابنه ، بيد أنه سرعان ما توجس الخليفـة العباسي « المكتفى » الخطر ، فبعـث الى عاملـه بالشام يأمره بالقبض على « عبيد الله المهدي » الذي كان مقره فى « سليمة » قرب حماة بالشام ، فلمـا احس هذا الداعية العلوي بما حوله ولى هاربـا فى اتجاه المغرب ، يصحبه ابنه « أبو القاسم » وحاشيته من مريديه .. ، بعد أن تزيا بزي تاجر ، وعبر مصر متجها الى الاسكندرية ، ثم الى برقة ، فطرابلس . فما كان من الخليفة « المعتضد » الا أن كتـب الى « زيادة الله بن الاغلب » والى « ابن مدرار » يطلب منهما تعقب هذا الداعية العلوي حيثمـا ذهـب ، والقبض عليه حيا أو ميتا .. ، فبذل هذان أقصى جهد مستطاع لديهما ، ولكن ابا عبيد الله نجا من كل المحاولات للايقاع به ، وذلك بالتستر أحيانا والرشوة احيانا ... حتى سقط فى نهاية الامر فى يد رجال عامل سجلماسة ، حيث اقتيد هو وابنه الى السجن.

ومن جانب آخر نرى أن أمر « أبى عبـد الله الشيعي » قد استفحل ، وزحفت جيوشه فى أنحاء شتى من المناطق التي تمركز فيها ، وانتصرت على قوات « زيادة الله الاغلبي » كما ذكرنا ، حيث فـر هذا الاخير ودحر جيشه ، وعقد النصر لابي عبد الله الذي بادر فور انتصاره الى اطلاق سراح سيده الذي بايعه فى جمع غفير بسجلماسة عام 296 هـ ، ثم اتجه الى رقادة عام 297 هـ التي استولى فيها على ما تركه بنو الاغلب ، وحيث بويع عقب ذلك بيعة عامة بمدينة القيروان ، فبدأت بذلك تظهر دولته ، وتأخذ دورها فى التاريخ ..

هذا ، ولا مناص من القول بأن « عبيـد الله » آنئذ كان قد اوجس خيفة من الداعي « ابى عبد الله الشيعي » وكذا من اخيه « ابى العباس » ، فألقـى عليهما القبض ، وامر باعدامهما ، وقد تم ذلك عـام 297 هـ ، ويعقد بعض المؤرخين مقارنة بين حدوث مثل هذه المصادمات التي تحتمها الظروف ، وبين ما حدث بين المنصور العباسي وبين ابى مسلـم الخراساني .. أو بين المعز لدين الله الفاطمي ، وبين جوهر الصقلي ، مع مراعاة الفوارق فى النتائج تبعـا للظروف والاحـوال ...

(يتبع) د. محمد كمال شبانة

مدخل الى علم القوافي

للأستاذ محمد بن عبد العزيز الدباغ

كان الشعر العربي فى الجاهلية يرتبط بالاصوات ارتباطا متينا وكانت عناية الشعراء بالنغمات قوية واهتمامهم بالانسجام الصوتي شديدا فكانوا حريصين على أن تلتذ آذانهم بالسماع وان تستانس نفوسهم بذلك التوازن الايقاعي فى الوزن وبذلك التآلف الصوتي فى القافية .

لهذا كان الشعر العربي يمتاز بظاهرتين لا تنفصلان عنه الا قليلا .

الظاهرة الاولى تتصل بتلاؤم الاصوات وتلاؤم الحروف وتحرص على ايجاد التحام بين مختلف الوحدات التي تتكون منها القصيدة الكاملة لتكون منسجمة فى حركاتها وسكناتها متقاربة فى انغامها والحانها ، لا يقع فيها من الاختلاف الا ما لا اثر فيه على النغم الموسيقي العام وقد اهتم الخليل بن احمد الفراهيدي فيما بعد بهذه الاوزان وكون علم العروض لدراستها وتحديدها وذكر ما يجوز فيها من الاختلاف وما لا يجوز ان وقع وما لا يلزم .

الظاهرة الثانية تتعلق بالقافية وهي تلك الوحدة المكررة فى آخر كل بيت والتي تكون مع الموسيقى نغما جديدا تستانس به النفس ويحلو فى الاسماع وتشتاقه الاذن وتستريح بالركون اليه وبالاطمئنان الى توازنه وتكراره .

ولقد اختلف علماء العروض والقوافي فى تحديد المقصود بالقافية فذهب قطرب النحوي وابو العباس ثعلب الى انها الحرف الذي تبنى عليه القصيدة والتي تسمى به وروجع قولهما بسبب كون القافية قد تكون اكثر من حرف . وذهب الاخفش الى انها الكلمة التي يختم بها البيت الشعري وروجع فى ذلك لان معارضيه رأوا أن القافية قد تكون كلمة وقد تكون أكثر او اقل الشيء الذي جعل كثيرا من العروضيين يتجاوزون قوله وينهجون نهج الخليل بن أحمد الذي اعتبر القافية مكونة من الساكنين اللذين فى آخر البيت مع ما بينهما من الحروف المتحركة ومع المتحرك الذي قبل الساكن الاول (2) .

---

(1) هذا المدخل يعتبر درسا تعليميا مقدما الى طلبتي بالمركز التربوي الجهوي شعبة الادب العربي وقد سبق لي أن نشرت بمجلة دعوة الحق الغراء مدخلا الى علم العروض وذلك بالعدد السادس من السنة الثالثة عشرة .

(2) تفصيل ذلك يؤخذ من الحاشية الكبرى للدمنهوري على متن الكافي فى علمي العروض والقوافي ، ولقد استعملنا نفس الابيات الشعرية التي استدل بها صاحب المتن المذكور .

وعلى هذا الاعتبار تكون القافية في قول امرىء القيـــــس :

وقوفا بها صحبي علي مطيهم

يقولون لا تهلك اسى وتحمل

بعض كلمة لانها تتكون من الحاء والميم المشددة واللام الموصولــة

وتكون كلمة كاملة في قوله

ففاضت دموع العين مني صبابة

على النحر حتى بل دمعي محملي

اما في قولــــه :

مكر مفر مقبل مدبر معـــا

كجلمود صخر حطه السيل من عل

فتتكون من كلمتين هما : من و عل .

واغلب قواعد القافية بنيت على مذهب الخليل هذا سواء فيما يتعلق بالحروف والحركات او فيما يتعلق بالمحاسن والعيوب .

ولكن رغم اشتهار قوله في اغلب كتب العروضيين فاننا نجد بعض علماء هذا الفــن لا يأبهـون بــه ولا يعتبرون صدقه ومن هؤلاء العالم أبو بكر محمد ابن عبد الملك بن السراج الشنترينـــي النحـــوي الاندلسي في كتابه « الكافي في علم القوافي » (3) فقد عرف القافية بأنها كل ما يلزم الشاعر اعادته في سائر الابيات من حرف وحركة .

وقوله هذا يشمل جميع الصور التي تتكون منها القافية طالت او قصرت ويجمع مختلف الحيثيـــات التي دفعت العلماء السابقين الى القول بنظرياتهـم وتعاريفهـــم .

ان هذا التعريف الاخير يترك للشعراء الخيار فيما يلتزمون به فهم اذا دفعتهم سجيتهم ليجعلــوا القافية حرفا كانت حرفا او ليجعلوها حرفين او اكثر كانت كما ارادوا واختاروا ولعل هذا الراي هو الذي اوحى الى الدكتور ابراهيم أنيس في كتابه موسيقى الشعر ليختار تعريفا للقافية شبيها بهذا حين اعتبر اتحاد الاصوات المكررة قافية سواء كثر هذا الاتحاد او قل الا انه يرى أن العرب كانوا يستحسنون تكرار هذه الاصوات ويعدون ذلك براعة في الكلام لا يقدر عليها الا الموهوبون ثم قال بعد ذلك : يجـب اذن الا نجعل كثرة الاصوات المكررة هدفنا الوحيد في نظم الشعر مضحين من اجله بالاخيلة والمعاني كما فعل بعض هؤلاء المتاخرين (4) » .

وملاحظة ابراهيم انيس ضرورية يجب مراعاتها في نظام الشعر العمودي لان الشعر ليس ظاهـرة صوتية فقط بل يجب ان يضاف اليهـا ما يرتبـط بالمعاني وبالتصورات والاخيلة الصالحـة لابـراز العواطف ولاثارة المشاعر ولتفجير الشحنات الدفينة في الاعماق الكامنة وفي الشعور الباطني .

ونحن اذا تتبعنا الشعر العربـي فسنلاحـظ التنويعات الآتية :

اولا — انتهاء اغلب القصائد بقافية موحـدة غالبا ما يكون مطلعها مصرعا وهذا النوع تمثله اغلب القصائد العربية .

ثانيا — التزام القافية في كل شطر باعتبـار تفعيلته الاخيرة عروضا وضربا في آن واحد ، وهذا الاعتبار في الاصل كان صورة للايجاز العربي ولكن بعض الشعراء اخرجوه من اطار الاستقلال المعنوي وادخلوه في اطار الوحدة المضمونية ، ويتزعمهم في ذلك أيام العباسيين الشاعر العبقري ابن الرومـي الوصاف الماهر ، ومما جـاء على هـذا الشكـل قولـــه (5) :

(3) هذا الكتاب مطبوع مع المعيار في أوزان الاشعار لنفس المؤلف بتحقيق الدكتور محمد رضــوان الداية ويوجد هذا التعريف بالصفحة 89 من الطبعــة الاولـى .

(4) موسيقى الشعر — الطبعة الرابعة — صفحة 246 .

(5) ابن الرومي حياته من شعره للاستاذ عباس محمود العقــاد ، صفحــة 371 .

رب كعاب فى حجاب لم تــــزل
مثل الغزال عنقـــا ومكتحـــل
لم تكتحل مقلتها ســوى الكحـل
ولا تحلى جيدها ســوى العطـل
ما زالت منها فى مطـــال وعلــل
حتى اذا ما قدر البيـن نـــزل
خلست منها نظـرة على وجـــل
آخرهـــا أولهـــا من العجـــل
ثم اجتنهـــا غيابـــات الكلــل

ثالثا ـ الالتزام بالتوازن الصوتي بين الشطر الاول والثاني فى اتحاد القافية دون الالزام بالسير على هذا النسق فى جميع الابيات فيجوز للشاعر ان يكرر الحرف اذا شاء وان يغيره لكــن لا على أساس تغيير ما بين العروض والضرب ولكــن على أساس تغيير ما بين بيت وآخر ، أما اذا استعمل عروضا فى الشطر الاول فمن الضروري أن يجعل الضرب مثلها فى الشطر الثاني .

ويتجلى هذا النوع فى الاراجيز المزدوجة ولقد استعمله الشعراء فى الحكمة وفى نظم أراجيز الاطفال التي تجمل بعض القصص والحكايات والامثال موضوعا لها كما استعمله النظامون فى تدوين قواعد العلـــوم والفنـــــون .

وعلى هذا النوع بنيت ارجوزة ابي العتاهيـــة المعروفة بذات الامثال وهي التي يقول فى بعـــض أبياتهـــا :

حسبك مما تبتغيه القـــوت
ما أكثر القوت لمـن يمـوت

ما انتفع المرء بمثـل عقلــه
وخير ذخر المرء حسن فعله

من جعل النمام عينا هلكـــا
مبلغك الشر كباغيه لكـــا

ان الشباب والفراغ والجـده
مفسدة للمـرء اي مفســـده

وقد انشدت هذه الارجوزة بحضرة الجاحـــظ فلما بلغ منشدها الى قول أبي العتاهية :

يا للشباب المرح التصابـــي
روائح الجنـة فى الشبـــاب

قال الجاحظ للمنشد قف ثم قال لجلاسه : « انظروا الى قوله روائح الجنة فى الشباب فان له معنى كمعنى الطرب لا يقدر احـــد على معرفتـــه الا بالقلوب وتعجز عن ترجمته الالسن الا بعد التطويل وادامة الفكر . وخير المعاني ما كان القلب الى قوله أسرع من اللســان الى وصفه » (6) .

ومن طبيعة الاراجيز أنها قابلة لامتداد المعاني وتنويعها ولسهولة الالفاظ وتيسيرها كما أنها قابلة للزحافات المفردة والمزدوجة دون أن يحدث خلـــل فني اذا جمعت مع التفاعيل التامة ســـواء اتحـــد ترتيبها او اختلف .

رابعا ـ نظام المقصورات وهو عبارة عن ختم القصيدة كلها بالالف المقصورة من غير التقيد بوحدة الحرف الذي يوجد قبلها ومن أشهر المقصورات فى الادب العربي مقصورة ابن دريد ومقصورة حازم .

ومن الشعراء من التزم حرفا معينا قبل الالف فأحدث بسبب ذلك نغما جميلا ولكنه ضيق على نفسه وأصبحت القصيدة فى الحقيقة تنســـب للحـــرف المكور لا الى الالف ولهذا يعتبرها العروضيـــون فى الحال وصلا لاروبا .

ولقد حاول بعض الشعراء ان يخرجوا المقصورة من رتابتها التقليدية ولكنهم فى الوقت ذاته لم يريدوا اعطاءها طابع الالتزام المطلق بالحرف الذي قبـــل آخرها فنوعوه بعد ذكر مجموعة من الابيات وقـــد يتعدد تنويعهم فتتعدد بذلك لذة الاستماع وعلى هذا

(6) مختارات الاغاني فى الاخبار والتهانـــي لابن منظور مؤلف لسان العرب وهي مختارات من كتاب الاغاني للاصفهاني ـ المطبعة السلفية ، صفحة 14 .

(7) تفصيل الحديث عن الالف المقصورة وعن ذكر اسمها تجده بحاشية الدمنهوري على الكافي صفحة 90 .

الشكل بني حافظ ابراهيم مقصورته التي جعل عنوانها نادي الالعاب الرياضية وفي طريقتها يقول الدكتور ابراهيم انيس : « وليت الشعراء المحدثين يراعون في نظمهم ما راعى حافظ في هذه القصيدة حتى تتم للشعر موسيقاه » .

وانا شخصيا كنت قد لاحظت جمال هذا التنويع قبل حافظ في احدى المقصورات التي ذكرها المقري في نفح الطيب وهي للشاعر الاندلسي محمد بن احمد الهواري المعروف بابن جابر الضرير ولولا ما فيها من التكلف في بعض ابياتها ومن الغرابة في بعض كلماتها لاضافت جمال الاداء الى جمال التنويع (8) .

يقول في مطلعها :

بادر قلبي للهوى وما ارتأى
لما راى من حسنها ما قد راى

خامسا ـ هناك من الشعراء من لم يتقيد بالقافية الى ابعد حدودها وحاول التخفيف من سطوتها فاستعمل الشعر المسمط الذي كان ينوع قافيته او استعمل التشطير او التخميس او غير ذلك من المظاهر التي لا تجعل القافية ثابتة من اول القصيدة الى آخرها ولعل هذه المحاولات هي التي كانت من الاسباب في استعمال الموشحات لما فيها من الرقة ومن تلوين الفواصل وتقريب المقاطع وهي ايضا من اسباب التلوين الصوتي الذي ميز كثيرا من محاولات الشعر الحديث في ادب المهجريين وفي ادب الرواد مثل العقاد وشوقي في شعره المسرحي .

وفي هذا النوع برع من المهجريين نسيب عريضة الذي يقول عنه الاستاذ عيسى ابراهيم الناعوري في احدى مقالاته : « انه يتميز عن زملائه الرابطيين بكثرة تلاعبه في الاوزان الشعرية ليجعل الشعر مزيجا لطيفا من الرقة والغناء والرشاقة . وكثيرا ما يوفق ذلك الى الجمال والرقة العذبة » (9)

ولناخذ هذه الصورة من قصيدته النهاية التي يبرز فيها المه وتحسره على قومه الراضين بالذل المستسلمين للاستعمار الدخيل وهي تبرز ذلك التبدل في القافية الذي لا يحدث اي نشوز في الذوق ولا اي قصور في التاثير زيادة على التصرف في القالب الشعري العمودي مما يقول فيها عن وطنه :

كفنوه وادفنوه ! اسكنوه
هوة اللحد العميق

واذهبوا لا تندبوه فهو شعب
ميت ليس يفيق

هناك عرض،نهب ارض،شنق بعض
لم تحرك غضبه

فلما ذا نذرف الدمع جزافا
ليس تحيا الحطبة

رب ثار ، رب عار ، رب نار ،
حركت قلب الجبان

كلها فينا ولكن لم تحرك
ساكنا الا اللسان

ورغم عدم التوازن الكامل بين اجزاء التفاعيل في كتابة الابيات كتابة عادية وعدم الالتزام بالمعهود في بحر الرمل عروضا وضربا وترتيبا فان الجمال الذي لاحظه النقاد واضحا عليها باديا في تنسيقها وموسيقاها .

ويمكن ان ندخل في هذا النوع بعض القصائد التي حافظت على تفاعيل معينة واستعانت ببعض الاتحاد في الفواصل فكانت بسبب ذلك اقرب الى الشعر المعتاد ومن أشهر الشعراء الذين يمارسون ذلك الاديب نزار قباني فهو الذي يقول في قصيدته المسماة رسالة من سيدة حاقدة ... (10) :

« لا تدخلي ... »
وسددت في وجهي الطريق بمرفقيك
وزعمت لي ...
ان الرفاق اتوا اليك
اهم الرفاق اتوا اليك ؟
ام ان سيدة لديك
تحتل بعدي ساعديك ؟

(8) نفح الطيب للمقري ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، الجزء العاشر ، صفحة 167 .
(9) مجلة الكتاب ، عدد مايو سنة 1948 .
(10) من ديوان « قصائد » لنزار قباني ـ الطبعة السادسة ، صفحة 125 .

وصرخـــت محتدمـــا :
تفـــــي !
والريـــح تمضـــغ معطفـــي
والـــذل يكســـو موقفـــي
لا تعتذر يا نذل ، لا تتأسف ..
أنـــا لست آسفـــة عليـــك
لكــــن ...
على قلبـــي الوقـــي
قلبـــي الـــذي لم تعـــرف ...

وهكذا يستمر في تنويع الحروف التي تقـــوم مقام الروي في كل مقطع من مقاطع قصيدته الى أن يقول في آخرها على لسان هاته السيدة الضائعة :

اني اراها في جوار الموقد
اخذت هنالـــك مقعـــدي ...
في الركـــن ... ذات المقعـــد
واراك تمنحهـــا يـــدا!
مثلوجـــة .. ذات اليـــد ...
ستردد القصص التي أسمعتني
ولسوف تخبرها بما أخبرتني ...
وسترفع الكأس التي جرعتني
كأسا بهـــا سممتنـــي
حتـــى اذا عـــادت اليـــك
لتزود موعدهـــا الهنـــي ...
اخبرتها أن الرفاق أتوا اليك ...
واضعت رونقها كما ضيعتنـــي

وهذه الخطة الجديدة في الاداء كانـــت مـــن الشعراء شبه ثورة على التقليد المطلق ولكنهـــا في الوقت ذاته لم تكن ثورة على جميع أشكاله فهي قـــد حافظت على الايقاع من جهة كما قد حافظـــت على بعض مظاهر التوازن في أواخر الكلمات .

ومع ذلك لم تجد من بعض النقاد من يستسيغها فمنهم من راى أن الثورة يجب أن تكون تامة الى أبعد الحدود ليستطيع الشاعر نسف القيود التي تحد من انطلاقه وتكتبه دون البلوغ الى تحقيق صوره وأخيلته ومنهم من راى أن هذا التلوين مفسدة للذوق العربي وخروج عن الجادة فلو قارنا بين ناقدين معاصريـــن هما الدكتور عبد الله الطيب المجذوب والدكتور عز الدين اسماعيل لوجدناهما يسيـــران في خطيـــن متناقضين ولكل منهما وجهة يدافع عنها ، فالدكتور المجذوب يرى أن كل خروج عن طابـــع القصيـــدة العربية يعتبر هذرا ، في حين أن الدكتور عز الدين اسماعيل قرر بان موسيقى القصيدة العربية التقليدية جامدة وصاخبة ورتيبة (11) ؛ وبين هذين الرايـــن آراء تتفاوت درجتها بين التقييد والانطلاق وبيـــن الالتزام بالاوزان والقوافي في وحدة البيت والاعتداد بالايقاع دون غيره ويمكن الاطلاع على هاته الآراء في الدراسات التي وضعها رواد الشعر والنقد في العصر الحديث من امثال مدرســـة الديـــوان ومدرســـة المهجريين ومن جاء بعدهما من النقاد وفي كتـــاب النقد الادبي الحديث للدكتور محمد غنيمـــي هـــلال دراسات قيمة لا يستغني عنهـــا المهتمـــون بهـــذا الموضـــوع .

وانا أرى أن الخلاف في هذه النقطة لا يمكـــن أن ينتهي بسرعة ما دام الاحساس بالجمال يختلـــف باختلاف بعض المقدرات لعناصره والمقومات لاسسه وما دام العنصر الفلسفي الذي تبنى عليه النظريات يأخذ ملاحظ شتى لا تقدر على حصرها في اتجـــاه معين أو في أسلوب واحـــد .

وعليه فان التحرر من القوافي أو من الاوزان في بعض الاتجاهات الشعرية المعاصرة لا تقول أنـــه حل المشكلة التعبيرية حلا نهائيا وانما كان محاولـــة تطبيقية لنظريات جمالية أو فلسفية تمثـــل بعـــض الاتجاهات في التعبير الشعـــري عن الاحساســـات الانسانية وتنضم في المسيرة مع الطرق التعبيرية الاخرى التي تستمد حياتها من جمال الموسيقـــى وحســـن الاداء .

فاس : محمد عبد العزيز الدباغ

---

(11) راي عبد الله الطيب المجذوب يؤخذ من كتابـــه المرشـــد الى فهـــم أشعـــار العـــرب .
اما راي الدكتور عز الدين اسماعيل فيؤخذ من كتابـــه التفسيـــر النفســـي للادب .

تصفية حسابات

مسرحية من فصل واحد

للأستاذ احمد عبد السلام البقالي

المثلـــــــون :

1 ـ عـــزوز : فى الخمسين من العمر .
2 ـ الشرقي : فى الخامسة والثلاثين ، بلحيـــة كثيفـــة .
المكـــان : على مائـــدة مقهـــى فـــارغ .
الزمـــان : العـــاشـــرة صبـــاحـــا .

* * *

(عزوز قاعدا الى مائدة ساهما بعينيه فى الفـــراغ) .

الشرقي : (يقف عليه) السلام عليكم .

عـــزوز : عليكـــم الســـلام .

الشرقي : (مشيرا الى الكرسي الفارغ) : هـــل تسمح لي بالجلوس معك ؟

عـــزوز : (ينظر اليه غير فاهم) نعـــم ؟

الشرقي : هل تسمح لي أن اجلس معـــك ؟

عـــزوز : (ينظر حواليه الى الموائد الفارغة ، ثم الى الشرقي ويقول بتردد) لا استطيع ان اقول لك لا .. ولكن المقهى فارغ ..

الشرقي : اريد ان اقعد معك .. أنت ..

عـــزوز : تفضل .. اذا اصررت ..

الشرقي : يظهر انك لم تعرفني آسي عزوز .

عـــزوز : (يفاجأ بنطق اسمه فينظر الى الشرقي) لا يا سيدي ، لم أعرفك .. واسمح لـــي اذا نسيتك . فقد تغيبت طويلا عن البلد .

الشرقي : (ضاحكا) اعرف ، اعرف .. انظر الي جيدا .. آه . ربما كانت لحيتي الجديدة هي السبب فى عدم تعرفك علي ..

عـــزوز : (شاكا) : صوتك مألوف .. ولكـــن لا استطيع تصور وجهـــك بلا لحيـــة .. فاعذرنـــي .

الشرقي : لا الومك بالمـــرة . فمن الطبيعـــي ان تنساني ، او تعمل فى عقلك الباطن على نسياني ، لانني مقترن فى ذهنـــك باسوا الذكريات ..

عـــزوز : ما معنى هـــذا ؟

الشرقي : هل اقعـــــد ..

عـــزوز : تفضـــــل ..

الشرقي : شكرا .. هل تتذكر عبد الجليل الشرقي .. شاهد الاثبات الوحيد فى محاكمتـــك منذ ست سنوات ؟ أنا هو عبد الجليل الشرقي ، أنا الذي شهدت ضـــدك فى المحكمة .. وأنا السبب فى الحكم عليك بعشر سنوات سجنا .

عـــزوز : (يقـــف لينصـــرف)

الشرقي : أرجوك .. أرجوك .. لا تذهب الان .

عـــزوز : (مرتعشا ينادي ليدفع حسابه) نادل .. نادل ..

الشرقي : أرجوك ان تعطيني دقيقتين فقط مـــن وقتك حتى اشرح لك شيئا مهما ..

عـــزوز : كيف تجرؤ على القدوم الي والوقـــوف امامي بهذه البساطة ؟ بعد كل ما سببته لي ولعائلتي من شتات وشقـــاء ايهـــا المجـــرم ؟ !

الشرقي : ارجوك أن تخفض صوتك ، ولا تنفعل .. فما فات مات ، ونحن ابناء اليوم ..

عـــزوز : (منفعلا) ، ابتعد عني أيهـــا المجـــرم الحقير .. ابتعد عني قبل أن أقتـــرف فيك جريمة حقيقية ، لا كالتي الصقتها بي زورا وبهتانـــا .

الشرقي : انا أعترف انني شهدت الزور ضـــدك . كذبت عليك .. وكنت شاهد الاثبـــات الوحيد في القضية . ولكن ، الا تريد أن تعـــرف لمـــاذا ؟
(فترة صمت يسمع فيها لهاث عزوز ، والشرقـــي)
أرجوك السي عزوز .. اعطني دقيقتين فقط .. ارجوك .. تفضل .

عـــزوز : (بحقد كبير) اسمع يا هذا .. ستـــة أعوام قضيتها وراء القضبان .. وكل ليلة من تلك الاعوام الستة كنت ابيت احلـــم وانا صاحي باليوم الذي أخرج فيه مـــن الحبس ، والتقي بك لاشرب من دمـــك ، وامزق احشـــاءك ايها الظالـــم . والآن ، وبعد ست سنوات من احـــلام اليقظـــة بالانتقام منك ، اجد نفســي امامك وجهـــا لوجه ، فلا أدري ما افعل ..

الشرقي : الم يخطر ببالك طوال سنوات حبسك ان تتساءل عن الاسبـــاب التـــي دفعتنـــي للشهادة ضـــدك ؟

عـــزوز : الاسباب ؟ اية اسباب ؟ انا لم راك قط من قبل . رايتك لاول مرة في المحكمة تقف امام القاضي وجميع الحاضرين ، وتشير الي باصبعك قائلا بكل ثقة ودم بارد ذلك الرجل هو الذي قتل الغلام بسيارته ، وهرب ! رايته بعيني هذين ! وسجلت رقم السيارة . ويشهد الله والملائكة انتـــي بريء من قتل ذلك الغلام المسكين .. بريء براءة الذئب من دم يعقوب . فماذا تقول لخالقك يوم تقف امامه يوم القيامة ؟

الشرقي : انا اعرف انك بريء ..

عـــزوز : (غير مصدق) تعرف .. تعـــرف .. تعرف انني بريء وتشهد ضدي ؟

الشرقي : بريء فقط من الجريمة التـــي نسبـــت اليك ، وشهدت بها ضدك ؟

عـــزوز : (مستغربا) ماذا تعنـــي ؟

الشرقي : هذا ما اريد ان اشرحه لك .. تفضل ، اجلس .. فقد بدانا نثير فضول أصحاب المقهـــى ..

عـــزوز : (يجلس) طيب .. ها انا قاعد ..

الشرقي : هكذا احسن .. السي عزوز .. شهادتي ضدك بقيت عبئا ثقيلا على ضميري طول هذه المـــدة ..

عـــزوز : ضميـــرك ؟ اتضحـــك علي ؟

الشرقي : لا يا سي عزوز .. صدقني .. فلست اضحك عليك .. ولولا ثقل ذلك الذنـــب على ضميري ما بحثت عنك بعد علمـــي بخروجك لاشرح لك ، ولما عرضت نفسي لخطر نقمتك وانتقامك .. ولما احتملت غضبك واهاناتك هذه ..

عـــزوز : اذا كان لك ضمير كما قلت ، فلماذا لـــم تذهب الى المحكمة وتتراجع عن شهادتك وتخرج انسانا بريئا من الحبس ، وتعيده الى زوجته وأولاده .

الشرقي : لانني اردتك ان تعاقـــب ..

عـــزوز : اعاقـــب ؟ على ماذا ؟

الشرقي : على جريمة اخرى ارتكبتها في حقي انا ، ولا يعاقب عليها القانون .

عـزوز : انـــا ؟

الشرقي : نعـم أنـت .

عـزوز : انا لم راك فى حياتي حتى واجهتني بالتهمة الظالمة فى المحكمة .

الشرقي : طبعا لم ترني . امثالك لا يرون امثالي .. انا بالنسبة اليك مجرد حشرة تافهة تدوس عليها دون اسف او تأنيب ضميرك.

عـزوز : ماذا تعنـي ؟

الشرقي : قد لا تذكر الحادث بالمرة .. ففي ذلك اليوم المشؤوم عليك ، وعلي ، وعلى ذلك الغلام المسكين الذي قتـل فى حادث سيارة ، كنت واقفا على جانب الطريق المقفر بين سوق السبت والعـرائش انتظر سيارتك انت بالذات حين علمت بانك فى القرية وستعود للمدينة ذلـك الصباح .. وكان لا بد ان أصل الى علمي فى الوقت بالضبط .. الشركة كانـت معتمدة علي لكسب صفقة هامة . ورأيتك قادما بسيارتك الفارهة الفارغة الا منـك وزوجتك الى جانبك .. ووقفت تقريبـا وسط الطريق رافعا حقيبتي الصغيرة فى يدي ، اشير لك نحو العرائش ، وابوس يدي مستعطفا وقوفك .. ولكنك ، بدل ان تستجيب لاستعطافي ، كدت تدوسني، وذهبت دون التفات وتركتنـي خلفـك اسبح فى الغبار ، واتميز من الغيـظ . والعنك والعن المال الذي رفعك فوقي . وجعلني اذل نفسي أمامك .. (يلهث في صمت) وجاءت بعد فوات الاوان ، ناقلة فحملتني الى العرائش لاجد باب الشركة موصدا فى وجهي ، وورقـة طـردي تنتظرني عليه .. واقسمت ان انتقم من مخرب حياتي .. وكنت أنت هدف غضبي كله فى تلك اللحظة .. وعلمت بالحادث فتقدمت الى الشرطة ، وأدليت بمعلومات كاذبة ضدك .. وحين حكمت عليـك المحكمة بالسجن احسست بارتياح عظيم لانتقامي منك ومن جميع من لا رحمة فى قلوبهم مثلك .. وبحثت عنـك ، بعـد خروجك ، لاشرح لك هذا .. ولاخبرك بنا عقوبتك لم تكن ظالمـة تماما كمـا تتصورهـا ..

عـزوز : هكذا ؟ نصبت نفسك قاضيا ومدعيا ، وشاهدا على شخص عابر سبيل لا تعرف من ظروفه ، هو الآخر ، شيئا . وكأنـه ذبابة لدغتك فقتلتها ، انا الآخر انسان ، رغم ركوبي السيارة الفارهة .. لم يخطر ببالك لماذا لم اقف لك فى ذلك الصباح المشؤوم ؟ سأقول لك لماذا، لانه لم يكن لي مكان لك ..

الشرقي : هذا غير صحيح . المقاعد الخلفية كانت فارغة . رأيتها بعيني .

عـزوز : فى المقعد الخلفي كان ولدي راقدا مصابا بالتهاب رئوي حاد ، ونار الحمى تأكـل جسمه الصغير .. وكل ما كنت افكر فيه هو ايصاله الى المستشفى فى اقـرب وقت .. فهل كنت سافكر في رجل واقف على حافة الطريق ، لا أعرف ظروفـه ، يريد ايقافي ؟ هل كنت تقف فى مثـل ظروفـي ؟

(صمـت قصيـر)

الشرقي : (مبهورا ومتأثرا) يا الهي ! يا الهـي ! انا .. انا .. لا أدري ما اقول .. حقيقة ظلمتك .. لم يخطر ببالي مثل هذا . انا حزين من اجلك يا رجل .. واريـد ان تصدقنـي ..

عـزوز : انا اشد حزنا منك . فقد انهارت حياتي وسمعتي انهيارا كاملا .. ماتت زوجتي فى السنة الاولى من سجني وتركـت اطفالي الاربعة للاقدار .. تركتهم فى سن هم اشد ما يكونون حاجة الى الوالدين .. الى حب وعطف وحنان الابوة والامومة.. ولا يمكنك تخيل قلقي الشديد ، وحزني العميق على موت زوجتـي ، ومصيـر اطفالي ، وانا وراء القضبان بلا حول ولا قوة .. حي بلا حياة ، ميت بـلا قبر . وكان ما كان فى وسعي عمله هو الطاعـة العمياء لاوامر السجانين كيفما كانـت . واعطاؤهم من ماوالي ما يريدون حتـى

احظى بتخفيض مدة حبسي الى الحد الادنى ، واخرج للبحث عن اولادي ، واجمع قطع ما تبقى من حياتي .. (يبكي في صمت)

الشرقي : ارجوك .. لا تبكي .. بكاؤك يمزق قلبي.

عزوز : ارجوك ان تذهب .. لا أريد أن أراك ابدا .. أبدا .. دعني انسى ، أرجوك !

الشرقي : لا يمكن ان اتركك هكذا واذهب .. لن استطيع مواجهة نفسي بعد الآن .. وخصوصا بعد أن عرفت مبلغ بشاعة الظلم الذي انزلت بك . فمجرد الاعتذار عن مثل هذه الاغلاط الفادحة لا يكفي .. لذلك اريد أن أعوضك على ما تسببت عنه لك من شقاء ..

عزوز : تعوضني ؟ كيف ؟

الشرقي : لن استطيع تعويضك على الزمن الضائع، وآلام الظلم الكبير الذي حاق بك ، ولكن حتى لا تعتقد اني انسان بدون ضمير ، ساضع ثروتي رهن تصرفك ، فاطلب ما شئت .

عزوز : اسف .. لا حاجة لي بمالك .

الشرقي : (يتنهد) كنت أظن انني ساريح ضميري باعتراف لك بالحقيقة . ولكن الوقائع التي انكشفت لي زادت ضميري ثقلا على ثقله السابق .. فاذا لم تسامحني فلست ادري كيف ساعيش مع نفسي .

عزوز : هل حقيقة جئت لتريح ضميرك ، ام لتحاكمني بعد تنفيذ الحكم ، وتتشفى في؟

الشرقي : حاشا لله .. والله العظيم لم تبق في نفسي عليك ذرة حقد . وقد تشفيت فيك ما يكفي اثناء المحاكمة .. وقد بحثت عنك لاواسيك ، واشرح لك موقفي ، واذا اقتضى الحال لاشكرك ..

عزوز : (مستغربا قليلا) تشكرني ؟

الشرقي : نعم .. فقد كان طردي من الشركة ، بسبب تاخري ذلك الصباح خيرا وبركة علي ! فقد وجدت عملا آخر احسن من العمل الذي طردت منه .. عملا يناسب مواهبي الفنية ، ويدر علي المال والشهرة، والرضا النفسي . فبدأ ضميري يؤنبني .. وقلت في نفسي ، وانا أفكر في محنتك .. من يدري ؟ لعل الله الهمك الا تقف لي في ذلك الطريق المهجور حتى اطرد من ذلك العمل ، واجد ما هو أجدى وانفع منه . لذلك فانا الآن ، حين أضع بين يديك ثروتي ، أتمنى ، من صميم قلبي أن تقبل مساعدتي لك ، ولو بالسلف .. برأس المال حتى يستقيم حالك .. ارجوك أن تقبل .. فذلك من حقك .

عزوز : لقد قلت لك انه لا حاجة لي بمالك ..

الشرقي : اسمع يا السي عزوز .. انا اريد ان تسامحني مالم الله ، الآن .. فانا رجل مؤمن .. ولا أحتمل تاجيل تصفية هذا الحساب الذي بيننا حتى يوم القيامة . ارجوك ، وأقبل راسك .. أشترط ما شئت . لن أتركك حتى تفعل !

عزوز : (يتنهد متأثرا) السي الرقي .. ما دمت قد فتحت لي قلبك ، واعلنت ثوبتك عن ذنبك .. وطلبت مغفرتي ، فانا الآخر عندي ما اعترف لك به ، فانت ، في الحقيقة لم تكن الا آلة مسخرة في يد الاقدار لتحويل مصيري ، وايقاظ ضميري .. العقوبة التي حكم بها علي بشهادتك ، كنت استحقها ، واستحق اكثر منها .

الشرقي : كيف ؟ ماذا تقول ؟

عزوز : كما تسمع .. ولكن ليس على قتل ذلك الفلام ، فانا بريء من دمه كما قلت لك ؛ ولكني مذنب في حق مجموعة من الايتام تركني ابوهم وصيا ووكيلا عليهم ، للصداقة التي كانت تربطني به .. واستحلفني على فراش موته ، وهو على باب لقاء ربه ان اكون لابنائه التسعة مكانه هو ، فاقسمت له .. ومات الرجل وترك في يدي ثروة طائلة .. واعترف لك ، ان الشيطان لعب بضميري بمساعدة احد القضاة المجرمين فاسانا التصرف في اموال اليتامى التسعة .. ولم يكبروا حتى وجدوا ثروة أبيهم قد تبخرت ..

الشرقي : يا الهــي !

عــزوز : وحين نزل علي ظلمك كالصاعقة ، كانت الفكرة الوحيدة التي تخفف من شعوري بذلك الظلم ، هي ان هذه عقوبة من الله على ظلمي أنا للاولئك المساكين وقد منعني الكبرياء والخوف حتى بعد خروجي من الحبس ، من الاعتراف لابناء صديقي بذنوبي ، وطلب غفرانهم .. ولكن مجيئك عندي هذا الصباح ، واعترافك لي بذلك فى حقي ، جعلني افكر جديا الاعتراف لابناء صديقي بذنبي ، وليكن ما يكون .. فالاحسن ، كما قلت أنت ، مواجهة العقوبة فى هذه الدنيا ، على الوقوف امامهم غدا يوم القيامة ! وأنا مدين لك بهذا القرار.. واشكرك عليه ، وأسامحك على كل ما صدر منك .

الشرقي : أخي عزوز احس بقلبي يرتعش من التأثر والسعادة الحقيقية .. فدعني اقبل راسك .. اني اكاد ارى حواليه هالة من نور .. (يقبل الراس) ..

عــزوز : انا الآخر احس بدفء كبير فى قلبي ورحي .. وبحرية عظيمة وخفة فى ضميري الذي كان منذ حين ، متقلا بالهموم .. ارايت كيف كان كلانا آلة فى يد الخالق لاصلاح الآخر ..

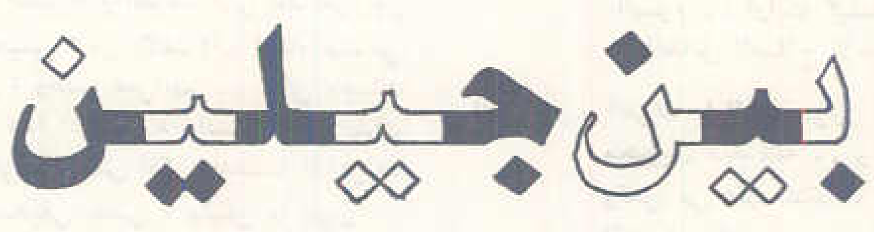
الشرقي : أتعرف يا السي عزوز ؟ انا أشعر باننا محبوبان عند الله .. والا لما كان هدانا ، ونحن فى هذه الدنيا ، الى تصفية هذه الحسابات ..

عــزوز : أرجو ان تكون على حق .

التهايــة

الرباط : أحمد عبد السلام البقالي





للأستاذ أحمد تسوكي

يكاد يكون في بلادنا شبه اجماع على اننا نعيش ونواجه ازمة ابداع فكري وادبي وثقافي ، توشك ان تضيق علينا الخناق في هذا الجانب أو ذاك من جوانب حياتنا الفكرية والادبية والثقافية ... وقد قلت ازمة ابداع ولم اقل ازمة نشر ، فعلى وفرة وغزارة ما تقذف به الينا المطابع كل شهر من مجلات وكتب ، تنتمي لهذا اللون من الادب أو ذاك ، فاننا لا نعثر فيها الا على مستويات هزيلة ــ واحيانا هابطة ورخيصة ــ من الانتاج الادبي نثرا كان أو شعرا .

ان الجيل المعاصر من الكتاب والشعراء الذي نقرا له اليوم ، احسن حظا من اجيال ادبنا في فترة الثلاثينيات وحتى الخمسينيات في أوجه النشر ومجالاته المفتوحة له الآن بدون قيد أو شرط . الا ترى من هؤلاء من يطلع علينا برواية أو مجموعة قصصية او مجموعة شعرية ، ولما يمض على كتابتها نصف السنة او السنة على اكثر تقدير ؟ لكن المرء حين ينتهي من قراءة تلك المجاميع ، على تنوع اساليبها وتعدد موضوعاتها ، لا يكاد يخرج منها بما يضيف الى وجدانه وضميره شيئا يحس به احساسا صادقا ، يؤثر في ذلك الوجدان والضمير ، ويعمق فيهما الروابط والصلات التي تكون مقومات الشخصية الذاتية او الشخصية الجماعية ، ويغذيهما بالقيم الادبية والروحية والجمالية الاصيلة، كما كان الشأن بالنسبة للكتابات والمقالات والقصائد التي كان يكتبها ادباؤنا وشعراؤنا منذ عقدين او ثلاثة عقود من الزمن على صفحات مجلاتنا الثقافية والادبية التي كانت تصدر في تلك الفترة .

وليس قصدي هنا ان اعقد مقارنة بين ما يكتبه جيلنا المعاصر وما كانت تكتبه اجيال تلك الفترة ، فتلك مهمة صعبة لا ينهض بها الا من عاش وعايش بالقراءة والكتابة والدراسة والنقد كتابات اجيالنا الثقافية المتعاقبة وما تنتجه في شتى الوان وفنون الادب . وقد قلت مهمة صعبة ، لان من أوجه الصعوبة فيها أن انتاج ادبائنا وشعرائنا منذ فترة الثلاثينيات حتى الآن ، لا زالت الصحف والمجلات التي كانوا يكتبون فيها تنطوي على ذلك الانتاج الخصيب ، وان كان بعضهم قدتيسرت له فرص ومناسبات لجمعه وترتيبه ونشره على الناس في كتاب أو كتابين ..

ولقد ظهر اختلاف في مفاهيم الادب والكتابة والنقد من جيل الى آخر ، وهذا الاختلاف أمر بديهي ما دامت المسالة تتعلق بطبيعة الادب والكتابة والنقد التي هي من اكثر المسائل تطورا وتغيرا في الحياة لارتباطها والتصاقها بها ارتباطا والتصاقا حميمين ، وما دام المجتمع الذي عاش فيه كل جيل ادبي ، كان يتسم بدوره بعلاقاته وملامحه الخاصة التي تميزه وتجعله مجتمعا متفردا بخصائصه ، مع احتفاظه بقواعد ومقدمات كيانه الجوهري روحيا وماديا وحضاريا ...

وكان لهذا الاختلاف في المفاهيم ، انعكاساته وتأثيراته المميزة على الرؤية الخاصة لكل اديب او شاعر ، لما يطرأ على المجتمع من تطورات وعلاقات جديدة سواء على بنيته الكلية او الجزئية ، كما كان لذلك الاختلاف اتجاهات عديدة اتخذت في بعض الفترات شكل التيار او المدرسة واحيانا شكل المذهب الادبي الذي ينفرد عن غيره بآرائه وافكاره وقيمه ورؤيته التي يتبناها اصحابه ويدعون اليها على صفحات الجرائد والمجلات ، بالتصريح حينا او بالاشارة حينا آخر ..

وقد خلف لنا ذلك الاختلاف في المفاهيم الادبية والنقدية بين جيلنا المعاصر والاجيال السابقة ، آثارا أدبية وفكرية عميقة تتفاوت قيمتها من جيل الى آخر . غير أن ما يلفت نظرنا أثناء قراءاتنا الدراسية أو النقدية الى تلك الآثار ، هو أن ما كتبه منها جيل الاربعينيات أو الخمسينيات مثلا ، كان يتسم اولا بالاصالة التي تعتبر في ميزان النقد والتحليل ذات قيمة لا يمكن غض النظر عنها او تجاهلها بدعوى أو باخرى . والمعنى المراد بالاصالة هنا ليس التشبث بأهداب الماضي الفكري تشبثا اعمى ، وليس الدفاع عن تقاليده دفاعا ينبذ معطيات الجديد وتقتصر رؤيته على زوايا وأبعاد معينة ، وليس تبني موروث الماضي الادبي والثقافي على علاته ، في محاولة لصيانة وحماية قيمه عن طريق اجترارها لطرحها في النهاية في اي شكل من الاشكال الادبية ... ان الاصالة في الكتابة هي والا وقبل كل شيء ، الايمان والصدور عن طبيعة الشخصية المغربية وروحها المتفردة بالخصائص والهيئات العالقة واللاصقة بها ، والتعبير عن ذاتيتها المتميزة ، من اجل تطوير تلك الطبيعة ، والارتقاء بالروح الى مدارج الشفافية والسمو والكمال ، وتطعيم الذاتية بالقيم الحضارية الجديدة التي ثبت صلاحها وفرضت نفسها في البنيان الاجتماعي كاحدى الحوافز والدوافع التي تزود الانسان بالافكار الجديدة البناءة التي تسهم في تقدمه وتطوره .

والاصالة بهذا المفهوم لا تعني نبذ الماضي ، فالماضي جزء من الشخصية ، وحتى في حالة ارتباطها به ، فهو ارتباط استفادة واستثمار لما ينطوي عليه ذلك الماضي من ايجابيات ومعطيات خلاقة تمد أدبنا المعاصر ، وتمد الجيل الذي يتحمل مسؤولية التعبير عن آمال وهموم أبناء مجتمعه ، بنفس جديد نحن أحوج ما نكون اليه ، خاصة واننا نعيش ونواجه ازمة ابداع توشك أن تضيق علينا الخناق في حياتنا الادبية والفكرية والثقافية ، كما قلت في صدر هذه الكلمة .

والسؤال الآن هو : أين تلك الاصالة وأين مظاهرها في ما يسمى بالادب الحديث الذي ينشؤه جيلنا المعاصر ، بذلك المفهوم الذي طرحناه للاصالة ؟

ان اية قراءة ــ عابرة او متانية ــ لذلك « الادب » تجعلنا نقف منه وقفة تأمل ودراسة عميقة . ذلك اننا ــ قراء أو دارسين او ناقدين أو باحثين ــ نتجه دائما الى فنون الادب وألوانه ومذاهبه ومدارسه ليس للاستمتاع فقط ، وانما بالدرجة الاولى بحثا عن « شخصية » هذا الادب الذي نقراه ، أين تكمن تلك الشخصية ؟ ما هي الملامح والظواهر الكلية والجزئية التي تدل على تلك الشخصية وتشير اليها ؟ ما هي الخصائص والهيئات التي ينفرد بها ذلك الادب في تعبيره عن الشخصية ؟

واظن أننا لو استبعدنا من ذهننا وفكرنا هذه الاسئلة اثناء قراءاتنا للادب ، وبحثنا في مضمونه عن اشياء اخرى لا تقدم لنا اجابة عن تلك الاسئلة أو بعضها ، فاننا نسقط في متاهة العبث واللهو واللعب وتقتل الوقت كما يقولون ، كما سقط أصحاب ذلك الادب الذين تجشموا مشقة في الكتابة ، ما كان اغناهم عنها ما داموا لا يريدون ولا يقصدون الى شيء الا الى ذلك العبث واللهو واللعب بنا وبأفكارنا ، مهما تفننوا في أساليبهم ، وتلاعبوا بالفاظهم ، وحسنوا من وسائل وأدوات اجتذاب القارىء اليهم واغرائه ، ومهما ذهبوا هذا المذهب في الكتابة او ذاك .

فاذا رادنا مثلا ان نبحث عن الشخصية المغربية في الانتاج الادبي الحديث ، بكل فنونه وألوانه المعروفة ، لم نجد فيه لهذه الشخصية أثرا من الآثار ، أو علامة من العلامات التي تدل عليها وتشير اليها وتنم عنها . فالشخصية المغربية منعدمة في ما ينتجه الجيل المعاصر من كتابنا وشعرائنا أو تكاد تنعدم على أقل تقدير .

تناول على سبيل المثال رواية او اقصوصة او قصيدة مما ينشر هنا او هناك ، ولن أسمي لك تلك الرواية او الاقصوصة او القصيدة ، ! ــ انك اذا القيت من الرواية ــ مثلا ــ أسماء الاشخاص الذين

يتحركون فيها ، واسماء الامكنة التي يضطربون فيها ، ثم تناولت « نمط الاسلوب » الذي يغذي به الكاتب روايته ، والبيئة العامة التي يحرك طيها الكاتب ابطال روايته وشخوصها ... اذا ألفيت ذلك كله او بعضه من الرواية ، وجدتها في النهاية « نصا روائيا » ينطبق على اي بلد آخر ، ويعكس اية شخصية — نفسيا واجتماعيا وفكريا وحضاريا — تريدها من شخصيات هذا البلد او ذاك مما تشاء من البلدان والاقطار ! كل ما تجده في النص الروائي بين يديك : ادب مستورد ، وفكر مستورد ، وتجارب مستوردة، وافكار واتجاهات مستوردة ، واخيرا شخصية روائية مستوردة غريبة عن واقعنا ، لا تعبر عنه ولا تمت اليه بصلة ، الا صلة اللغة التي يسرد بها الكاتب احداث روايته ويرويها ويحرك بها اسماء الاشخاص واسماء الامكنة ... الخ . اي انك يكفي ان تغير الاسماء في الرواية وتعوضها بأخرى — فرنسية او انجليزية او المانية او ما شئت من اسماء هذا البلد الاجنبي او ذاك — حتى تحس انك امام نص روائي جنبي ، اي امام عمل أدبي اجنبي في فكره وفي تجربته ، لا ينتمي الى هذا الوطن ، والى الانسان فيه، ولا يرتبط بهما بصلة او علاقة ، اللهم الا صلة اللغة ، وهي اداة تستخدم في التعبير عن صور الفكر والانفعالات العاطفة ، فلماذا لا تستخدم ايضا — ما دامت مجرد اداة — في « الترجمة » ؟ واي غرابة في ان تستعمل كذلك للتعبير عن صور فكرية وعواطف مستوردة ؟ !

الى اين يسير اذن ادب هذه مواصفاته وصفاته ؟ ولمن يتوجه به اصحابه ؟

هناك احتمالان — أو اجابتان — لا ثالث لهما . الاول ان هذا الادب ليس موجها الى المواطن المغربي مطلقا ، فاذا كان يتوسل باللغة للوصول الى القارىء ، فاللغة ليست كافية وحدها . اما الاحتمال الثاني فهو ان اصحاب ذلك الادب لا يكتبون عن الوطن ، ولا يكتبون الى المواطنين فيه ، وانما يكتبون لانفسهم ولغرض غير الغرض الذي يكتب له الادب الحقيقي الاصيل .

وانا أعلم ان من يكتب ذلك اللون من الادب ، ويتجه فيه ذلك الاتجاه — أو قل تلك الاتجاهات — يؤمن بذلك كله ايمانا لا حدود له ، ويتبناه الى درجة من الصعب محاولة الدخول معه في مناقشة حوله ، اذ هو عنده بمثابة العقيدة والمذهب الذي يدافع عنه بحرارة وحماس المؤمنين ، فهو يسميه الادب الجديد ، والادب الجديد عنده هو العبث حينا ، واللا معقول حينا آخر ، وما شئت من المسميات الجديدة اللامعة التي تلوكها الالسنة ، وترددها الاقلام باستعلاء وتثقف ، كان هذا الادب بارديته المتعدده ادب جديد حقا ، وكان الذين يذهبون في كتاباتهم تلك المذاهب المتطرفة ادباء جدد حقا ، والامر بكل بساطة هو ان الادب الجديد حقا ، هو الجديد في أصالته ، وفي مدى عمق تعبيره عن الواقع المعاش وليس في الاشكال التي يرتديها ، والالوان التي يصطبغ بها بين شهر وآخر ، بل بين يوم وآخر .

وقد غاب عن اذهان هؤلاء ان ما يسمونه بالادب الجديد — في مفهومهم الخاص له — قد تجاوزته الاحداث والتطورات ، فهو يتخذ كل يوم صيغا جديدة ، واصحابه الحقيقيون وآباؤه الاصليون يغيرون أساليبهم في الكتابة ، ويطرحون مضامين جديدة تتلاءم مع التغير السريع الذي تشهده مجتمعاتهم ، هذه المجتمعات التي تتسم بسرعة التغير في كل شيء .

لذلك ، فهذا الذي يسمى عندنا بالادب الجديد، ليس جديدا بالفعل ، ولا يعيش بهذا المفهوم المتخلف الا في اذهان من يتبنونه ويدعون اليه ويكتبون به في الشعر او في النثر على السواء .

ان النتيجة الوحيدة التي يخرج بها المرء من قراءاته للكتابات من يسمون انفسهم بالادباء الجدد ، هي ان هناك انفصاما خطيرا بين هؤلاء وبين مجتمعهم الخاص ، وبيئتهم الطبيعية ومحيطهم الاجتماعي والثقافي الاصيل . ان المشاكل الحقيقية ، والقضايا الجوهرية لبلادهم وللانسان فيها ، لا تشغل في كتابات « الادباء الجدد » اي حيز ذي اهمية . اما المواضيع التي يكتبون فيها وعنها ، فيسير على المرء ان يدرك ان مادتها مستقاة مما تلفظه مطابع الغرب من أدب تنبعث منه رائحة القذارة ، والتمرد ، والانحلال ، والاستسلام ، والهزيمة ! وعن قراءاتهم السطحية العابرة لذلك الادب الذي لا يمكن ، وليس بوسعه الا أن يعبر عن المعاني الوحيدة التي يعيشها ويتصهر فيها انسان المجتمعات الغربية .

وعلى المرء أن يدرك بسهولة ويسر ذلك الاسقاط الفكري والادبي والحضاري الرخيص الذي ينطبع وينعكس على ما يسمى باصطلاح البطل في هذا الادب الذي يدعونه جديدا . واعتقد أن « البطل » في

رواياتنا وقصتنا هو اكبر نموذج يجسد هذا الاسقاط ويمثلـــه .

هل يعني هذا أن أبواب التجربة موصدة أمـــام جيلنا الادبي المعاصر ؟ وأن معالم المغامرة الادبيـــة ـ في الشكل والمضمون ـ لا تفضـــي الا الى دروب ومسالك مسدودة ؟ ولا تقدم لنا في النهاية الا أدبـــا جافا ، وميتا ، أو مجهضا ؟

كلا ، فاقتحام أبواب التجريب ، وطرق سبلهـــا تخضع بدورها لقواعد وأصول وشروط ، أعتقـــد أن قلة قليلة جدا من ادباء جيلنـــا المعاصر تقـــدر على الالتزام بها ، لانها تدرك مسؤوليـــة التجربـــة ، أي تستوعب حقائقها الموضوعية والذاتية ، ليس مـــن خلال الاسقاط والمغامرة العشوائية ، والتخبـــط والاجترار ، بل من خلال التمثل السليم ، والاستيعاب الصحيح للاشكال والمضامين الجديدة المستوردة ، ومحاولة تطويرها حتى تتناسب مع الواقع وتتطابق مع حقائقه ومعطياته وأبعاده .

ونحن اذن امام جيلين ، وهذه حقيقة لا يمكن انكارها على الاقل من وجهة النظر التاريخية ، أمـــا الجيل الاول فقد حاول أن يعبر عن واقعه كما عاشه، وكان صادقا ومخلصا في ما كتب ، فأما الجيل الثاني، فقد حاول ذلك ـ بنفس الصدق والاخلاص ؛ ولم أكن اقصد الى بيان وجوه الصدق والاخلاص في ماكتب الجيل الاول أو الجيل الثاني ، وانما كان قصدي أن ابين أن المرء حين يقرأ للجيل الاول يجد في ما كتبه ـ فوق الصدق والاخلاص ـ نفسه أو بعض نفسه ، اي يجد فيه نفسا من انفاس ضميره ووجدانه وقلبه وعقله وشعوره ، فاذا حاول أن يجد ذلك أو بعض ذلك في ما يكتب الجيل الثاني ، خانه ظنه ، أو عثر على شيء من ذلك مبعثرا هنا وهناك عند قلة قليلة جدا من الكتاب والادباء والشعراء .

ان الكتابات التي تركها لنا الجيل الاول حين تعود اليها وتستغرق في قراءاتها بعقلك وقلبـــك ، تجد فيها المتعة حين تطلب المتعة ، وتجدها توفر لك الافكار التي تغذي بها ذهنك وعقلك ووجدانك حين تنشد تلك الافكار ، لكن لا يفهم من هذا أن كل ما كان يكتبه الجيل الاول جيد في جيد ، ولكنه على الاقـــل أفضل للقراءة مما يكتب وينشر اليوم ويطلق عليـــه اسم الادب الجديد ؟

فاذا خامرك الشك في ذلك ، فاطلب شيئا من هذا الادب الجديـــد ، وشيئـــا مـــن ذلـــك الادب « القديم » ، واقراهما .. ثم احكم بنفسك !

الرباط : احمد تسوكي

هذا الدين جمال وجلال

للأستاذ محمد الادريسي

يتجلى جمال الاسلام بحق فى عقيدته الصحيحة، وشريعته السمحة ، وطريقته الربانية فى المعالجة ، ونظرته القويمة الى الحياة ، وحضارته القيمة الرائدة. فجمال الاسلام حقيقة أكيدة يبرهن عليها التاريخ المنصف له ويؤكدها الواقع المحزن للانسان فى القرن العشرين رغم كل ما وصل اليه من تقدم ملحوظ وتطور مدهش فى شتى الميادين .

وفى هذا الشأن ومن وحي الحقيقة المرة التي تفضح حضارة الغرب ، اقول بأن هذا التقدم والتطور انما تجسما فى الماديات على حساب الروحيات .

ان الحضارة ان كانت مادية مائة فى المائة فهي صورية ، وبموجب هذه النظرة فكل تقدم مادي نصفه بأنه حضاري يكون غير جدير باصطلاح حضاري صحيح أو أصيل لكون المفهوم الحضاري فى الاسلام لا يصح ولا يستقيم الا بوسطية : أي اعتدال فى المادية واعتدال فى الروحية ، ولا يقر البتة بمادية على حساب الروحية ولا بروحية على حساب المادية، قال سبحانه :

(وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ، ولا تنس نصيبك من الدنيا ، واحسن كما احسن الله اليك ، ولا تبغ الفساد فى الارض .. ان الله لا يحب المفسدين ..) ، كما جاء فى الحديث الشريف : (خير الامور : أوساطها) .

وحضارة الغرب على هذا الاساس حضارة مادية خالصة لا تعرف فى صعيدها الا الشذوذ والفوضى والانتحار والاجرام من كل الفنون .

ولهذه العوامل الشاهدة على فساد هذه الحضارة فلا وجود حقيقة لسعادة انسان أوروبا وامريكا وروسيا ، ولا وجود لاصل يرتكز عليه اصحاب الادعاء الكاذب والزعم الباطل الذي يوهم بأن جنة ارضية تحققت فى دنيانا ، جنة فى عصرنا الحاضر هي جنة العالم الجديد فى اقصى اليمين او جنة الكرملين فى اقصى اليسار .

وعلى ضوء هذه الحقائق التي تزري بانسان الغرب ولا تشرف حضارة الغرب فاننا لا نعترف ولا يمكن ان نعترف بوجود جنة هناك وانما نقول ونؤكد بوجود جنون اصاب عقلية الغرب وتحقق على صعيد « امريكا واوروبا وروسيا » حيث يتمتع انسان هذا الثالوث بفنون الجنون : فى التفكير ، والتحكم ، والسلوك ، والتصرف ، والاختراع ، والاضرار ، والافساد بوسائل وأشكال شتى .

ومن فنون جنونه السائدة هناك والتي تبناها وتذرع بها واستعملها انسان امريكا وأوروبا وروسيا احواله هذه : والتي هي عبارة عن احوال التستر والتخفي فى فعل الشر وارتكاب الفجور علاوة على التغييب والاخفاء لحقائق الاوضاع والامور مع الطمر

الكلي لفضائل الاخلاق والرفض التام لاوامر الدين الحق لتبقى مجهولة عنده فيعيش كالحيوان .

وهذا الانسان كاد يعيش كالحيوان فهو الذي اباح له القانون (1) فاحشة اللواط على انه امر لا بد منه يفرضه الواقع كما يدعون او تحتمه سنة التطور كما يزعمون ، هذا الانسان الذي يبرر رذيلة الاتصال الجنسي ـ من طريق غير مشروع ـ بالضرورة الحضارية ، هذا الانسان الذي يؤمن بالمسكرات على انها مشروبات روحية ، وبالمخدرات ضروريات حتمية تخلص من واقع اليم لتسعده ، ولكنها في حقيقة الامر سعادة خيالية : لا علاقة لها بالوجود النظيف ولا صلة لها بالواقع الصحيح ، وكيف تكون سعادة ؟ وهي لا تتوفر على الامن والايمان والاطمئنان بل على ما فيها الم وفراغ وضياع وذل ، وكل هذا دليل كاف على افلاس حضارة الغرب ، ولا مغالاة فيما نقول وندلل عليه خصوصا ومن الادلة على الافلاس هذا المخدر : وهو من اكبر كبائرها !

وما المخدر ؟ اليس هو من النتاج الذي تقبلته نفسية انسان الغرب والشرق وشجعت على تعاطيه حضارته المنحرفة ؟ اليس هو الذي يجعل صاحبه ضحية وفريسة له لا يعرف الا الادمان عليه ليعيش في دوامة الصراع باستمرار ؟ !

وهذا المخدر : هذا السرطان ، اليس هو الذي يجعل ضحيته في قصور وتقصير فيميع ويضيع ليعيش على هامش الحياة بل ليكون من جرائم الحياة !!

وهذا الانسان اليس هو الذي انتج قانونا يتحكم فيه ويحكم به ويتحاكم اليه وهو قانون شاذ ، فاسد، ظالم يرضي المحكوم به بالربا فائدة ، ويرى الرذيلة على انها فضيلة ، والنقيصة على انها كمال ، والانحراف على انه استقامة ، والتردي على انه سمو ، والاجرام على انه غريزي في الانسان !!

وفي كلمة فالشر عنده خير بتبرير كله تغرير وتضليل الغير على اساس قلب الحقائق ، على حساب الفضائل ، حتى يبقى هذا الانسان ومن يسير في ركابه ومن يعيش من نتاج حضارته غريق خضم المآسي على الدوام .

هذا باجمال ما يجب معرفته عن انسان اوروبا وامريكا وروسيا او انسان (الجنة الموعودة) رغم عدم توفرها على الهناء والراحة ، والطهر والسلام : اسس وشروط اي جنة كيفما كانت ارضية او سماوية .

واراني مضطرا قبل ان افصل القول اكثر في موضوع افلاس حضارة الغرب الى الاستشهاد بما يلي :

(... ان الحضارة العصرية تجد نفسها في موقف صعب لانها لا تلائمنا ، فقد انشئت دون اية معرفة بطبيعتنا الحقيقية ، اذ انها تولدت من خيالات الاكتشافات العلمية ، وشهوات الناس ، واوهامهم ، ونظرياتهم ورغباتهم وعلى الرغم من انها انشئت بمجهوداتنا الا انها غير صالحة بالنسبة لحجمنا وشكلنا (2) .

لهذه النتائج المخزية السافرة انحطت انسانية الغرب والشرق لانها قطعت نفسها عن المعتقد الديني الصحيح ورغبت عن الوازع الاخلاقي الصالح، وهكذا سقط الانسان وعاش في ظلال الحضارة الغربية ـ التي ينقصها روح الحضارة واستقامة الحضارة وتفتقد الدين الحق ـ بلا عقيدة صحيحة وبلا شريعة حق وبلا عقلانية سليمة وبلا اخلاقية رفيعة وبلا وجهة مستقيمة في الحياة .

هذه الحضارة انى لها الكمال وهي تعاني نقصان الدين الحق ، وهذا الدين : هو الوقاية والحل وهو ضمان التكامل والتوافق بينها وبين انسانها ، وهذا الانسان ليس كاملا بدون دين على حد تعبير « كولن ولسون » (3) .

---

(1) وهنا أشير الى مجلس العموم البريطاني الذي اباح الشذوذ الجنسي بقانون اصدره بعد مناقشة علنية (عن كتاب : آراء حرة في الدين والحياة) لفتحي رضوان ، مقال « الشذوذ الجنسي والموت الهنيء » ، صفحة : 146 ، 147 ، 148، من سلسلة كتاب الهلال ، العدد : 226 رمضان 1389 ، دسمبر 1969 .

(2) الكسيس كاريل في كتابه (الانسان ذلك المجهول) ، الفصل الاول ، صفحة : 37

(3) (اللا منتمي) ، صفحة : 395 .

ان مصيره المؤلم الذي يتخبط فيه خير دليل على ما نقول ، ونهايته المفجعة المتمثلة فى حالول انتحارية ، ومشاكل معقدة ، وتصرفات شاذة ، وتطورات مفسدة ان دلت على شيء فانما تدل على عقلانية مجنونة ونفسية مريضة عند انسان الغرب نجمت عنهما سطحية التفكير وقصوره فى ميدان العقليات وقباحة التصور وفساده للامور ، فكانت المذاهب الهدامة والقوانين الوضعية مما حفز بالكثير من مفكري (4) الغرب العقلاء الى الدعوة بحرارة لايجاد ديانة او البحث عنها يكون فيها خلاص الناس ويتحقق بها الهناء الذي يتوق اليه الناس فى هذا العصر . وليت شعري اهم يجهلون ام يتجاهلون؟ اليسوا يعلمون بوجود هذه الديانة المنقذة للبشرية ماضيا والمنقذة لها مستقبلا ؟ !

(... ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون) .

انهم لو بحثوا واخلصوا فى البحث لما وجدوا كبير عناء فى التعرف على هذا الدين المنقذ وهو فى مظانه الاصيلة وبالشواهد الدامغة التي تنطق بانه الحق المنشود وغيره الباطل المتهافت الذي لا يمكنه ان يعلو او يصمد :

(يريدون ان يطفئوا نور الله بافواههم ويأبى الله الا ان يتم نوره ولو كره الكافرون) .

(هو الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيدا) .

(وقل : جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا) .

وبعد الاشارة الى الباحثين عن الدين الحق ، اشير الى الذين بحثوا بامعان واوصلتهم نزاهة بحثهم – رغم انهم من الاعداء والحق ما شهد به المنصفون منهم – الى الاعلان عن الحقيقة العجيبة التي يكمن فيها صلاح واصلاح الانسانية المعذبة السائرة نحو الهاوية .

هذه الحقيقة هي : الاسلام العظيم ، فيقول اولهم وهو « برناردشو » : (انه لن يتعس العالم من مكبوته الا اخذ بتعاليم الديانة الاسلامية ، ولا بد له من هذه النتيجة من نحو قرنين من الزمان) (5) .

ويقول ثانيهم وهو « جواكيم دي بولف » :

(اننا اذا طالعنا مبادىء الاسلام ، درسنا قواعده بنظر عميق ، وبصيرة نافذة تجلت علينا الحقيقة كنصف النهار ، وهي أن المسلمين المعاصرين قد بعدوا عن اتخاذ هذه المبادىء السامية بونا شاسعا ، وان ظهرت فيهم روح قدسية ذات عزيمة ثابتة من وراء الغيب توجههم بالاستئناف الى ركيزة الاسلام الاصيلة ، فلا خلاف فى قوتهم ان تبلغ اعلى السماء ويكونوا باعتبار الاخلاق والعلم والاجتماع منارة العالم كله ، ولا يهمني الآن خطورة سياسة الاسلام بل اود ان ابحث ناحية من نواحيه المختلفة عليها يتأمل فيها احد من الاوربيين ، ان هذه الاحكام والشرائع تتعلق بما فرضه القرءان على معتنقيه بالنسبة لموضوع المحافظة على الصحة وسلامة الجسم ، وبذلك استطيع أن اقول : ان القرءان يمتاز بهذا الاعتبار امتيازا بارزا على الكتب السماوية بتاكيد كامل ...

... يجب على الامم الاوربية التي تدعي الثقافة والحضارة أن تغبط المسلمين ... ان فضائل التعاليم الاسلامية بارزة بروز الشمس ، وخاصة اسسها ... وثمة سؤال وهو ان المسلمين : لماذا حادوا عن طريق الاسلام ، وانصرفوا عن التعاليم القرءانية ونبذوها وراء ظهورهم ؟ ...) (6) .

ذلك قول حق على لسان غير المسلم يشهد بأن الغد السعيد والمستقبل الباسم هما للاسلام ، لانه الدين الوحيد الذي يواكب الحضارة ويحقق الحضارة الصحيحة بل هو الحضارة ، وهنا تظهر بوضوح أسرار الجمالية الربانية التي فيه .

ان جمال الاسلام وكماله هما اللذان حفزا بالمؤرخ « ولز » الى القول : (كل دين لا يسير مع

---

(4) كالفيلسوف الانجليزي « راسل » .
(5) كتاب (قالوا فى الاسلام) صفحة : 135 .
(6) عن مقالة له نشرت بالمجلة الالمانية (يدي هايف) ترجمها نثار احمد الاعظمي ونشرها بجريدة (الرائد) الهندية بالعددين 23 ، 24 ، السنة 15 تحت عنوان : (شهادة الاقوام على صدق الاسلام) .

يجرهم الى الهلاك . وان الديانة الحقة التي وجدتها تسير مع المدنية انى سارت هي الديانة الاسلامية ، واذا اراد الانسان ان يعرف شيئاً من هـذا ، فليقرأ القرءان ، وما فيه من نظرات علمية ، وقوانيـن ، وانظمة لربط المجتمع ، فهو كتاب ديني ، علمـي ، اجتماعي ، تهذيبي ، خلقي ، تاريخي ... واذا طلب احد مني ان احدد له الاسلام ، فساقول له : الاسلام هو المدنية ، وهل فى استطاعة انسان أن يأتي بدور من الادوار ظهر فيه الدين الاسلامي مغايرا للمدنيـة والتقـدم) (7) .

فهذه شهادة ناطقة بالحق الصراح معبرة بصدق عن جمال الاسلام ، تدل على جمال حضارته المعطاء ،

وهذه الشهادة تنم عن حقائق جلية تؤيدها وقائع الحضارة الغربية المفلسة من صحيح القيم ، وتشهد بها وقائع الحضارة الاسلامية الغنية بجميل القيـم والتي تنفرد بالفضائل والمحاسن والروائـع (8) ؛ فبدون صحة القيم لا يمكن للصـلاح والنجـاح ان يتحققا فى واقع اي حضارة .

فحضارة الاسلام هي الحضارة الانسانية التـي اجادت فيما انتجت فأسعدت ، فلقد حققت الرخاء والهناء للانسان عدة قرون كانت فريدة من نوعها فى تاريخ البشرية التي نعمت فى ظلالها الوارفة بالاخاء والتعارف والوفاق والتفاهم والتكافل والتعاون فى اجمل واسمى المعاني وقد اسعدت هـذه الحضارة المستقيمة حينما كان اصحابها المنتجـون لهـا مستقيمين ومتشبثين بها ، لان الاستقامة من خصائص ديانة هذه الحضارة ، فهذه الديانة القيمة هي وحدها التي تتسم بانها محيطة بشؤون الفطرة البشريـة . وهذه الاحاطة من دلائل ربانية وتعلن عن روعة جماله، وزيادة فى التوضيح اقول : ان جمال الاسلام يتمثل فى الانسجام ، وهذا الانسجام فيه هو السر فى كونه دين الفطرة لان كل ما اتى به يوافق الانسان ويصلحه، وما دعا اليه يلائمه ويحفظه ، فهو برهان رباني اي الانسجام على انه دين الله . والانسجام فى الاسلام افهمه كما يلي : فالاوامر والنواهي فيه تناسـب العقل وتحافظ على الروح وتحفظ الجسم وتهـدي القلب ، فهي تلبي الحاجات المعقولة وتحقق الرغبات الضرورية للجنس البشري ، والحاجات هذه مـع الرغبات انما هي من ميول الانسان التي تحفظ مـن الانحراف عن طريق التوجيه الرباني والارشاد الالهي امجسمين فى التكاليف الهادفة التي اكرم الله بهـا انسان الاسلام الذي يعي وجوده فى الحياة ، وبذلك يعرف حسن المصير فى دنياه ويتعرف على حسـن المآل فى اخراه ، ويدرك تمام الادراك بان التكليـف كيفما كان نوعه فى الاسلام انما هو تشريف له يمكنه من التعرف على ربه الرحيم به المكرم له بالعبودية والعبادة . ففى العبودية لله منتهى الشرف الـذي يسمو به ويؤهله للفوز برضوان الله الاكبـر ، وفى العبادة معنى التكليف الذي انفرد به الاسلام والذي ينم عن ايجابية هذا الدين وواقعيته ومثاليتـه فى اساليبه الحياتية لخير هذا الانسان ، وهي ايجابية وواقعية ومثالية حقيقية اصيلة فى هـذا الديـن الحنف اسسها :

ايمان واتقان وتيسير ورحمة :

(وقل : اعملوا فسيرى الله عملكم ورسولـه والمؤمنون وستردون الى عالم الغيـب والشهـادة فينبئكم بما كنتم تعملون) (ولقد كرمنا بني آدم ..) (وما جعل عليكم فى الدين من حرج) .

انها آيات تلقي الاضواء على حقائـق الاسلام ، وهي حقائق للبناء والهداية : بناء ما حول الانسـان وما هو مسخر له ، والاستفادة من الهداية التي خص بها والشهادة التي تميز بها ، فهو الانسان المكلف ، تحقيقا للتوازن فى الحياة بوسطية الاسلام :

(وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ...) .

انه عن طريق التوازن فى الاسلام بيـن الروح والجسم بمبدا لا افراط ولا تفريط لم يعرف انسان الاسلام رهبانية مجحفة من نوع الرهبانيات التـي تذهله عن وجوده الارضي ، ولا عرف مادية ملحدة من صنف الماديات التي تطغيه الى حد الجهل بكيانـه البشري مما تجعله يتنزل الى المتون البهيميـة .

---

(7) كتاب (الاسلام ابدا) صفحة : 22 ، 23 .

(8) انظر الكتاب القيم (من روائع حضارتنا) للمرحوم الدكتور مصطفى السباعي .

ان عظمة الاسلام لتتمثل فى حرصه الشديد ـ عن طريق دعوته الحكيمة ـ لاقامة مجتمع نظيف يعيش افراده باخلاقية صحيحة لانه بدون هذه الاخلاق الصالحة تتميع كرامة البشر وتتعذر سعادة الانسان ويكفي للتدليل فى هذا الصدد الاستشهاد بواقع الانسان المعاصر الذي تنكر للدين الحق وكفر به كلية فعاش فى جاهلية مردية نلمس آثارها ، ونلمح ضحاياها فى هذا القرن العشرين .

ولا ريب أن من اسباب تدهور الانسانية وترديها ما يعود الى الترف الذي ادى الى الانحراف الكلي فكان انتكاس الفطرة البشرية وكان الارتكاس فى حماة الرائل بصفة شمولية لا تليق بالانسان .

ان أي انحراف وأي انتكاس وأي ارتكاس عند انسان الغرب الاوروبي : ضحية الراسمالية وعند انسان الشرق الاوروبي ضحية الشيوعية انما يعود الفقدان التوازن الذي تفتقر اليه الحضارة الغربية فنجم عن هذا التناقض الحضاري ان صح التعبير وجود فجوة عميقة بين عنصري الانسان الروحي والمادي . وهذه الفجوة تتجلى فى معاناة الانسان الغربي للفراغ الروحي والخواء الديني مما ادى به الى فنون العذاب ، وهو عذاب لا يمكن ان يتخلص منه لانه حتمي بالنسبة له ، فهو من نتائج واقعه الرهيب الذي يحياه ويقاسيه ، ولن ينجو من هذا الجحيم الارضي الا بالالتجاء للحل الرباني الذي يحل مشاكل الانسان ويعالج باتقان :

(ان هذا القرءان يهدي للتي هي أقوم ...)

ان الدور المنتظر للاسلام ، وان المستقبل العالمي ، فمن شاء فليؤمن ، ومن شاء فليكفر ، وصدق الله سبحانه : (فذلكم الله ربكم الحق فماذا بعد الحق الا الضلال فانى تصرفون) .

هذه الآية العظيمة المعجزة يتحدى الله العظيم بها أهل الكفر والضلال باقامة الحجة عليهم لانهم باختيارهم واصرارا منهم كفروا وضلوا فهم : (استحبوا العمى على الهدى) رغم وضوح الحق وتبيان الطريق .



أوليات

إعداد : الأستاذ محمد العرائشي

● **أول من سن القتل ظلما :**

روى عن عبد الله بن مسعود ان النبي صلى الله عليه وسلم قال : ليس من نفس تقتل ظلما الا كان على ابن آدم الاول – اي قابيل قاتل اخيه هابيل – كفل من دمها ، لانه كان أول من سن القتل . متفق عليه .

● **أول من اتخذ السلاح :**

اول من اتخذ السلاح والسيف وجاهد هو ادريس عليه السلام قاتل أولاد قابيل .

● **اول من عمل القسي وقاتل :**

ابراهيم عليه السلام هو اول من عمل القسي، وقاتل ، واغار على الاعداء ، وفك الاسارى . وهو أيضا أول من عقد الالوية ورفع الاعلام .

● **أول من عمل الدروع :**

داوود عليه السلام هو أول من عمل الدروع، لتكون عدة للمقاتلين ، ورداءا للمجاهدين . قال تعالى : « وعلمناه صنعة لبوس لكم ليحصنكم من بأسكم » . (الآية 80 من سورة الانبياء) . كما انه هو اول من عمل الدروع حلقا ، فقد ذكر المفسرون عند قوله تعالى : « وألنا له الحديد ان اعمل سابغات وقدر في السرد » . الآيتان : 10 و 11 من سورة سبأ نقلا عن قتادة : ان داوود عليه السلام هو اول من عمل الدروع حلقا ، وقد كانت فيما قبل صفائح يثقل استعمالها .

● **أول ما نزل في الحرب :**

اول ما نزل من القرءان في الحرب ، قوله تعالى : « اذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير » . الآيات : 39 و 40 و 41 من سورة الحج . قال الامام ابن العربي في احكام القرءان : قال علماؤنا رحمهم الله : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل بيعة العقبة ، لم يؤذن له في الحرب ، ولم تحلل له الدماء ، انما امر بالدعاء الى الله ، والصبر على الاذى ، والصفح عن الجاهل ، فكانت قريش قد اضطهدت من اتبعه من قومه من المهاجرين ، حتى فتنوهم عن دينهم ، ونفوهم عن بلادهم ، فهم بين مفتون في دينه ومعذب ، وبين هارب في البلاد مغرب ، فمنهم من فر الى ارض الحبشة ، ومنهم من خرج الى المدينة ، ومنهم من صبر على الاذى . فلما عتت قريش على الله، وردوا امره وكرامته ، وكذبوا نبيه ، وعذبوا من آمن به وعبده ووحده ، وصدق نبيه ، واعتصم

بدينه ، اذن الله لرسوله فى القتال والامتناع والانتصار ممن ظلمهم وبغى عليهم ، فكانت أول آية انزلت فى اذنه له بالحرب ، واحلاله له الدماء .

● **اول راية عقدت فى الاسلام :**

الراية التي عقدها النبي صلى الله عليه وسلم لابن عمه عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب ابن عبد مناف بن قصي على ستين من المهاجرين ليس فيهم انصارى ، هي اول راية عقدت في الاسلام على أرجح الاقوال .

● **أول سهم رمي به فى الاسلام :**

لما عقدت الراية لعبيدة بن الحارث ، سار حتى بلغ ماء بالحجاز بأسفل المرة ، فلقي جمعا عظيما من قريش ، ولم يكن بينهم قتال ، الا ان سعد بن أبي وقاص رمي يومئذ بسهم فى سبيل الله ، ثم انصرف القوم عن القوم وللمسلمين حامية ، فكان سهم سعد أول سهم رمي به فى الاسلام .

● **أول من رمى بالمنجنيق فى الاسلام :**

قال ابن هشام فى سيرته : حدثني من اثق به ، ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أول من رمى فى الاسلام بالمنجنيق ، رمى أهل الطائف.

● **أول فدائي فى الاسلام :**

يعتبر الامام علي كرم الله وجهه اول فدائي مسلم ، فقد كان رضي الله عنه فى كفالة النبي صلى الله عليه وسلم قبل الاسلام ، وبقي معه حتى بعثه الله نبيا فآمن به وصدقه . ولما علم النبي صلى الله عليه وسلم بأن قريشا أجمعت امرها على قتله عند محاصرتها لمنزله بمكة ، وأراد الهجرة الى المدينة ، أمر عليا بأن يلبس رداءه وينام فى فراشه ليلة هجرته ، وقال له: نم على فراشي ، وتسج ببردي هذا الحضرمي الاخضر فنم فيه ، فان الله لن يخلص اليك شيء تكرهه منهم . وخرج صلى الله عليه وسلم من منزله ليلا مهاجرا ، والكفار محاصرون لمنزله، وجعل يحثو التراب على رؤوسهم ويقرأ هذه الآيات الكريمات : « يس والقرءان الحكيم انك لمن المرسلين على صراط مستقيم » الى قوله تعالى: «وجعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا فأغشيناهم فهم لا يبصرون » . فنجاه الله من كيدهم ونجا عليا معه بعد أن عرض نفسه لخطر الموت ، فكان علي بسبب ذلك أول فدائي فى الاسلام .

● **اول من استشهد فى الاسلام :**

قال ابن الاثير : أول من استشهد فى الاسلام هي سمية أم عمار بن ياسر الصحابي ، قتلها أبو جهل بحربته لما أعلنت اسلامها .

● **اول من شهر سيفا فى الاسلام :**

لما قيل للزبير بن العوام ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قتل خرج يسعى حاملا لسيفه شاهرا له وهو يقول : لا أترك مشركا الا قتلته ، فكان أول من شهر سيفه فى الاسلام وهو غلام لم يتجاوز احدى عشرة سنة .

● **أول سيف ملكه صلى الله عليه وسلم :**

كان للنبي صلى الله عليه وسلم تسعة سيوف من أشهرها : ماثور ، وهو أول سيف ملكه صلى الله عليه وسلم ، ورثه من أبيه .

● **أول غزاوته صلى الله عليه وسلم :**

أول غزاوته صلى الله عليه وسلم بعد هجرته الى المدينة هي غزوة ودان بفتح أوله وتشديد ثانيه ، وتسمى أيضا الابواء (قرية من أعمال المدينة) وقد كانت هذه الغزوة فى شهر صفر من السنة الثانية من الهجرة .

خرج صلى الله عليه وسلم فيها يريد قريشا وبني ضمرة من كنانة ، فوادعته بنو ضمرة ، ثم رجع الى المدينة ولم يلق كيدا .

أول سراياه صلى الله عليه وسلم :

سرية عبد الله بن جحش الى بطن نخلة ، هي أول سراياه صلى الله عليه وسلم وقد كانت هذه السرية اول غنيمة غنمها المسلمون .

أول من ضرب عنقه في الاسلام :

كان النضر بن الحرث ، (من اسارى بدر) أول من ضرب عنقه في الاسلام .

أول مسلم قتل ببدر :

كان مهجع مولى عمر بن الخطاب رضي الله عنه أول قتيل مسلم في غزوة بدر ، فقد رماه الكفار بسهم فقتل من حينه ، ثم رموا حارثة بن سراقة بسهم فاصابوا نحره فقتل .

أول قتيل مسلم باحد :

اول من قتل من المسلمين في غزوة احد هو عبد الله بن عمرو والد جابر رضي الله عنهما .

أول من عرف النبي (صلعم) بعد هزيمة احد :

ذكر ابن هشام في سيرته ، والخضري في محاضراته ما ملخصه :

بعد ما قتل ابن قمئة الليثي مصعب بن عمير من بني عبد الدار بن قصي في وقعة احد ، اذاع الكفار ان محمدا قد قتل ، فغادر بعض المسلمين صف القتال ظنا منهم ان الاشاعة صحيحة ، وأثناء ذلك ، اهتدى كعب بن مالك الانصاري الى معرفة الرسول صلى الله عليه وسلم فنادى بأعلى صوته : يا معشر المسلمين ابشروا هذا رسول الله ، فاشار اليه الرسول ان انصت . قال كعب : عرفت عينيه الشريفتين تزهران من تحت المغفر .

فكان كعب اول رجل انصاري عرف النبي صلى الله عليه وسلم في وقعة احد .

أول من اسلم :

فمن الرجال : ابو بكر الصديق رضي الله عنه

ومن النساء : خديجة بنت خويلد الاسدية القريشية . وهي ايضا اول امراة في الاسلام دافعت عن النبي صلى الله عليه وسلم بالنفس والنفيس ، كما انها اول امراة تزوجها النبي صلى الله عليه وسلم ولم يتزوج غيرها في حياتها .

ومن الصبيان : علي بن ابي طالب ، فقد آمن بالنبي صلى الله عليه وسلم وهو ابن عشر سنين ، وكان يخرج معه الى الصحراء ويصلي معه خفية ، ثم يعود الى مكة .

ومن الموالي : زيد بن حارثة بن شرحبيل مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهبته له زوجه خديجة فاعتقه وتبناه قبل ان يوحى اليه في شانه ، ولما نزلت الآية الكريمة : ادعوهم لآبائهم هو اقسط عند الله » . الآية 5 من الاحزاب قال : انا زيد بن حارثة .

وهو ايضا اول مسلم من الموالي صلى مع النبي صلى الله عليه وسلم بعد علي .

ومن العبيد : بلال الحبشي . وقد ثبت الله قلبه على الاسلام ، بالرغم عن ما ناله من الكفار من اذى شديد ، وتعذيب مبرح .

أول من اظهر الاسلام :

روى عن مجاهد : ان اول من اظهر الاسلام سبعة :

رسول الله (صلعم) وابو بكر ، وخباب ، وصهيب ، وبلال ، وعمار ، وسمية .

اما الرسول فحماه أبو طالب ، واما ابو بكر فحماه قومه ، واخذ الآخرون ، والبسوا دروع الحديد ، ثم اجلسوا في الشمس ، فبلغ منهم الجهد بحر الحديد والشمس ، وأتاهم ابو جهل يشتمهم ويوبخهم .

أول هجرة في الاسلام :

بعد ما عمدت كل قبيلة من قبائل المشركين

الى تعذيب من دان منها بالاسلام ، وتحمل اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من انواع التعذيب ما عجزوا عن مقاومته ، قال لهم النبي صلى الله عليه وسلم : لو خرجتم الى الحبشة ، فان بها ملكا لا يظلم احد عنده ، حتى يجعل لكم فرجا مما انتم فيه ، فخرجوا مهاجرين الى الحبشة .

● **اول من جهر بالقرءان بمكة :**

عبد الله بن مسعود هو اول مسلم جهر بالقرءان بمكة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال ابن اسحاق : اجتمع يوما أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا : والله ما سمعت قريش هذا القرءان يجهر لها به قط ، فمن رجل يسمعهموه ، فقال عبد الله بن مسعود : انا . قالوا: انا نخشاهم عليك ، فقال: دعوني فان الله سيمنعني ، قال : فغدا ابن مسعود حتى اتى المقام في الضحى وقريش في انديتها ، فقام عند المقام ثم قرأ : « بسم الله الرحمن الرحيم رافعا بها صوته : الرحمان علم القرءان » . قال : ثم استقبلها يقرؤها قال : وتاملوه فجعلوا يقولون : ماذا قال ابن ام عبد ، قالوا انه ليتلوا بعض ما جاء به محمد ، فقاموا فجعلوا يضربونه في وجهه ، وجعل يقرا حتى بلغ منها ما شاء الله ان يبلغ ، ثم انصرف الى اصحابه ، وقد اثروا في وجهه ، فقالوا هذا الذي خشينا عليك ، فقال : ما كان اعداء الله اهون علي منهم الآن .

● **أول من بايعته الرضوان :**

لما بلغ النبي صلى الله عليه وسلم ان عثمان رضي الله عنه قتل قال : لا نبرح حتى نناجز القوم ، فدعا الناس الى البيعة ، فكانت بيعة الرضوان تحت الشجرة ، وكان اول من بايع هو ابو سنان الاسدي . ثم اتى الرسول ان الذي ذكر من امر عثمان باطل .

● **اول وال على المدينة :**

لما خرج النبي (صلعم) الى ودان غازيا ، استعمل على المدينة سعد بن عبادة ، فكان سعد اول وال على المدينة بعد هجرته (صلعم) اليها .

● **اول فتنة وقعت في الاسلام :**

كان مقتل عثمان بن عفان في 18 ذي الحجة سنة 35 هـ ــ 20 ماي 656 اول فتنة وقعت في الاسلام .

● **اول غدر وقع في الاسلام :**

ذكر الخضري في محاضراته : ان مما عد من مساوىء عبد الملك بن مروان غدره بعمرو ابن سعيد وقتله اياه بعد أن أمنه ثم قال : وقالوا : ان هذا اول غدر حصل في الاسلام .

● **اول من انشا السجن :**

اول من انشا السجن قبل الاسلام النمرود ، وفي الاسلام علي بن أبي طالب ، وكان الناس قبل ذلك يسجنون في الكهوف تحت الارض .

مكناس : محمد العرائشي

قصة قصيرة



للاستاذة ليلى ابوزيد

هذه قصة « قصيرة جدا » ، وافتنا بها الكاتبة الاستاذة ليلى بوزيد ، تعالج موضوعا مطروحا في ساحة الفكر العربي الاسلامي المعاصر ، لصلته بالاغتراب الوجداني والاستلاب العقلي ، والذوبان في الشخصية الاجنبية ، وبهذا الاعتبار فهي قصة هادفة ودقيقة في تصوير حالة شاذة تختصر واقعا كاملا نعاني منه .

وبطبيعة الحال فان الاسماء في القصة ليست الا رموزا ، والعبرة بالمضمون الفكري الذي تنطوي عليه .

هذا النوع من القصص لا يشذ عن القاعدة التي اختارتها هذه المجلة لنفسها ، لانه يخدم قضية الفكر النظيف والادب الهادف والثقافة الملتزمة .

« دعوة الحق »

كانت تشتغل في مكتب السياحة المغربي في لندن . تستقبل الزوار وتزودهم بالكتيبات والخرائط والمعلومات ... وكنت المح منها دائما وجها لا ينم عن شيء ، كانه – لشدة جموده – منحوت في الخشب ، واراها وهي تجيب على اسئلة الناس بصلابة وصرامة فاتخيل انها جاءت الى هنا من احدى التكنات العسكرية .

كانت تتحاشى المغاربة وتتقرب الى الفرنسيين ويهود المغرب الموجودين في لندن . حتى زملاؤها في العمل كان يميز الجفاف والتعالي علاقتها بهم . حتى عطلتها السنوية كانت تقضيها في فرنسا . حركاتها وحديثها كانت فيها آثار من المزاج والطبع الفرنسيين وكانت تنطق الانجليزية بلكنة فرنسية والفرنسية بلهجة بروفانسية ، وتفهم قليلا اللغة

العربية ولكنها تخجل ان تتكلم بها ، وتتوفر على معلومات جيدة عن المغرب ولا تحب العرب كثيرا ، فجعلني ذلك استنتج انها ربما تنتسب الى فريق المعمرين الذين ملكتهم فرنسا ايام الاستعمار وباثمان زهيدة اراضي زراعية نزعتها من الفلاحين المغاربة ، والذين ناصبوا المغرب العداء بعد ما استرجعت حكومته منهم فى السنين الاخيرة تلك الاراضي واعادتها للفلاحين .

وكاد فضولي يقف عند هذا الحد لولا ان اكتشافي اسمها هدم كل ما وصلت اليه من نتائج ، فقد كانت تدعى ماريا الدكالي .

انها مغربية لا شك فى ذلك .

* * *

وكانت تشتغل معها فى المكتب عربية اخرى من فلسطين دفعتني للتعرف عليها تلك العرى الخفية والغريبة التي تؤلف بين العرب وتكاد تصل الى حد القرابة ، والتي سألوني عن سرها فلم استطع شرحه لانني لم اجد عند الانجليز ما اقيسه بالقومية العربية:

لا المذهب الانجليكاني ، فما هو الا علاقة دينية.

ولا الروابط الانجلوساكسونية ، لانها لا تعدو ان تكون وحدة لغوية .

ولا الكومنولث ، فهو قائم على مبادلات اقتصادية وتجارية . فكنت اخرج من حواري موقنة ان المسألة تتعدى فهم الانجليز وانهم لن يدركوا ابدا السبب فى ان تكون فلسطين قضية العرب كلهم .

المهم انني كنت ازور صديقتي مرارا وانتهز الفرص لسؤالها عن زميلتها المغربية .

وعرفت منها ان ماريا ولدت وعاشت فى المغرب وان اباها غني من اغنياء الدار البيضاء وامها من ريف احدى المقاطعات الفرنسية .

قالت صديقتي :

— ماريا حالة غريبة

— بل يوجد منها الكثير

— لماذا ؟

— لان فئة واسعة من المثقفين والعمال المغاربة يعيشون فى فرنسا

— ويعودون منها بزوجات ؟

— المثقفون .

— والعمال ؟

— بالعملة الصعبة

— والزوجة ؟

— يبحثون عنها فى قرى المغرب النائية ورؤوس جباله .

— لا اتصور ان يعيش المغربي عمره بين المغاربة ويجهل لغتهم ، ولا يعلق بشخصيته اثر من طبعهم ومزاجهم وعقليتهم واهوائهم ..

— لانه يعيش داخل المغرب فى بيئة فرنسية مغلقة بأحكام . ما لا افهمه انا ان تتزوج الفرنسية من المغرب وتقضي بقية عمرها فيه ولا تتعلم لغته ، بينما اى مهاجر الى فرنسا لا يمر عليه الحول الا وقد بدا يتكلم الفرنسية .

— عقلية استعمارية ستزول مع السنين .

— ويبقى ان والد ماريا اعطى البلاد مواطنة لا تعجب بها كثيرا .

— لا غرابة ان تميل كفة الام ، فعلاقتهما علاقة لحم ودم .. على ان الوالد عارم الشعور بوطنيته واصله .

— كيف ؟

— لم يرض لماريا ان تتزوج انجليزيا تعرفت عليه خلال اقامة دراسية قصيرة فى بريطانيا واوقع ذلك فى نفسه الكآبة وخيب امله وجعله يقطع علاقته بها نهائيا.

— وبقية الاسرة ؟

— امها فى المغرب على اتصال بها واخوها المقيم فى فرنسا تقضي عنده عطلتها السنوية .

* * *

وحين زرت بعد ايام صديقتي فى العمل سمعتهم يطلبون مسز اوغرايدي . وكانت مسز اوغرايدي هذه هي ماريا المغربية !! ..

أول رسالة جامعية في المغرب تعالج
حقنا الشرعي في الدفاع عن وحدتنا الترابية

● نوقشت مؤخرا بكلية الحقوق بالرباط رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا فى القانون العام فى موضوع (حق الدفاع الشرعي فى العلاقات الدولية المعاصرة) تقدم بها السيد عبد الواحد الناصر تحت اشراف الدكتور محمود خيري بنونة وعضوية كل من الاستاذين محمد بنونة ومحمد بناني ، وقد ركزت الرسالة بالخصوص على موضوع الصحراء المغربية المسترجعة وعالجت حق المغرب فى الدفاع الشرعي عن سيادته الوطنية .

وقد خصص الباحث فصلا خاصا لممارسة المغرب لحق الدفاع الشرعي وقد قسمه الى ثلاثة اقسام :

الاول : يتعلق بممارسة المغرب لهذا الحق فى قضية الصحراء .

والثاني: يتعلق بمشاركة المغرب فى حرب أكتوبر سنة 1973 ضد اسرائيل .

والثالث : يتعلق بالتدخل المغربي فى حرب شابا سنة 1977 .

فيما يخص قضية الصحراء عرض الباحث اسانيد السيادة المغربية على الصحراء وبحث المركز القانوني للاعمال العدوانية المسلحة التي قامت بها القوات التابعة للجزائر ضد المغرب قبل وبعد اتفاقية مدريد . وبين أن هذه الاعمال تدخل فى نطاق اعمال العدوان المسلح طبقا لقرار تعريف العدوان الصادر عن الجمعية العامة للامم المتحدة عام 1974 لكونها تضمنت احتلال الجزائر لاراضي المغرب وموريطانيا باستخدام عناصر من قواتها المسلحة النظامية وعصابات وجماعات مسلحة تابعة لها .

كما أن الاعمال التي تقوم بها هذه القوات على قدر كبير من الخطورة اذ تشارك فيها أعداد كبيرة من الافراد والمعدات بما فى ذلك المعدات

الثقيلة . كل ذلك ـ يقول الباحث ـ استوجب من المغرب أن يرسل قواته المسلحة الى الصحراء فى نطاق الممارسة المشروعة لحق الدفاع الشرعي وذلك لاسترداد المناطق التي احتلتها القوات التابعة للجزائر فى الصحراء وشمال موريطانيا ورد الاعمال العدوانية التي تقوم بها هذه القوات .

وقد مارس المغرب هذا الحق ويمارسه فى نطاق القواعد التي تنظمه من حيث استخدام هذا الحق لرد اعمال العدوان المسلح والالتزام بقواعد قانون الحرب ومبادئه واستخدام القوة المسلحة بالقدر والنوع اللازمين لرد الاعتداءات التي يتعرض لها ومنعها من تحقيق اهدافها .

وبعد ان بين أن تصعيد الجزائر لحربها العدوانية ضد المغرب وموريطانيا ادى الى ابرام معاهدة الدفاع المشترك بين البلدين ، ناقش الحجج التي تبرر بها الحكومة الجزائرية عدوانها وهي حرصها على تطبيق قرارات الامم المتحدة بشان الصحراء الغربية وزعمها أنها تساند حركة تحرير بمفهوم المادة السابعة من قرار تعريف العدوان وادعاؤها بانها طرف معني بمستقبل الاقليم ومصيره ، وان استرجاع المغرب لصحرائه فيه اخلال بمبدا عدم المساس بالحدود الموروثة وبتوازن القوى فى المنطقة وتهديد الثورة الجزائرية وحدودها الوطنية كما ناقش الباحث تمسك الجزائر بمشكل « اللاجئين » الصحراويين .

وقد انتهى الباحث من هذه المناقشة الى ان الحجج التي تستند اليها الحكومة الجزائرية لا تبرر عدوانها المسلح على المغرب وموريطانيا، اذ انها مخالفة صريحة لاحكام ميثاق الامم المتحدة المتعلقة بالتسوية السليمة للنزاعات الدولية واختصاص منظمة الامم المتحدة بالمحافظة على السلم والامن الدولي .

ويقول الباحث ان هذا عمل غير مشروع طبقا للمادة الثانية (الفقرة الرابعة) من الميثاق التي تحرم استخدام القوة أو التهديد بها ضد السلامة الاقليمية والاستقلال السياسي لاية دولة او باية طريقة تتنافى مع ميثاق الامم المتحدة . كما انه يتعارض مع التزامات الحكومة الجزائرية بعدم التدخل فى الشؤون الداخلية للدول الاخرى طبقا لاحكام مواثيق الامم المتحدة وجامعة الدول العربية ومنظمة الوحدة الافريقية ، ولذلك فهو عدوان مسلح يجيز للمغرب وموريطانيا ممارسة حق الدفاع الشرعي الفردي والجماعي لرده ومنعه من تحقيق اهدافه .

هذا وقد نال الباحث ميزة حسن بعد مناقشة علمية مثمرة .

ومما يذكر ان السيد عبد الواحد الناصر سبق له ان نشر بحوثا اسلامية قيمة على صفحات مجلتنا « دعوة الحق » ●

● من نشاط وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية

الاجتماع الدوري لنظار أوقاف المملكة

● انعقد بمقر وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية اجتماع لنظار اوقاف المملكة انكب على دراسة مسائل تتصل بالتنظيم الاداري وتوسيع نطاق عمل نظارات الاوقاف وتعزيز سبل العمل الاسلامي الكبير الذي تضطلع به الوزارة ، على ضوء التصميم الثلاثي الانتقالي الذي أعلن عنه جلالة الملك حفظه الله .

ترأس الاجتماع السيد الوزير الدكتور احمد رمزي بحضور السيد الكاتب العام للوزارة والسيد مدير الشؤون الاسلامية ورؤساء الاقسام والمصالح المركزية بالوزارة .

وبالمناسبة رفع السيد وزير الاوقاف والشؤون الاسلامية بالاصالة عن نفسه ونيابة عن السادة نظار الاوقاف البرقية التالية الى جلالة الملك نصره الله :

« حضرة صاحب الجلالة أمير المؤمنين جلالة الملك الحسن الثاني أمد الله في عمركم وحفظكم بما حفظ به الذكر الحكيم .

وبعد ، فاصالة عن نفسي ونيابة عن مسؤولي هذه الوزارة ونظار أوقاف المملكة في اجتماعهم الدوري ، والذي خص جانبه الاهم بالتصميم الثلاثي الانتقالي ، يشرفني أن أرفع الى مقامكم العالي بالله آيات ولائنا واخلاصنا وتشبثنا بعرشكم المجيد مؤيدين ما جاء في خطاب جلالتكم الى شعبكم الوفي ورسالتكم الشريفة الى البرلمان معاهدينكم بالمضي وراءكم في كل خطوة تخطونها في مسيرة هذا الشعب نحو السلم والنماء والرخاء .

حفظ الله جلالتكم ذخرا للبلاد وأقر عينكم بسمو ولي عهدكم السعيد الامير سيدي محمد وصنوه المولى الرشيد وباقي افراد الاسرة الكريمة انه سميع مجيب . والسلام على مقامكم الاسمى ورحمة الله » .

زيارة وزير الحج والاوقاف السعودي للمغرب

● زار المغرب مؤخرا وزير الحج والاوقاف في حكومة المملكة العربية السعودية الشيخ عبد الوهاب احمد عبد الواسع رفقة وفد سعودي هام . وذلك بدعوة من حكومة المملكة المغربية في اطار الجهود المبذولة لتطوير العلاقات الاخوية بين المملكتين الشقيقتين . وكانت مناسبة طيبة لتدارس عدة قضايا اسلامية بين الدكتور **أحمد رمزي** وزير الاوقاف والشؤون الاسلامية ونظيره السعودي .



وهكذا عقدت جلسات عمل بمقر الوزارة بين السيدين الوزيرين ومساعديهما الاقربين اسفرت عن اطيب النتائج التي تعود بالنفع على حاضر ومستقبل الدعوة الاسلامية في المغرب والسعودية والعالم الاسلامي قاطبة .

وتم بمقر وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية التوقيع على بروتكول تنفيذي للتعاون بين المملكة المغربية والمملكة العربية السعودية يتم بموجبه منح هبة من المملكة العربية السعودية الى وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية بالمملكة المغربية قدرها ثلاثون مليون ريال سعودي (حوالي اربعة ملايير سنتيم) تخصص لانجاز مشاريع عمرانية لفائدة هذه الوزارة.

● من نشاط وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية

الاسلامية والسيد عبد الوهاب احمد عبد الواسع وزير الحج والاوقاف بالمملكة العربية السعودية .

حضر حفلة التوقيع من الجانب المغربي الكاتب العام للوزارة ، وعن الجانب السعودي السيد حسام خشوكجي مدير ديوان وزير الحج السعودي والسيد فاروق لحمد زكي المدير العام للتنسيق بوزارة الحج السعودية والسيد عمر جعفري مدير العلاقات الخارجية بنفس الوزارة والشيخ فخري شيخ الارض سفير المملكة العربية السعودية بالرباط .

كما اجرى الوزير السعودي خلال مقامه بالمغرب ثلاث جلسات عمل مع المسؤولين المغاربة من بينهم الوزير الاول السيد احمد عصمان .

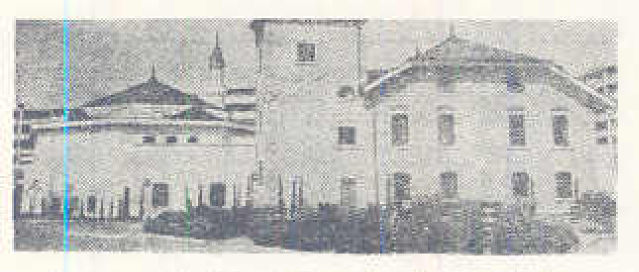
وقد أعرب الوزير السعودي قبل ان يغادر المطار عن اعجابه الشديد بالتقدم الذي حققه المغرب تحت القيادة الرشيدة لصاحب الجلالة الملك الحسن الثاني وذلك سواء فى الميدان الاقتصادي او الاجتماعي .

مشاركة المغرب فى حفل تدشين مسجد جنيف

● مثل الدكتور احمد رمزي وزير الاوقاف والشؤون الاسلامية المغرب فى حفل تدشين مسجد جنيف الذي ترأسه جلالة الملك خالد بن عبد العزيز عاهل المملكة العربية السعودية .

ومعلوم ان المملكة المغربية ساهمت بحظ وافر فى تشييد هذا المسجد الذي يضم عدة مرافق حيوية كقاعة للمحاضرات ومكتبة عامة وقسم لتعليم اللغة العربية للمسلمين غير العرب .

وقد قام الصناع المغاربة بصنع محراب وانجاز الزخاريف والنقوش التي تخلد جمال وروعة الحضارة



المغربية الاسلامية ، الامر الذي كان له صدى طيب فى أوساط الشخصيات الاسلامية والاجنبية التي حضرت الحفل .

كما اهدى السيد وزير الاوقاف والشؤون الاسلامية الى مكتبة المسجد مجموعة قيمة من الكتب الاسلامية التي تصدرها هذه الوزارة فى اطار احياء التراث الاسلامي . وتعتبر هذه الكتب النواة الاولى لمكتبة مسجد جنيف .

وزير الاوقاف والشؤون الاسلامية
يستقبل وفدين عن مسلمي الفلبين وقطاني

● استقبل السيد الدكتور احمد رمزي وزير الاوقاف والشؤون الاسلامية مؤخرا بمقر الوزارة وفدين عن مسلمي الفلبين وقطاني اللذين قدما لسيادته عروضا دقيقة عن الظروف التي يعيشها اخواننا فى العقيدة فى تلك البقاع النائية وما يستهدفون له من حرب ابادة لا لشيء الا لتمسكهم بدينهم الحنيف وتعلقهم بقوميتهم وتطلعهم الى الحرية والسلام .

وقد وقع هذا البروتوكول التنفيذي كل من الدكتور احمد رمزي وزير الاوقاف والشؤون

المغـــــــرب :

● استقبل جلالة الملك الحسن الثاني نصره الله بالقصر الملكي بفاس وفدا عن رابطة علمــاء المغرب على راسه العلامة الاستاذ عبد الله كنون . حيــث استاذن جلالته فى اصدار امره المطاع لانشاء كليــة للشريعة باكادير على مساحة ارضية تبرع بها احــد المحسنين بالمدينة .

وقد وافق العاهل الكريم على ذلــك منوهــا بالسيد المحسن الكبير ومهيبا بالســادة العلمــاء للاستمرار فى اداء مهمتهم المقدسة فى المغـــرب الجديـــد .

وقد خص جلالة العاهل هذا المشروع العلمي الكبير باعتماد مهم من ماله الخاص . حفظـــه الله للاسلام والمسلمين .

كما اصدر سيدنا المنصور بالله امره الشريف بالموافقة على بناء معهد عال لتكوين الدعاة بمدينـــة فاس بمساعدة ودعم مالي مهم من رابطـــة العالـــم العالم الاسلامي بمكة المكرمة .

وقد سبق لوفد من العلماء المغاربـــة ان زار الديار المقدسة خلال الفترة الاخيرة بدعوة من علماء المملكة العربية السعودية وجرت بين ممثلي الهياتين المغربية والسعودية محادثات هامة تقرر خلالها بناء معهد عال بالمغرب لاعداد وتكوين الدعاة الشباب على اسس علميـــة مدققـــة .

● اصدرت لجنة نشر تراث المرحوم الاستاذ علال الفاسي كتابا جديدا بعنوان «فى المذاهب الاقتصادية» يقع فى حوالي مائة صفحة وبتقديم الاستاذ عبـــد الكريم غـــلاب .

والكتاب دراسة موضوعية متزنـــة للمذاهـــب الاقتصادية على ضوء المنهج الاسلامي الصحيح .

● تحت عنوان « خطب الجمعة لعهد الاستقلال » اصدر الاستاذ محمد الطنجي كتابا يتضمن مجموعـــة جديدة من خطب الجمعة التي انشاها اثناء اشرافـــه على قسم الوعـــظ بوزارة الاوقـــاف والشـــؤون الاسلاميـــة .

وكان الاستاذ محمد الطنجي قد اصدر قبـــل الاستقلال مجموعة اولى من خطب الجمعة ونفذت من زمـــــان .

يقع الكتاب الجديد فى اكثر من 200 صفحة .

● عن مطابع « دار الكتاب » صدر كتاب فى الادب الشعبي المغربي بعنوان : « امالو » وهو يتضمـــن نماذج نثرية وشعرية فى الادب الامازيغي المغربي .

● انعقدت بالرباط مؤخـــرا اشغـــال المؤتمـــر الاستثنائي الثاني للجان الوطنية العربيـــة للتربيـــة والثقافة والعلوم بمشاركة اعضاء الوفـــود العربيـــة وممثل المدير العام لمنظمة اليونسكو وممثل المدير العام للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ومدير مركز الاعلام للامم المتحدة والممثل المقيم لبرنامـــج الامم المتحدة للتنمية بالمغرب وملاحظين من فرنسا والاتحاد السوفياتي والمنظمة العالمية للصحة .

● تنظم شعبة الفلسفة وعلم الاجتمـــاع وعلـــم النفس بكلية الآداب بالرباط بتعاون مـــع شعبتـــي التاريخ واللغة العربية وآدابها ، ندوة عن ابن خلدون بمناسبة مرور 6 قرون على تأليـــف « المقدمـــة » يتناول فيها بالدراسة مختلف الموضوعات المرتبطـــة بالمقدمة ، وبالاخص منها المسائل التالية :

1) تقييم لما الف وكتب حول « المقدمة » .
2) ابراز الجانب المغربي فى « المقدمة » .
3) مدى اصالة المقدمة داخل التراث العربي
4) آثار المقدمـــة فى كتابـــات المؤلفيـــن اللاحقيـــن .

وتنعقد النـــدوة ايـــام 14 و 15 و 16 و 17 فبراير 1979 بكلية الآداب والعلوم الانسانية « جامعة محمد الخامس » فى الرباط .

وآخر أجل لتسجيل المشاركين فى الندوة هو 31 اكتوبر 1978 ويجب على المشارك ان يبعث الى

لجنة الندوة بملخص بحثه في صفحتين على الاكثر قبل 30 نونبر 1978 .

● صدرت مجلة طبية جديدة في المغرب بعنوان : « المجلة المغربية للطب والصحة » عن كلية الطب بالدار البيضاء .

● القى الاستاذ أحمد الاخضر غزال مدير معهد التعريب مؤخرا عرضا وافيا لاصلاح الطباعة العربية وادخال اللغة العربية في وسائل الاعلاميات ومعالجة المصطلحات العلمية والتقنية بهذه الوسائل .

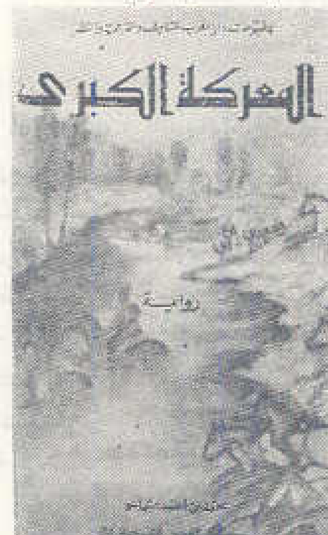
● في نطاق نشاط المعهد الملكي لتكوين الاطر القى الدكتور رشدي فكار محاضرة تحت عنوان : « تنشئة الشباب في مجتمعاتنا الفتية » .

● صدر كتابان جديدان للاستاذ عبد الكريم غلاب، الاول بعنوان « الفكر العربي بين الاستلاب وتاكيد الذات » ، والثاني مجموعة قصص قصيرة بعنوان « واخرجها من الجنة » .
صدر الكتابان عن الدار العربية للكتاب بليبيا .

● الجزء الثالث من سلسلة شخصيات مغربية التي يصدرها الاستاذ عبد الله الجراري صدر عن « شيخ الجماعة العلامة محمد المكي البطاوري الرباطي » .
الجزءان : الاول والثاني صدرا عن ابي شعيب الدكالي ومحمد المدني بن الحسني .

● الدكتور ابراهيم حركات صدر له الجزء الثاني من كتاب « المغرب عبر التاريخ » وهو عرض لاحداث المغرب وتطوراته في الميادين السياسية والدينية والاجتماعية والعمرانية والفكرية منذ ما قبل الاسلام الى العصر الحاضر .
الجزء الثاني يبدأ من فترة المرينيين الى نهاية السعديين .
يقع الكتاب في نحو خمسمائة صفحة .

● « المدخل الى دراسة التاريخ والادب العربيين » كتاب جديد للدكتور نجيب محمد البهبيتي ، صدر مؤخرا عن دار الثقافة بالدار البيضاء . ويقع في 660 صفحة من الحجم الكبير . ويمتاز بالمقدمة الطويلة التي استغرقت 63 صفحة وبالبنط الصغير . اي ما يساوي مائة صفحة تقريبا من البنط العادي . وهي تتضمن قصة العقل العربي الحديث من بداية النهضة الى يومنا هذا مع استعراض واف لجميع التطورات التي مرت بها الحركة الفكرية والادبية في المشرق العربي .



● مساهمة من دار المغرب للتاليف والترجمة والنشر في الاحتفال بالذكرى 400 لمعركة وادي المخازن ، أصدرت مسرحية تعالج الموضوع بعنوان : « المعركة الكبرى » للاديب الاستاذ محمد بن أحمد اشماعو .

● الطبعة الثانية من كتاب « زعيم الريف محمد عبد الكريم الخطابي » لمؤلفه الاستاذ محمد العلمي صدرت مؤخرا عن « المنشورات الاطلسية » .
كما صدر للمؤلف كتاب عن الرئيس اليوغسلافي « تيتو » .

● « حصن السلام بين يدي أولاد مولاي عبد السلام » كتاب قيم وفريد في بابه صدر لمؤلفه الاستاذ الطاهر عبد السلام اللهيوي بتقديم الاستاذ العلامة عبد الله كنون .

يقع الكتاب في 600 صفحة من القطع الكبير وصدر عن دار الثقافة بالدار البيضاء ، ويعتبر أول دراسة شاملة تتناول حياة الولي الصالح مولاي عبد السلام بن المشيش من مختلف الجوانب .

● ظهر اخيرا العدد – 27 – من مجلة البحث العلمي التي يصدرها المعهد الجامعي للبحث العلمي.

من بين الدراسات التي اشتمل عليها العدد دراسة حول « خصائص الحضارة الاسلامية » ودراسة اخرى حول « أصول المغاربة » .

كما تضمن قائمة بمواضيع دبلوم الدراسات العليا واطروحات الدكتوراه التي نوقشت منذ تأسيس كلية الاداب .

● صدر عن المعهد الجامعي للبحث العلمي كتاب جديد يحمل عنوان « حوليات المثاني لاهل القرن الحادي عشر والثاني » لابن عبد الله محمد بن الطيب القادري الحسن وهو من تحقيق المستشرق الامريكي نورمان سيكر وتقديم الدكتور عبد الهادي التازي ..

والكتاب عبارة عن نسخة فريدة وجدت ضمن مجموعة خزانة اليودليان التابعة لجامعة اكسفورد ،،، تختلف عن النسخة الموجودة في الخزانة العامة .

● نوقشت بدار الحديث الحسنية رسالة الدبلوم في العلوم الاسلامية ، المقدمة من السيد أحمد الخطابي في موضوع : « ايضاح المسالك الى قواعد الامام مالك » . (للامام الونشريسي) (دراسة وتحقيق) .

وتكونت اللجنة من السادة الاساتذة :

1) السيد الاستاذ العلامة مولاي مصطفى العلوي ... مشرفا

2) السيد الاستاذ الدكتور أحمد الخمليشي ... عضوا

3) السيد الاستاذ العلامة عمر المعداني ... عضوا .

● كما نوقشت بدار الحديث الحسنية رسالة دبلوم الدراسات العليا في العلوم الاسلامية ، قدمها السيد محمد الحبيب التجكاني في موضوع : « مسائل أبي الوليد بن رشد » .

وكانت لجنة المناقشة مكونة من السيد عبد العزيز بن عبد الله بصفته مشرفا ، والسيدين أحمد الخمليشي ، وعبد الله الداودي بصفتهما عضوين ..



● اصدرت وزارة البريد بالرباط طابعين بريديين من فئة 05و010 يوم 29 مايو 1978 خصص ريعهما لمساعدة الثورة الفلسطينية .

سبق للمغرب أن أصدر طابعا آخر في هذا الموضوع .

● يعكف مؤرخ المملكة ومحافظ ضريح محمد الخامس ومدير الوثائق الملكية الاستاذ السيد عبد الوهاب بنمنصور على انجاز الجزء الاول من موسوعته الجديدة : (أعلام المغرب العربي) .

الكتاب الجديد سيظهر قريبا جدا .

● حضر الاستاذ أبو بكر القادري مؤتمر الطلاب المسلمين في الولايات المتحدة الامريكية بمدينة بلومينكطون بولاية انديانا .

● (هاتف من الصحراء) رواية تاريخية كتبها الاستاذ عبد الحق حموش .

والرواية الجديدة خطوة جريئة وهامة فى ميدان المسرح المغربي خصوصا وان مؤلفها اعطى تجربة سابقة فىهذا الميدان عن ابن تاشفين ..
تقع الرواية فى حوالي مائة صفحة بالمكررة .

● فى اطار النشاط الثقافي الذي تقوم به المندوبية الاقليمية للشبيبة والرياضة باسفي القى الدكتور محمد عزيز الحبابي محاضرة تحت عنوان : « الانسان فى الاسلام » .

وقد استهل الاستاذ المحاضر محاضرته بعرض نظريات لكبار الفلاسفة فى الموضوع .

ثم تطرق بعدها الى تعريف الاسلام ومقارنته ببعض الديانات الاخرى مستشهدا بآيات قرءانية ، واحاديث نبوية شريفة ، وجاعلا محور حديثه : (المسلم من سلم الناس من يده ولسانه) و (الخدمة على العيال عبادة) .

واختتم الدكتور الحبابي محاضرته بالحديث عن المساواة بين الرجل والمرأة فى الاسلام .

موريطانيا :

● اعلن المكتب السياسي الوطني ـ الهيئة التنفيذية لحزب الشعب الموريتاني ـ عن تشكيل لجنة لدراسة اجراءات تطبيق الشريعة الاسلامية فى كل المجالات فى موريطانيا .

وذكر البيان أن قرار تطبيق الشريعة الاسلامية هو تتويج لتطوير الجمهورية الموريطانية الاسلامية فى سعيها الدائب لاسترداد رسالتها وشخصيتها .
واضاف البيان : « ولا بد من النظر الى هذا القرار ايضا على اعتبار أنه عمل يدخل فى اطار السعي الى تحقيق التحرر الفعلي لكافة الطبقات الاجتماعية بمقتضى الفهم السليم لتعاليم الدين الاسلامي » .

واشار البيان الى ان هذه التعاليم تدعو الى التحرر الشامل للمجتمع كله وللفرد من العوائق المتمثلة فى العداء والالحاد والتبعية الاستعمارية .

وتضم لجنة العمل المكلفة ببحث الاجراءات العلمية الواجب اتخاذها لتطبيق الشريعة الاسلامية، عشرة اعضاء ويراسها السيد عبد الله ولد بوي وزير اجهزة الحزب .

تونس :

● افتتحت مؤخرا بتونس اشغال مناظرة حول البرامج والطرق التعليمية للتاريخ فى جامعات المغرب العربي .

وتهدف هذه المناظرة التي شارك فيها عدد من الاساتذة المغاربة والجزائريين والتونسيين الى مطابقة تدريس مادة التاريخ مع واقع المغرب العربي وذلك بانشاء مرجع يتضمن اسماء مؤرخي المغرب العربي .

السعودية :

● تقوم رابطة العالم الاسلامي هذه الايام باتخاذ الخطوات الهادفة الى وضع الترتيبات الخاصة بتنفيذ احصاء الجوامع فى العالم الاسلامي فى القريب العاجل .

وقد بدات عملية الحصر هذه فى كل من المملكة السعودية ومصر والسودان والاردن والمغرب ويشارك الرابطة فى هذا المشروع بعض الهيئات والمؤسسات والمراكز الاسلامية والمنظمات فى الدول العربية والاسلامية الشقيقة .

● من المقرر ان ينعقد بمكة المكرمة اجتماع عام لمجمع الفقه الاسلامي يوم 10 شعبان 1398 .

● بحثت الدورة الثالثة للجنة الاقتصادية والثقافية والاجتماعية للمؤتمر الاسلامي انشاء منظمة اسلامية عالمية للهلال الاحمر كما بحثت عددا من الموضوعات الاخرى من بينها اسلوب الاحتفال بمطلع القرن الخامس عشر الهجري وتبسيط البنوك الاسلامية بما يحقق ايجاد الحلول المناسبة للمشكلات الاقتصادية في الدول الاسلامية .

مصــــــر :

● اول رسالة جامعية تتناول احكام الفقه الاسلامي والشريعة بالنسبة لفن الموسيقى والغناء : نالتها بها سهير عبد العظيم محمد درجة دكتوراه من كلية التربية الموسيقية بجامعة حلوان ، بعد مناقشة طالت 3 ساعات واشترك فيها : د. ابراهيم نجا وكيل جامعة الازهر ؛ ود. محمد كمال جعفر رئيس قسم الفلسفة الاسلامية بكلية دار العلوم بجامعة القاهرة ، ود. بثينة فريد الوكيلة السابقة لكلية التربية الموسيقية . ود. عطيات عبد الخالق رئيسة قسم الموسيقى العربية بجامعة حلوان .

● « صنع الله » الكتاب رقم 45 للمؤلف الاسلامي عبد الرزاق نوفل واول كتاب له يعتمد على الصور لتأكيد رسالة الاسلام وصدق نبوة سيدنا محمد (ص) .. فالكتاب يحوي صورا عديدة أطلق عليها المؤلف اسم « آيات » .. وهي عن نخلة تكتب اسم الله عاما واسم محمد عاما آخر .. وخلية الدم أثناء تكوينها تأخذ اسم الله باللغة العربية .

● (فن الاعلان) اول كتاب باللغة العربية في الموضوع صدر للدكتور سمير حسين أستاذ الاعلان والعلاقات العامة بجامعة القاهرة وجامعات المملكة العربية السعودية .

يقع الكتاب في حوالي 150 صحيفة ويضم خمسة فصول .

● نوقشت بدار العلوم بالقاهرة رسالة الماجستير المقدمة من محمد عبد الله النقيرة بعنوان : « انتشار الاسلام في شرقي افريقية .. ومناهضة الغرب له » .

● حصل الاستاذ محمد عبد الرحمن حامد القولي المستشار بادارة التربية بالمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم على درجة الدكتوراه مع مرتبة الشرف الاولى في الرسالة التي تقدم بها عن « الشعر الفكري والفلسفي في العصر العباسي » .

● اتمت المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم مرحلة كبيرة في مشروعات المعاجم التي خططت لها والتي تضم اللغات الافريقية الكبرى واللغات الكبرى في العالم الاسلامي .

وتشمل المرحلة الاولى في خطط المعاجم ثلاثة معاجم :

— اللغة العربية مع لغة الهوسا التي تعد من اهم اللغات في غرب افريقيا ، وهو اول معجم يضم اللغتين .

— اللغة العربية مع اللغة النوبية وهو ايضا اول معجم يضم اللغتين .

— اللغة العربية مع اللغة الاسبانية .

الســــودان :

● اعد خريجو « معهد الخرطوم لاعداد متخصصين في تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها » بحوثا تتناول المجالات المختلفة وثيقة الصلة بتعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها .

تناولت البحوث دراسات معجمية عربية ودراسات معجمية تقابلية ودراسات نحوية عربية ودراسات صوتية عربية ودراسات صوتية تقابلية ، ومجموعة كبيرة من الدراسات التربوية والنفسية المرتبطة بتعليم اللغة العربية في السودان بصفة خاصة وفي افريقيا بصفة عامة .

شارك فى اعداد هذه البحوث طلاب المعهد الذين يمثلون أكثر من عشر دول اسلامية فى افريقيا وآسيا الى جانب الدارسين العرب .

العـــــراق :

● نقلت مجلة « آفاق عربية » العراقية العدد 9 لهذه السنة — وثيقة سرية هامة عن الانقلاب الذي اطاح بالدولة العثمانية وهي الرسالة الشخصية التي ارسلها السفير البريطاني فى القسطنطينية عام 1910 الى وزير خارجية بريطانيا حول الانقلاب ، حيث تبين بالوقائع والشواهد دور اليهود والماسونيين فى التخطيط للانقلاب ودفعه لتحقيق أهدافهم فى فلسطين . وتستند هذه الرسالة على معلومات ما كان لغير جهاز السفارة البريطانية السري ان يحصل على بعضها . وتبين ان كل محفل ماسوني انما يخدم مصالح الدولة التي ينتمي اليها وترعاه وان ادعى انه بعيد عن السياسة .

وهكذا فان الرسالة تبين أن الانقلاب قام به ضباط اتراك فى الظاهر ، وأما فى الواقع فان المخطط له انما هم اليهود والماسونيون ، وكان هدف اليهود المباشر من الانقلاب هو السيطرة على الدولة العثمانية اقتصاديا ، وهدفهم البعيد هو ان يكون لهم فى الدولة العثمانية مركز نفوذ يستخدمونه لتحقيق انشاء هدفهم الاعلى وهو انشاء دولة يهودية فى فلسطين او فى العراق .

ترجم الرسالة لمجلة — آفاق عربية — التي تصدر فى بغداد الدكتور محمد توفيق حسين .

● (صحافة الملحق وتطور الصحافة العربية) كتاب جديد وقد يكون الاول من نوعه صدر بالعراق للاستاذ سعد الدين خضر ..

والكتاب يهم ثلاثة أقطار هي : العراق ، مصر ، لبنان .

الامارات العربية :

● ظهر فى سوق الكتاب بدولة الامارات العربية المتحدة نسخة مطبوعة من مصحف مخطوط يعرف باسم « مخطوط ابن البواب » وهو من اقدم المصاحف المخطوطة على الورق بخط التدوين ، ويرجع تاريخ كتابة هذا المخطوط الى العام الف ميلادي .

الاردن :

● قرر المكتب التنفيذي لمجمع اللغة العربية الاردني منح عضوية الشرف فى المجمع لاحد عشر اديبا عربيا وأجنبيا .

الباكستان :

● احتفلت الباكستان مؤخرا بذكرى مرور 700 عام على وفاة الشاعر والعلامة الاسلامي الشهير جلال الدين الرومي .

وقد ترأس الرئيس الباكستاني مؤتمرا ثقافيا ضخما اثناء الاحتفالات فى مدينة بيشاور حول جلال الدين الرومي ومكانته فى تاريخ الثقافة الانسانية .

وقد شاركت فى المؤتمر وفود من باكستان وافغانستان ومن الدول العربية والاسلامية .

الهند :

● اصدرت سفارة المغرب بالهند والنيبال العدد الثالث من مجلة (مغرب اليوم) الناطقة باللغة الانجليزية التي دابت على اصدارها ابتداء من السنة الماضية .

ويشتمل هذا العدد على 136 صفحة وتعالج موضوعات سياسية واقتصادية وأجتماعية تبرز نضال الشعب المغربي فى استرجاع وحدته الترابية.

اسبانيا :

● صدر للكاتب الاسباني كريستبال كوفاس غرسية الاستاذ بجامعة مدريد المركزية اخيرا ، كتاب بعنوان : « الفكر الاسلامي » .
El Pensamiento del Islam.

اليونان :

● — ماريانا — .. الابنة الكبرى لرجل الاعمال اليوناني جون لا تسيس تقوم حاليا بترجمة القرءان الكريم الى اللغة اليونانية .

ماريانا حاصلة على باكالوريوس الاولى من معهد الاقتصاد بلندن ، وهي مديرة مؤسسة لاتسيس للتجارة ... وقد تبرعت الفتاة اليونانية بملغ 100 الف جنيه لانشاء معهد ديني للفتيات افتتح اخيرا بالاسكندرية .

كندا :

● توصل المؤرخ الكندي « بيير برتدامور » الى ان المسيح عليه السلام قد ولد في العام الثامن عشر قبل عهدنا عام — 18 — قبل الميلاد .

وقالت — و ص ف — ان المؤرخ المذكور وهو مؤرخ في التقاويم القديمة قد توصل الى هذا بعد ان قام بعملية استقصاء شاقة استند فيها اساسا الى نصوص لوقا الانجيلي الذي ذكر أسماء جميع الساسة الذين تولوا السلطة في المنطقة التي ولد فيها المسيح .

وكان النص الذي استند اليه المؤرخ هو بداية الاصحاح الثاني لانجيل لوقا الذي اكد فيه ان المسيح عليه السلام ولد في الوقت الذي أجرى فيه اول تعداد للسكان في عهد القيصر — اغسطينوس — بينما كان كيرنيوس حاكما لسوريا .